الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فإن كتب الاعتقاد المضمنة داخل جوامع الحديث، كتب ذات أهمية بالغة وتخفى على بعض طلبة العلم مع بالغ في أهميتها، لأن هذه الكتب فيها اعتقاد المصنف -رحمه الله-، من خلال ما بوب عليه ومن خلال ما ساقه من الأحاديث.

وهذه الكتب العقدية تجدها في البخاري ومسلم وأبي داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة، والبخاري -رحمه الله- من أوسع أهل العلم والمصنفين في ذكر هذه الكتب العقدية فبدأ -رحمه الله- في بدء الوحي، كتاب الإيمان، وذكر كتاب القدر وختم بكتاب التوحيد، وهكذا غيره من المصنفين رحمهم الله.

فمن المفيد لطالب العلم أن يطلع على هذه الكتب لأنها ليست كتب مفردة وإنما هي كتب مضمنة داخل هذه الكتب التي إليها مرجع الأمة، أمة محمد صلى الله عليه وسلم في معرفة أحاديثه صلى الله عليه وسلم، فلهذا كان لهذه الكتب أهميتها وكان مما ينبغي على طالب العلم أن يعلمها، ستجد في كتاب السنة لأبي داوود -رحمه الله- مواضع كثيرة من مسائل الاعتقاد، قوله -رحمه الله- الكتاب والسنة، فالسنة المراد بها الاعتقاد، وليس المراد بها هي السنة التي هي عند أهل الأصول ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، فالمراد بالسنة هنا الاعتقاد الحق الذي من خالفه، فإنه يكون مبتدع هذا المعنى.

ولهذا ذكر -رحمه الله- الأحاديث التي في الاعتقاد، فذكر أن في بعضها الرد على الجهمية لأن المراد بالسنة هنا ما ذكرناه، ونبدأ على خير إنشاء الله تعالى:

(المتن)

قال الإمام أبو داوود في سننه كتاب السنة باب شرح السنة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»(١).

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب شرح السنة (٤٥٩٦)، والترمذي في «جامعه»: كتاب الإيمان- باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٠)، وابن ماجه في «سننه»: كتاب الفتن- باب افتراق الأمم (٣٩٩١)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٣٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٩١٠)، (٦١١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٧٣١ ابن بلبان).

وعن أبي عامر الهوزاني عن معاوية بن أبي سفيان: أنه قال: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»، زاد ابن يحي وعمرو في حديثيهما، «وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءِ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ»(٢)، وقال عمرو الكلب لصاحبه لا يبقى منه عرق ولا . . إلا دخله.

(الشرح)

بدأ -رحمه الله- في باب في شرح السنة، أقرأ الحديث المشهور حديث الافتراق، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بغيب مضى وأخبر بغيب مستقبل، أما الغيب الذي مضى وهو افتراق من قبلنا من اليهود والنصارى على إحدى أو ثنين وسبعين فرقة، في بعض الروايات لأن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين والنصارى افترقوا على ثنتين وسبعين، وأن هذه الملة وهذا الغيب المستقبل، ستفترق على ثلاث وسبعين، في حديث بعده أن كلها في النار نسال الله العافية والسلامة.

هذه الفرق كلها في النار إلا واحدة، لما سؤل صلى الله عليه وسلم، عن هذه الواحدة وهذا من فقه الصحابة رضي الله عنهم أنهم سألوا عن النجاة، ما قالوا عدد لنا الهالكين، وماذا يقولون، وماذا يفعلون، وماذا يعتقدون، قالوا أخبرنا بالنجاة أما الهلكى فكثر ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

فلما سألوه عن هذه الفرقة التي تنجو قال: هي الجماعة، الحديث هذا ورد في عدة ألفاظ عن أبي هريرة وعن معاوية وعن ابن عمر وعن أنس يعني عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وهذه الطرق يقوي بعضها بعض بلا شك، وهي دالة على أن هذه الأمة سيقع فيها افتراق، كيف تعرف الحق من الباطل، يسير ولله الحمد، النبي صلى الله عليه وسلم قطعًا على الحق ولا يقول مسلم إلا هذا.

---

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب شرح السنة (٤٥٩٧)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٠٢)، والدارمي في «مسنده» (٢٥١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٧٧/ ٨٨٥)، وفي «مسند الشاميين» (١٠٠٥).

(٣) يوسف: ١٠٣.

والذين رباهم من الصحابة خيار الأمة رضي الله عنهم هم معه على الحق فألزم ما كانوا عليه تكن على الحق على قيام الساعة، فالحق ولله الحمد لا يلتبس ولا يقال أن الحق ضاع ولا يمكن أن يعرف هذا مستحيل ولله الحمد.

قال صلى الله عليه وسلم: «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ»(٤)، لا بد أن يبقى في هذه الأمة أحد على الحق، فألزم ما كان عليه نبيك صلى الله عليه وسلم وسلفك الصالح، ولذلك أهل السنة يؤكدون دائمًا على ما عليه السلف الصالح لأن هم على الحق بلا شك، وفيهم نزل قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾(٥)، هذا موجه للصحابة رضي الله عنهم فمن أراد النجاة فليلزم الجماعة، أي جماعة؟ الجماعة الأولى التي أنشأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رأس هذه الجماعة؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستحيل إلا أن يكونوا على الحق هؤلاء على الحق.

وذكرنا أنه من المهم على طالب العلم أن يعرف أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين رضي الله عنه لأنهم على الحق، أما أهواء الناس فكثرة جدًا بعدهم، ألا تروا المصنفات الضخمة الكبيرة التي لا تسلم من هوى الناس وأرائهم، هذه ما تنتهي، ولهذا ألزم العلم الشرعي المؤصل من خلال كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم تكن على الحق.

واخبر صلى الله عليه وسلم بأن هذه الفرق سيخرج فيها أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، أي أنها تدخل وتسري بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب، الكلب داء يصيب الكلب، فيترتب عليه مثل الجنون فلا يعض الكلب أحد إلا وأصابه هذا الداء داء الكلب، يمتنع من شراب الماء حتى يموت عطشًا وهو من الأمراض الخطيرة.

هذا المرض يتميز بأنه شديد الانتشار حتى أنه لا يبقى عرق ولا مفصل إلا ودخله هذا المرض، وهو داء الكلب، النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أهل الأهواء هؤلاء سيكون فيهم من انتشار هذه المقالة

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» (٧٣١١)، مسلم في كتاب الإمارة- باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (١٩٢١).

(٥) آل عمران: ١١٠.

الشديدة فيهم وحبهم لها، ورضاهم وفرحهم بها، من شدة الانتشار فيهم ينتشر هذا كما ينتشر داء الكلب بصاحبه نسأل الله العافية.

وهذا يدل على فظاعة وشدة استمساكهم بباطلهم، فألزم السنة وأحمد الله تعالى وسله أن يثبتك عليها حتى تلقاه، أما أنواع الباطل فكثيرة منذ عهد الصحابة خرجت الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة ثم المعتزلة ثم تلونت الكلابية بثيابها بعد ذلك، والأشعرية، وخرجت أنواع البدع والضلالات ممن أرادوا السلوك على غير طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسائل الزهد من مخرفي الصوفية وأمثالهم ولا تزال إلى ساعتك هذه الفرق توجد.

وبعض أتباع هذه الملايين مع وضوح وجلاء بطلان ما هم عليه، فالقاضيانية يتبعوا هذه الملايين، مع أن رأس القاضيانية يدعي أنه نبي كفره طرح ولا يشك في هذا ثانيًا أدعى أنه رسول، ومع ذلك له هذه الأتباع، فلا تكترث لفطرة الناس وأعدادهم فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾(٦).

فألزم السنة وتعلم العلم وأحرص على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلم أن جميع هذه الفرق يجمعها شيئان اثنان لا تخرجان عنه أبدا إما إفراط، وإما تفريط.

لو تتأمل جميع الفرق بدون استثناء، وجدت أنهم حادوا عن الوسط الذي خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا أهل إفراط ومبالغة، فالخوارج والباطنية وأورادهم، وكل له طريقته التي يغلو فيها، وعكسهم من. . كالمرجئة وأفرادهم، فإن هؤلاء جفوا وقصروا فبذلك قال الأوزاعي -رحمه الله-: إن للشيطان محجتين أي طريقين لا يبالي بأيهما سلك العبد إفراط أو تفريط، ولا يهمه أن يكون الإنسان خارجي أو رافضي، والله كما قال الله عنه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٧)

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(٨).

(٦) الأنعام: ١١٦.

(٧) الأعراف: ١٦.

(٨) الأعراف: ١٧.

يريد أن يزيل العبادة عن هذا الصراط المستقيم، فألزم الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٩)، والبصيرة هي العلم.

(المتن)

باب النهي عن الجدال وإتباع المتشابه من القرآن.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(١٠)

قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(١١).

(الشرح)

هذا الباب في النهي عن الجدال، المراد به الجدال في الباطل وليس المقصود به المباحثة العلمية في مسائل العلم واستخراج ذلك من خلال السؤال والمعرفة، ليس هذا مراد لأن الصحابة إذا كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم، لكن كانوا يسألونه فيما ينفعهم، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(١٢).

---

(٩) يوسف: ١٠٨.

(١٠) آل عمران: ٧.

(١١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن- باب منه آيات محكمات (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم- باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير (٢٦٦٥).

(١٢) البقرة: ٢١٩.

أما الجدال والنزاع على الباطل كأن يكون نزاع وجدال في القدر، أو نزاع وجدال في أمور من الغيب لا يعلمها إلا الله، فلا شك أن هذا من الباطل، وأنه من طرائق أهل الضلال قديمًا وحديثًا.

قال باب النهي عن الجدال وإتباع المتشابه، النصوص على نوعين اثنين: -

الأول: المحكم.

الثاني: المتشابه، قال الله عز وجل في القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾، المحكمات هي البينات الوضيحات الجليات ذات المعاني الظاهرة، أما المتشابه فالمراد به ما لا يفهم إلا إذا رد للمحكم، يكون في لفظه احتمال، هذا المتشابه يفهم من خلال رده للمحكم، فإذا رد المتشابه إلى المحكم تبين واتضح، ماذا يفعل أهل الزيغ؟ يتبعون المتشابه ويتركون المحكم، الذي يترك البينة الجلية ويتبع غير البين الذي لا يتبين إلا برده للمحكم لا شك أنه زائغ ولا شك أنه مبتدل للفتنة كما سماه الله.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[(١٣)]، مرادهم بتأويله، يعني تفسيره على هوائهم حتى يقولوا إن النص شهيد لباطلنا وبدعتنا، النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثن قال: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ»[(١٤)]، هذه علامة، ومن فوائد وجود المتشابه، أن الله -سبحانه وتعالى- جعله علامة على أهل الباطل، ساعة تجد الإنسان يبحث عن المتشابه ويترك المحكم البين فقد اتضحت فيه علامة كبيرة من علامات أهل الباطل، ولهذا وجود المتشابه لله فيه ابلغ الفتن، فيه الإذعان ينتبه للعباد في أن يؤمنوا بالمحكم والمتشابه، فيه مزيد علم بان ترد المتشابه للمحكم فتعلم، فيه دلالة جلية على وجود أهل الزيغ والباطل، الذين يتركون البين المحكم الجلي ويتبعون المتشابه، ثم إذا قوبلوا بالمحكم، هذا المحكم الآن يبين هذا المتشابه، أبوا وتركوا المحكم البين واتبعوا المتشابه.

---

(١٣) آل عمران: ٧.

(١٤) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن- باب منه آيات محكمات (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم- باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير (٢٦٦٥).

فصارت هذه علامة جلية من علامات أهل الزيغ، أعطيك مثال، دلت النصوص المتواترة الجلية في القرآن وفي السنة على أن الله -سبحانه وتعالى- في العلو، وبأنواع كثيرة من الدلالات، منها التصريح بأن الله في السماء كقوله: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾(١٥)، ومنها التصريح بأن الله فوق عباده: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(١٦)، ومنه التصريح بنزول الأشياء من عنده -سبحانه وتعالى-: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾(١٧)، ومنها التصريح بصعود الأشياء إليه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾(١٨)، ومنا التصريح بالعروج وفيها عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه، حتى جاوز السبع طباقًا وكلمه الله -سبحانه وتعالى- كفاحًا وفرض عليه الصلوات، بعد أن جاوز السماء السابعة، ومنها الإشارة على الله -سبحانه وتعالى- بالأصبع حيث قال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما في صحيح مسلم: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ» وفيها إشارته صلى الله عليه وسلم بيده إلى السماء قائلًا: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»(١٩) يرفع أصبعه لرب العالمين ويقول: اللهم أشهد، يعني اشهد عليهم ثلاث مرات، ولما أراد معاوية بن الحكم رضي الله عنه أن يعتق جارية، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلم هل هي مؤمنة أم لا، قال: «ائْتِنِي بِهَا»، قَالَ: فَجِئْتُ بِهَا، قَالَ: «أَيْنَ اللهُ؟ » قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَمَنْ أَنَا؟ » قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(٢٠)، لما علمت أن ربها في السماء وأن محمد رسوله صلى الله عليه وسلم.

آيات هذه وكلها، ذكر المقيم وغيره من أهل العلم أن أفراد هذه الأدلة تزيد على الألف دليل، أفراد الأدلة إذا تتبعت من القرآن والسنة، يجئ الجهمية ومخرفوا الصوفية ويقولوا: إن الله ليس في السماء، ويقولا:

---

(١٥) الملك: ١٦.

(١٦) النحل: ٥٠.

(١٧) الكهف: ١.

(١٨) فاطر: ١٠.

(١٩) أخرجه مسلم في كتاب الحج- باب بيان وجوه الإحرام (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢٠) أخرجه مسلم في كتاب المساجد مواضع الصلاة- باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧).

إن الله تعالى في كل مكان، معاذ الله، قالوا: عندنا دليل، ما الدليل؟ قالوا: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(٢١)، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾(٢٢)، ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(٢٣).

قالوا: هذا دليل على أن الله في السماوات وفي الأرض، هذه الآية لا شك أنها من المتشابه، والجواب على قولهم من أكثر من وجه:

الأول: أما قوله: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾، فيه وقف، ثم يستأنف الكلام، ﴿ وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(٢٤).

فتكون هذه الآية، هو الله في السماوات كقوله، ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾(٢٥)، الأمر الأخر، والجواب الأخر هو أقوى من هذا الجواب أن هذه الآية إذا ردت على الآيات الأخرى المحكمة فيتضح معناها وتتجلى، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾(٢٦)، ما المارد بالإله، المعبود، فيكون معنى آية الأنعام، ﴿ وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾، أي وهو الله معبود أهل السماوات وأهل الأرض.

كما في الآيات الأخرى التي بينتها، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾، أي معبود، ﴿ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾، أي المعبود، فيأتون على المتشابه ويتركون الآيات الكبيرة، من قوله: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾(٢٧)، وما ذكرناه من النصوص الكثيرة، وهي أنواع تصل على واحد وعشرين نوع،

---

(٢١) الأنعام: ١.

(٢٢) الأنعام: ٢.

(٢٣) الأنعام: ٣.

(٢٤) الأنعام: ٣.

(٢٥) الملك: ١٦.

(٢٦) الزخرف: ٨٤.

(٢٧) الملك: ١٦.

ذكرها ابن القيم في النونية وذكرها في الصواعق -رحمه الله- كثيرة جدًا، فيتركون هذا ويبحثون عن اللفظ المتشابه، فيكون هذا يدل، ويلغون ألف دليل من القرآن والسنة يلغونها، هذا فعل من يتبع المتشابه.

ثم هذا التفسير الذي أتيتم به، من أين أتيتم به، من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من ابن مسعود أو من بن عباس، عن من؟.

ما أتوا به من احد، إنما هم اعتقدوا اعتقاد باطل أن الله -سبحانه وتعالى- في كل مكان ثم بحثوا عن الأدلة لاحقًا، طرقة أهل زيغ، أهل الزيغ هذا دربهم وهذا طريقهم، الحاصل أن إتباع المتشابه من علامات أهل الباطل، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم، «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[(٢٨)]، هذا أمر منه صلى الله عليه وسلم بأن يحذروا، والحذر سيأتي بيانه إنشاء اله في الأبواب الأخرى.

أحذر الجلوس معهم، أحذروا القراءة لهم، احذر تتبع أشباههم، في قنواتهم وفي مواقعهم، رسولك صلى الله عليه وسلم أحرص الناس عليك ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾، يحذرك، يقول: أحذروهم، من هم؟ كل من ليسوا على السنة، هذا دأبهم وهذا طريقتهم فأحذرهم، واترك تتبع أذاهم فيه، فإن القلب يتأثر بكثرة تتبع هذه المقالات الخبيثة، كما أن القلب يتأثر برؤية الصور، الإنسان يطالع صور النساء ويطلق بصره فيهم؟ لأن قلبه يتأثر، لو كان ما كان لا بد أن يتأثر القلب، كذلك الشبه بابا لشبه أخبث، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أحذروهم، احذرهم ولا يتتبع مقالاتهم فليس فيها من العلم شيء إنما فيها الشبه والضلال.

(المتن)

باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم

قال رجل عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِيهِ»[(٢٩)]، وعن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد. . سمعت كعب بن مالك،

(٢٨) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن- باب منه آيات محكمات (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم- باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير (٢٦٦٥).

(٢٩) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٦)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٧٤٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٨٠)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان»

وذكر ابن الصرح قصة تخلفه عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال، «ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا. . أطال علي حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ»(٣٠) ثم ساق خبر. . توبتي.

باب ترك السلام على أهل الأهواء.

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال، قدمت على أهلي وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ فَخَلَّقُونِي بِزَعْفَرَانٍ، فَغَدَوْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: «اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ»(٣١).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي سَفَرٍ فَاعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ، وَفِي إِبِلِ زَيْنَبَ فَضْلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: " إِنَّ بَعِيرًا لِصَفِيَّةَ اعْتَلَّ، فَلَوْ أَعْطَيْتِهَا بَعِيرًا مِنْ إِبِلِكِ "، فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ، فَتَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً لَا يَأْتِيهَا، قَالَتْ: حَتَّى يَئِسْتُ مِنْهُ وَحَوَّلْتُ سَرِيرِي، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا مُنْتَصَفَ النَّهَارِ إِذَا أَنَا بِظِلِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا»(٣٢).

(الشرح)

هذان البابان يبينان جانب من الحذر الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق فاحذروهم، من الحذر ما ذكره في الترجمة قال: باب مجانبة أهل الأهواء، إذا جانبتهم وأبعدت عنهم وعن

---

(١)، وابن قدامة المقدسي في «المتحابين في الله» (١٠)، وفيه: ليث بن أبي سليم، قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٨/ ٤٦٨): «وقال ابن سعد: كان رجلًا صالحًا عابدًا، وكان ضعيفًا في الحديث، يقال: كان يسأل عطاء وطاووسًا ومجاهدًا عن الشيء فيختلفون فيه فيروى أنهم اتفقوا، من غير تعمد، وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره فكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم، تركه القطان، وابن مهدي وابن معين وأحمد كذا قال، وقال الترمذي في «العلل الكبير»: قال محمد: كان أحمد يقول: ليث لا يفرح بحديثه، قال محمد: وليث صدوقٌ يهم، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقويِّ عندهم، وقال الحاكم أبو عبد الله: مجمع على سوء حفظه، وقال الجوزجاني: يضعف حديثه، وقال البزار: كان أحد العباد إلا أنه أصابه اختلاط فاضطرب حديثه، وإنما تكلم فيه أهل العلم بهذا، وإلا فلا نعلم أحدًا ترك حديثه، وقال يعقوب بن شيبة: هو صدوقٌ، ضعيفُ الحديث».

(٣٠) أخرجه البخاري في كِتَابُ المَغَازِي- بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} (٤٤١٨)، ومسلم في التَّوْبَةِ- بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ (٢٧٦٩).

(٣١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣١/ ١٨٢)، وأبو داود في كِتَاب التَّرَجُّلِ- بَابٌ فِي الْخَلُوقِ لِلرِّجَالِ (٤١٧٦).

(٣٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٣/ ٢٩٧)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابُ تَرْكِ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ (٤٦٠٢).

مجالسهم، وكتبهم وقنواتهم فقد سلمت، وأنت مأمور بهذا، باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، يعني يبغضوا في الله عز وجل، هذا البغض شرعي، يؤجر عليه الإنسان، كما أنه يؤجر على الحب في الله فإنه يؤجر على البغض في الله، فيبغضون في الله -سبحانه وتعالى- لما هم عليه من البدع والضلالات والمحدثات، فلهذا يبغضون في الله -سبحانه وتعالى-.

الحديث الأول فيه ضعف لوجود الرجل المجهول حيث قال رجل عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِيهِ»[(٣٣)]، والمعنى من جهة الحب في الله والبغض في الله هو أنهما من أصلح الأعمال لا شك أنها من أصلح ما يتقرب به العبد لله -سبحانه وتعالى- لأن المحبة والبغضاء إذا تحكمت فيها، فجعلتها خاضعة للشرع لا للهواء، وتحب لله وتبغض لله فإن ذلك من أعلى مقامات الإيمان لأنك جانبت هواك وحكمت شرع الله تعالى حتى فيما تحب وفيما تبغض وهذا من الخضوع العظيم لله رب العالمين.

الحديث الذي بعده حديث مشهور رواه الشيخان وغيرهما في قصة تخلف كعب ابن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فلما تخلفوا اقروا أنهم لم يكن لهم عذر، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر بهجرهم حتى أمر بعدم الكلام معهم وبقوا على هذا خمسين ليلة حتى انزل الله -سبحانه وتعالى- في توبتهم كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[(٣٤)].

---

(٣٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٦)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٧٤٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٨٠)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (١)، وابن قدامة المقدسي في «المتحابين في الله» (١٠)، وفيه: ليث بن أبي سليم، قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٨/ ٤٦٨): «وقال ابن سعد: كان رجلًا صالحًا عابدًا، وكان ضعيفًا في الحديث، يقال: كان يسأل عطاء وطاووسًا ومجاهدًا عن الشيء فيختلفون فيه فيروى أنهم اتفقوا، من غير تعمد، وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره فكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم، تركه القطان، وابن مهدي وابن معين وأحمد كذا قال، وقال الترمذي في «العلل الكبير»: قال محمد: كان أحمد يقول: ليث لا يفرح بحديثه، قال محمد: وليث صدوقٌ يهم، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقويِّ عندهم، وقال الحاكم أبو عبد الله: مجمع على سوء حفظه، وقال الجوزجاني: يضعف حديثه، وقال البزار: كان أحد العباد إلا أنه أصابه اختلاط فاضطرب حديثه، وإنما تكلم فيه أهل العلم بهذا، وإلا فلا نعلم أحدًا ترك حديثه، وقال يعقوب بن شيبة: هو صدوقٌ، ضعيفُ الحديث».

(٣٤) التوبة: ١١٨.

في هذه الفترة لأنهم كانوا قد خالفوا وعصوا أمر صلى الله عليه وسلم بهجرانهم فكانوا إذا سلموا على احد لم يرد عليهم السلام، حتى إن كعب رضي الله عنه تسور على جدار أبي قتادة، حائط بستان، فأتى وسلم عليه قال، وكان أحب الناس إلي، قال: فو الله ما رد علي السلام طاعة لله ورسوله، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الكلام معهم نهائي، فلم يرد عليه السلام، هذا نموذج من المجانبة.

هؤلاء جميعًا قطعًا ليسوا من أهل الأهواء وإنما حصل عندهم معصية، فما علاقتهم بالباب، علاقتهم بالباب بينة إذا هجر أهل المعصية وهم اقل جرم من أهل الأهواء فهجر أهل الأهواء من باب أولى، ولذلك قال باب مجانبتهم وذكر حديث في من عصوا ثم أن الله تاب عليهم كما تقدم.

الباب الذي بعده هذا نموذج لنماذج هجر أهل الأهواء وفيه ترك السلام عليهم، وترك رده أيضًا، ذكر فيها حديث عمار رضي الله عنه قدم على أهله وقد تشققت يداه إما من آثار العمل أو نحوه، فمن باب العلاج خلقوه بزعفران، الزعفران لا يناسب الرجال ولا ينبغي أن يتزعفر الرجل، وإنما هو من شأن النساء فهو رضي الله عنه تأول من باب أن هذا نوع من العلاج وليس من باب التزين لكن يداه قد تشققت فأراد أن يعالج علاجًا، أتى للنبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه، النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد عليه السلام، وأمره مباشرة بقوله: «اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ»(٣٥)، يعني أمره أن يرجع ويغسل آثار الزعفران، ولم يرد عليه السلام.

مرة أخرى، ما علاقة الحديث بأهل الأهواء؟ إذا كان هذا يقع لصحابي جليل في أمر ليس من المعتزلة أو الجهمية أو الخوارج، وإنما في أمر مما قد يكون خفي عليه حتى، وهو أمر يختص به النساء، فتأول رضي الله عنه وجعله في يديه من باب العلاج، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يرد عليه السلام، وكلمه مباشرة اذهب فأغسل هذا عنك، إذا هجر هذا وهو صحابي جليل ولم يرد عليه السلام، فأهل الأهواء والضلال من شاتمي الصحابة رضي الله عنهم ومن ناشئي الأفكار الخبيثة السيئة في الأمة، هؤلاء من باب أولى ألا يسلم على هؤلاء.

(٣٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣١/ ١٨٢)، وأبو داود في كِتَاب التَّرَجُّلِ - بَابٌ فِي الْخَلُوقِ لِلرِّجَالِ (٤١٧٦).

الحديث بعده فيه مقال لأنه من طريق سمية عن عائشة رضي الله عنها فيه قصة أن بعير لصفية رضي الله عنها اعتل وكان في الحج، فلما اعتل هذا البعير أراد النبي صلى الله عليه وسلم من زينب أن تعطي صفية بعير لها وكان عندها فضل ظهر، يعني عندها مركب خامل، الظهر يطلق على البعير، يقول أحضرت ظهري يعني لأنه يركب، فكان الظهر فاضل عن حاجتها رضي الله عنها فأشار عليها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعطي صفية هذا البعير، هي غيور كغيرها من النساء لأن صفية ضرة لزينب رضي الله عنهم، ومن شأن الضرائر والزوجات أن يكون بينهم ما بينهم من التنافس فأطلقت كلمة غير لائقة رضي الله عنها، وقالت: أنا أعطي تلك اليهودية، تريد أن أصلها من يهود، لأنها من ذرية هارون عليه الصلاة والسلام، فغضب صلى الله عليه وسلم فهجرها في ذي الحجة الذي كان فيه الحج وفي محرم وفي صفر ودخل عليها في ربيع وأنهى هجرها قبل أن يموت بفترة قصيرة صلى الله عليه وسلم.

على كل حال الحديث كما قال، لكن من جهة هجر أهل الأهواء هذا لا شك أنه حق، وإذا هجر من عصا بكلمة غير لائقة أو فعل، فعل غير لائق على سبيل العصيان، فجران أهل البدع والضلالات من باب أولى.

لكن يا إخوة ينبغي أن يتنبه لأمر مهم جدًا في مسألة الهجر، وهي أن من كان عنده هوى وبدعة بسبب جهل فإن على طالب العلم أن يرفع عنه جهله، ما نبادر نقول هذا الرجل صاحب الهوى، اهجره واتركه ولا تكلمه مباشرة إلا إذا تبين لك عناده وإصراره، أما إذا وجهته وقلت له عن هذا على خلاف هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدي الصحابة، وان عليك أن تلزم الحق فقال جزاك الله خير، ما كنت اعلم، حياتي هكذا أنا وأبي وجدي، وأنت طالب علم عجل الله لك التوبة، فأستغفر الله مما كنت فيه، وسلك السنة.

إن كان جاهل يحتاج أن يعلم وإذا علم قبل فلا تهجره، إنما الهجر كما نص أهل العلم في من عناد وإصرار، أما هؤلاء الجهال الذين ينتظرون منك توجيه وينتظرون منك إنقاذ لما هم فيه من الضلال، المبادرة على هديهم ها كسل، بدل ما يدعو الإنسان على الله ويبذل الجهد معهم يقول أنا اهجرهم، هذا غير صحيح وليس هذا من الهجر الشرعي، الهجر الشرعي نوعه العلاج، لعل هذا المبتدع أن يتوب وأيضًا نوع

تحذير منه لأن أهل العلم إذا هجروه اتضح للعامة أنه ضال، لكن إذا كان رجلًا جاهل ووجه توجه، وإذا علم تعلم، فغنه لا يهجر، بل يبين له الحق فإن قبل فالحمد لله وإن أبى فإنه يهجر.

(المتن)

باب النهي عن الجدال في القرآن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»(٣٦).

(الشرح)

هذا الباب متعلقٌ بالنهي عن الجدال في القرآن، القرآن نزل ليعمل به، وليس موضعًا لأن يجعل بين الناس ليتخاصموا ويتنازعوا، فإن هذا ما أنزل الْقُرْآنَ من أجله، أنزل ليحكم ولينهي هذه الجدالات والمنازعات.

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»(٣٧)، الْقُرْآنَ إذا لُزم طريق النبي صلى الله عليه وسلم أأتلفت القلوب عليه، فإذا كانوا سيتهاجرون ويتنازعون ويتشاتمون والقرآن بينهم، فهؤلاء عليهم أن يقوموا وأن يتركوا هذا النقاش.

في الحديث هنا أن النبي -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ- أخبر أن المراء وهو الجدل، وقيل: إن المراد به الشك أن كفرٌ، والظاهر من المراء أنه هو الجدال وهو على نوعين اثنين:

بأن تكون المهارة في القراءة، الْقُرْآنَ نزل كما تعلمون على سبعة أحرف، ومن أقرئه أحد الصحابة رضي الله عنهم على حرف، وأقرأ أخر من الصحابة غيرهم على حرف، فليس له أن يرد الحرف الذي لم يعلمه، لأن الْقُرْآنَ نزل به فإذا رده فقد رد كلام الله عز وجل وكفر به، هذا وجه.

---

(٣٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨/ ١٠٧)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ (٤٦٠٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» في كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ- باب الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ (٨٠٣٩).

(٣٧) أخرجه البخاري في كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ- بَابُ كَرَاهِيَةِ الخِلاَفِ (٧٣٦٤)، ومسلم في كتاب الْعِلْمِ - بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ (٢٦٦٧)، من حديث جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه.

وقيل: إن المراد بالنهي عن الجدال والمراء، ما يتعلق بطريقة المتكلمين والضلال والباطل كالمعتزلة والجهمية ومن خلفهم بعدهم؛ ممن يذهبون مذاهب في الجدال والنزاع على طريقة المتكلمين ممن يسمون بأهل الكلام.

ممن يناورون ويجادلون في القدر وفي الأمور الغيبية العظيمة، التي ليس فيها إلا التسليم بالنصوص ولا يمنع أن المعنيين صحيحين، فلا يصح الجدال برفض شيء من أحرف الْقُرْآنَ الثابتة، ولا الجدال في معانيه على طريقة أهل الباطل.

وإذا أراد أحدًا استنباطًا أو استدلالًا، فالاستنباط المنضبط والاستدلال المنضبط ليس مراءً، الاستدلال المنضبط ليس مراءً إنما المنهي عنه المجادلات والمنازعات التي ذكرنا.

(المتن)

باب في لزوم السُّنَّة

وعن المقدام بن مَعْدي كَرِبَ، عن رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانَ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ الْقُرْآنَ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا. وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِذَا لَمْ يَقْرُوهُمْ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ»[٣٨].

وعن أبي رافع عن أبيه، عن النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– قال: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: مَا نَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ»[٣٩].

---

(٣٨) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة– باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي في «جامعه»: كتاب العلم– باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٦٤)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وابن ماجه في «سننه»: كتاب المقدمة– باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (١٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٨٢/ ٦٦٨).

(٣٩) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ – بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ (٤٦٠٥)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ الْعِلْمِ – بَابُ مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢٦٦٣)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم– باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتغليظ على من عارضه (١٣).

وعن عائشة قالت: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٤٠).

قال ابن عيسى: قال النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ صَنَعَ أمرًا على غير أمرِنا فهو ردٌّ»(٤١).

وعن عبد الرحمن بن عمرو السُّلميِّ وحُجرُ ابنُ حُجْرٍ، قالا: أتينا العرباضَ بن سارية، وهو مِمَّن نزل فيه: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾(٤٢) فسلَّمنا.

وقلنا: أتيناكَ زَائِرِينَ وعَائدينَ ومُقتبسينَ، فقال العرباضُ: صَلَّى بنا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم - ذات يوم، ثم أقبلَ علينا، فوَعَظَنا موعظةً بليغةً ذَرَفَتْ منها العيونُ ووَجِلَت منها القلوبُ، فقال قائل: يا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- كانَ هذه موعظةُ مودعٍّ، فماذا تَعهدُ إلينا؟.

فقال: «أوصيكُم بتقوى الله والسمعِ والطَّاعةِ وإنْ عَبْدًا حبشيًّا، فإنَّه من يَعِشْ منكم بَعْدي فسَيَرى اختلافًا كثيرًا، فعليكُم بسنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ، المَهديِّينَ الرَّاشدينَ، تَمَسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ، فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكل بدعَةٍ ضَلالَةٌ»(٤٣).

وعن عبدِ الله بن مسعود، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ألا هَلَكَ المُتنطعون»(٤٤)، ثلاث مرَّات.

(الشرح)

هذا الباب في لزوم السنة وعدم الرضا بغيرها بديلًا كائنًا ما كان، فأن يثبت على هذه السنة التي ولله الحمد والمنة أنعم -الله تعالى- بها، ومن وفقه -الله تعالى- إليها فهو المحظوظ، حتى إن كان أشد الناس فقرًا وأعظمهم مرضًا، وأشدهم في دنياه خوف.

---

(٤٠) أخرجه البخاري في كتاب الصلح - باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية - باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٠/ ٥٠٧)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ (٤٦٠٦).

(٤٢) التوبة: ٩٢.

(٤٣) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة - باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في «جامعه»: كتاب العلم - باب ما جاء في الآخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجه في «سننه»: كتاب المقدمة - باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦).

(٤٤) أخرجه مسلم في كتاب العلم - باب هَلَكَ المتنطّعون (٢٦٧٠).

لأن هذه الدنيا بما فيها من تبعاتٍ ما هي إلا فترةٌ كسحابة صيفٍ ثم تذهب، فيكون من لزم السنة له النعيم المقيم، وله الخلود الأبدي في دار السعادة، ولاسيما إذا زُهد فيها وقل الناصر لها، فالاستمساك بها في مثل هذا الوقت يكون الأجر فيه أعظم بكثير من الاستمساك بالسنة؛ إذا كان المستمسكون بها كثيرين.

المستمسكون بالسنة على خيرٍ في كل الأحوال؛ لكن إذا قل الناصر وكثر أهل الباطل والضلال وفشا المنكر، وقل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتفاحش أهل الباطل واجترئوا، فلزوم السنة والحالة هذه من أعظم ما يتقرب به إلى الله عز وجل.

ولهذا قال -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ-: «العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(٤٥)، هجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم من يحصلها من يدركها؟ أخبر أن العبادة في الهرج عند الاختلاف وعند الاختلاط وتغير الأحوال أنها كالهجرة إليه صلى الله عليه وسلم فألزم السنة.

أعظم ما تتقرب به إلى-الله تعالى- أن تلزم هذه السنة في جميع أمورك، في جميع اعتقادك في صلاتك وعباداتك في تعاملك مع من حولك، كل هذا تضبطه لك السنة.

في الحديث الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه أوتي الكتاب وهو الْقُرْآنَ، ومثله معه وهي السنة، ثم قال: «أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانَ»، التعبير بالشبعان يدل على أن الإنسان مترف صاحب ترف وصاحب تنعم، ولهذا قال: «عَلَى أَرِيكَتِهِ» متكئ على سريره. يَقُولُ:

يقول: «عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»(٤٦)، يريد أن يأخذ بما في الْقُرْآنَ فقط، ويترك السنة النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(٤٧)، يعني أنه أوتي الْقُرْآنَ وأوتي السنة.

---

(٤٥) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب فضل العبادة في الهرج (٢٩٤٨)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧)، وقال شعيب الأرناؤوط: «حديث صحيح».

(٤٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي في كتاب العلم- باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٦٤)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (١٢). وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٤٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي في كتاب العلم- باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٦٤)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب تعظيم حديث

والله عز وجل سمى السنة في كتابه بالحكمة، وأوجب إتباع النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما آية من كتباه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، فما معنى طاعة النبي صلى الله عليه وسلم؟ إذا كنت ستطيع ما أنزل من الْقُرْآنَ وستترك ما بينه بفعله، وأمرك به في حديثه صلى الله عليه وسلم القولي ما معناه إتباع في الْقُرْآنَ في هذا الحال؟.

من قال: أني سأتبع الْقُرْآنَ دون السنة هو كاذب، لأنك لا تتبع الْقُرْآنَ حقًا إلا إذا اتبعت السنة، لأن الْقُرْآنَ يوجب عليك إتباع السنة، فكيف تقول: إني أتبع الْقُرْآنَ إذا اتبعت الْقُرْآنَ حقًا اتبعت السنة.

ولهذا هذا الصنف الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وجد في أزمنة متقدمة، كما وجد طوائف من ردوا السنة من المعتزلة، ووجدوا منذ أيضًا في العصور الأخيرة هذه من هؤلاء الزنادقة المسمين بالْقُرْآنيين، يقولون: لا نؤمن إلا بما في الْقُرْآنَ، ما النتيجة؟.

أنكروا معلومات من الدين بالضرورة، فيه أمور معلومة من الدين بالضرورة جاءت فيها السنة فأنكروها، قالوا: ما نجدها في الْقُرْآنَ لا نقر بها، هذا يؤدي إلى الكفر والزندقة لا شك.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ألا لا يَحِلُّ لَكُم لحمُ الحِمَارِ الأهليِّ، ولا كُل ذي نابٍ من السَّبُعِ، ولا لُقَطةُ مُعاهَدٍ إلا أنْ يستغنيَ عنها صاحِبُها»[٤٨]، لماذا نص على هذه الأشياء؟ لأنها في سنته تحريم الحمار الأهلي، الحمار نوعان:

حمار صيد وهو الحمار الوحشي.

والنوع الثاني: حمارٌ أهلي هذا حرمه النبي صلى الله عليه وسلم.

فيجوز الحمار الوحشي لأنه صيد، ولا يحل الحمار الأهلي المعروف هذا الذي يكون، يسمى الحمار الإنسي الموجود عند الناس، أما الحمار الوحشي فإنه ينفر يكون كالصيد، ينفر كالغزال ونحوها وهو حلال.

رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (١٢). وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٤٨) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي في «جامعه»: كتاب العلم- باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٦٤)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وابن ماجه في «سننه»: كتاب المقدمة- باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (١٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٨٢/ ٦٦٨).

أما الحمار الأهلي فهو محرم، أين تحريمه في الْقُرْآنَ؟ غير موجود، موجود في السنة فيجب أن تلزم السنة، هذا معناه.

وهكذا قوله: «ولا كُل ذي نابٍ من السَّبُع»(٤٩)، السباع التي لها ناب تأكل به كالأسود والفهود والنمور ونحوها، هذه لا يحل أكلها: «ولا لُقَطةُ مُعاهَدِ»، اللقطة هي ما يكون من مالٍ ونحوه يضل ويغيب عن صاحبه، فإذا وجدته فإنه ليس لك أن تأخذه حتى تعرفه.

على تفصيل لأهل العلم في الذي يعرف والذي لا يعرف، قوله هنا: «ولا لُقَطةُ مُعاهَدِ إلا أنْ يستغنيَ عنها صاحِبُها»(٥٠)، فيه فائدة كبيرة جدًا أن المعاهد وإن كان كافرًا فإن الأحكام التي جعلها الله له نلتزمها نحن، مثل عدم التعدي عليه في ماله وعرضه والوفاء له بالعهد.

ومن ذلك أن للقطة يعني لو سقط منه مال، لا تقول: هذا مال يهودي أو نصراني ما دام أنه مال هذا اليهودي والنصراني فسآخذه لا يحل لأنه معاهد، وفيه دلالة على أن لقطة المسلمين تحرم من باب أولى.

إذا حرمت لقطة المعاهد فالمسلم لقطته تحرم من باب أولى، إلا أن يستغني عنها صاحبها، في بعض الأحيان يرمي الإنسان شيئًا من متاعه مستغنيًا عنه، هذا لا يقال: إن حكمها حكم اللقطة، لأن صاحبه رغب عنه ولم يريده فهذا يجوز أخذه.

قال: «ومن نزلَ بقومٍ، فعليهم أن يَقْرُوه»، يعني عليهم أن يضيفوه: «فإنْ لم يَقرُوه»، وهو حقه: «فله أن يُعقِبَهم بمثل قِرَاه»(٥١)، يُعقِبَهم من العقاب يعني يتبعهم ويجازيهم بدل صنيعهم هذا.

---

(٤٩) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي في «جامعه»: كتاب العلم- باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٦٤)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وابن ماجه في «سننه»: كتاب المقدمة- باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (١٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٨٢/ ٦٦٨).

(٥٠) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي في «جامعه»: كتاب العلم- باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٦٤)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وابن ماجه في «سننه»: كتاب المقدمة- باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (١٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٨٢/ ٦٦٨).

(٥١) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي في «جامعه»: كتاب العلم- باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦٦٤)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وابن ماجه في «سننه»: كتاب المقدمة- باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (١٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٨٢/ ٦٦٨).

وذلك بأن يأخذ منهم عقبى بدلًا عما فاته من استضافتهم له، لأن الضيافة في بعض الأحوال تكون واجبة، فإذا أبوا أن يضيفوه استحقوا هذا الأدب الشرعي.

الحديث بعده: لا أُلْفِيَن أي لا أجدن أحدَكُم مُتَّكئًا على أريكَتِه، يأتيه الأمرُ من أمري مِمَّا أمـرْتُ بـه أو نَهَيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه، وهذا مثل الحديث السابق.

حديث عائشة -رضي الله عنها-أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أَحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ»[٥٢]، هذا الحديث من قواعد الإسَّلَام الكبار، قاعدة كبيرة أخذ منها أهل العلم قاعدة عظيمة في العبادات أن الأصل في العبادات المنعُ والحظرُ.

«من أَحْدَثَ في أمْرِنا»، المراد بأمرنا هنا المراد به الدين، أي من أحدث في ديننا: «ما ليس فيه، فهو رَدٌّ»، أي مردودٌ عليه فمن أحدث في دين الله عز وجل بدعةً من البدع مهما كان قصده حسنًا أو طيبًا؛ فإنها مردودةٌ عليه وهو آثمٌ ومأزور غير مأجور.

الدين ولله الحمد قد كَمُل والناس عليها إتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه الغمية ولله الحمد عن الابتداع واختراع المخترعين، قد أنزل الله قوله: ﴿اليوم أكلمت لكم دينكم وأتمتت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسَّلَام دينًا﴾، فالدين قد كَمُل ولله وتم.

فلسنا بحاجةٍ بتاتًا إلى أي اختراع وإلى أي إحداث، فالحديث بعده قريبٌ منه: «مَنْ صَنَعَ أمرًا على غير أمرِنا فهو ردٌّ»[٥٣]، يعني ورد بأكثر من لفظ.

حديث العرباضَ بن سارية، وهو مِن الذين أنزل الله فيهم: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تولوا وأعنهم تفيض من الدمع حزنًا أن لا يجدوا ما ينفقون﴾[٥٤].

---

(٥٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح- باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية- باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٠/ ٥٠٧)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ (٤٦٠٦).

(٥٤) التوبة: ٩٢.

هؤلاء صحابةٌ كرام أرادوا الجهاد فلم يتيسر لهم، فبكوا رضي الله عنهم حين لم يجدوا النفقة فأنزل الله فيهم الآية وكان منهم العرباض، لما أتوه عائدين مقتبسين يعني مقتبسين من علمك وزائرين لك طلبوا منه أن يحدثهم، فحدثهم بهذا الحديث العظيم.

أن النبي صلى الله عليه وسلم وعظه موعظةً بليغة وهذا الذي ينبغي بالخطباء أن تكون مواعظهم بليغة، لهذا يا أخوة لا يصلح في الخطابة ما يبتدع الضحك، الناس ما اجتمعت الآلاف حتى تضحكهم في الخطبة، هذا من دلائل جهل الخطيب.

الخطبة فيها كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾، فيها التذكير وفيها الموعظة ولهذا إذا أتى أحد لا يعرف ولا يعي حقيقة تشريع الخطبة، يقع في أخطاء كثيرة مما يقع فيها هؤلاء الذين لا يفهمون المقاصد العظيمة الشرعية للخطب.

الخطب فيها كما في هذا الحديث، المراد بها أن تكون موعظةً بليغة، ومن آثار هذا الوعظ أن ذرفت عيونهم رضي الله عنهم ووجلت قلوبهم، هذا هو المعتاد لهذا يأتيك العاصي شارب الخمر، الزاني، عاق والديه، قطاع الطريق، قاطع الرحم، مؤذي جيرانه، فيدخل في خطبة الجمعة، فيسمع خطبةً عظيمةً بليغة وتذرف دمعه ويجل قلبه.

فعند ذلك يعود فيبر والده، ويكف عن زناه وعن الربا وعن الفواحش والسرقات، ويكف عن أذية المسلمين لأنه وعظ فاتعظ، فهذا الذي ينبغي في هذه الخطب، وهذه خطبه صلى الله عليه وسلم وكان إذا خطب احمرت عيناه -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ-، وعلا صوته كأنه منذر الجيش -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ-.

هذا المفترض ولهذا لما وعظهم هذه الموعظة، قالوا: كأنها هذه موعظة مودع كأنك تودعنا ستذهب ستتوفى، يعني هذه الموعظة موعظة من سيودعنا، فما تعهد إلينا فماذا تَعهدُ إلينا؟ يعني ما الذي توصينا به؟.

فقال: أوصيكُم بتقوى الله وهذا واضح، والسمعِ والطَّاعةِ يعني لمن ولاه -الله تعالى- أمركم إذا أمركم بأمرٍ بالمعروف، ولم يأمركم بالمعصية فاسمعوا له وأطيعوا، وإياكم وأمور الخلاف والفتن وإحداث الإشكال داخل جماعة المسلمين.

اسمعوا وأطيعوا وإنْ عَبْدًا حبشيًّا، يعني وإن كان المولى عليكم عبدًا حبشيًا لا تقل أن أحتقره هو عبد حبشي، -الله تعالى- هو الذي يأت ملكه من يشاء، ألزم السمع والطاعة ما دام أنه لم يأمرك بمعصيةٍ أو منكر، فإن عليك أن تؤدي ما أ وجب الله عليك من طاعته.

ثم قال: فإنَّه من يَعِشْ منكم بَعْدي فسَيَرى اختلافًا كثيرًا، وعليه من دلائل وعلامات النبوة أن أخبر -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ- بهذا الاختلاف الشديد الذي سيقع، إذا تأملت الوضع الذي كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم وتأملت الأحوال بعده، تكدر من بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما كان صافيًا.

تكدرت أمور كثيرة لما توفي صلى الله عليه وسلم ارتدت قبائل كثيرة من العرب، هذا من بدايات التكدر حتى قاومهم خيار أهل الأرض وهم الصحابة رضي الله عنهم وأعادوهم إلى حظيرة الإسَّلَام، ثم انتشر الإسَّلَام انتشارًا عظيمًا جدًا، ودخل إلى أقاصي الأرض.

فدخل في الإسَّلَام من استظهره ولم يستبطنه، دخل فيه ظاهرًا وفي الباطن هو ليس من المؤمنين في سبيل، ثم بدأ يحدث هذه الإحداثات والبدع والضلالات، ولهذا إذا تأملت كثيرًا من البدع وجدت أنها نشأت من غير المسلمين.

فبدعة القدرية نشأت من سوسن القصراني، وسيساويه المجوسي وبدعة الرافضة نشأت من عبد الله به سبأ اليهودي، وهكذا جملة من البدع والضلالات نشأت من أعداء الله، فحصل تغير واختلاف كثير.

وهكذا حصل تغير واختلاف في الحكام، في ولايتهم وتسلطهم وإيذائهم الرعية على غير ما وجه حق، كل هذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيقع، من يَعِشْ منكم فسَيَرى اختلافًا كثيرًا، هذه قاعدة الذي لم يرى الاختلاف الكثير هو الذي مات في زمن قوة السنة.

أما من بعده فإنه سيرى هذا الاختلاف الكثير، ومن هنا نسأل الله الثبات وحسن الخاتمة، أن ترى إنسانًا متدينًا صالحًا موفقًا ملازمًا للطاعة والخدمة وتجده -نسأل الله العافية- منتكسًا هذا من الاختلاف.

يسأل المؤمن ربه أن يسلمه وأن يقبضه على السنة، وأن يعيذه من الفتن ما ظهر منها وما بطن، هذا الاختلاف الذي رأيناه ونرى ترى أناسًا كانوا على السنة ومن أشد الناس حماسةً له ثم رأيناه أنتكس، أو

وجدوا في غير السنة بردًا سويًا؟ لا والله، إنما هو والعياذ بالله الزيغ والضلال، نسأل الله الثبات وحسن العاقبة.

ثم قال-عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ-: فاء فهنا الفاء هذا مهمٌ جدًا أن نعي معناها، هنا ترتيب لهذه الجملة على الجملة السابقة، من يَعِشْ منكم بَعْدي فسَيَرى اختلافًا كثيرًا، فعليكُم بسنَّتي هذا علاج الاختلاف.

علاج الاختلاف الكثير أن تلزم السنة من يَعِشْ منكم بَعْدي فسَيَرى اختلافًا كثيرًا، فعليكُم بسنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ، المَهديِّينَ الرَّاشدينَ، تَمَسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وهي الأضراس وإيَّاكم هذا تحذير ومُحْدَثاتِ الأمورِ.

المحدثات هي التي على خلاف السنة كالأمور المخترعات الجديدة التي لا أصل لها، فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكل بدعَةٍ ضَلالةٌ، وهذه قاعدة من قواعد الدين الكبار: أن كل بدعةٍ تنشأ فهي ضلالة، وما المراد بالبدعة؟ ما أحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

والمقصود الإحداث في الدين وليس المقصود بالإحداث بمعنى الاختراع، كالمخترعات الدنيوية فهذه على نوعين:

- نوعٌ مباح.
- ونوعٌ محرم.

إذا كان في هذا الاختراع شيء من الإيذاء والإضرار، فإنه محرمٌ ولو كان اختراعًا دنيويًا، كأن يخترع جهازًا للتصنت فيتصنت على جاره، يقول: هذا اختراعًا في الدنيا وليس اختراعًا في الدين هذا ليس بدعة لا يجوز، هذا محرم أن تتصنت بأذنك أو بهاتفك أو بجهازك.

الاختراع هنا صار وسيلةً من وسائل الباطل، أما المخترعات النافعة كهذه الاختراعات التي فتح الله بها على الناس في الاتصالات والمواصلات، وفي هذه الصناعات التي يسر-الله تعالى-بها للناس شيئًا كثيرًا، هذه لاشك أنها لا يقال فيها أي إشكال، ليس فيها أي إشكال هذه.

قال: «فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكل بدعَةٍ ضَلالةٌ»(٥٥)، قال بن عمر-رضي الله عنهما-فيما صح عنه: كل بدعَةٍ ضَلالة، وإن رآها الناس حسنة، يعني أن الناس قد يستحسنون أشياء وهي حسنة وطيبة وفيها فائدة، نقول: هي ضلالة حتى وإن استحسنتموها.

الحديث بعده أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال ثلاث مرَّات هذه للاستفتاح في الجمل: «ألا هَلَكَ المُتنطعون»(٥٦)، المُتنطع هو المتعمق المتكلف في الشيء، من التنطع ما فعله الخوارج، فإن الخوارج متنطعون.

كما ثبت عنه -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ- أنه قال فيهم: «يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ»(٥٧)، يتعمقون فيه يعني أنهم يبالغون ويتكلفون على طريقة المتنطعين، ومن التعمق التعمُّق الذي وقع فيه المتكلمون من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية وأضرابهم.

ممن خاضوا في أمورٍ لا يحل الخوض فيها، ودخلوا في متاهاتٍ عظيمةٍ أدت إلى حيرتهم وضلالهم وزيغهم، أمور الغيب ما الذي ستجد فيه؟ لا تجد في الغيب شيئًا، فالتنطع والدخول في البحث في كل شيء خطأ، لا تستطيع أن تبحث في كل شيء.

هناك أمور يأبى الله أن يصل الإنسان فيها إلى شيء، الغيب كاسمه وما غاب عنك لا يمكن أن تصل فيه إلى شيء، فالحاصل أن التنطع بسائر أشكاله، أو التنطع في العبادة يعني يتعمق ويبالغ ويزيد، حتى يرهق نفسه ويجهد نفسه.

أو أن يبالغ بتحريم الحلال والتشديد فيها، كل هذا من التنطع وكل هذا لا أصل له، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن صاحبه يهلك وفي أحيانًا كثيرة ينتكس المتنطع، ويعود إلى حالٍ مخالفٍ للحال الذي كان عليه.

---

(٥٥) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، والنسائي في باب كيف الخطبة (٣/ ١٨٨)، وأحمد في «المسند» (١٤٣٧٣). وقد تفرَّد النسائي بـ«وكل ضلالة في النار».

(٥٦) أخرجه مسلم في كتاب العلم- باب هَلَكَ المتنطّعون (٢٦٧٠).

(٥٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١/ ٦١٤).

فالآن مجموعة من هؤلاء المسمين بالليبراليين، ممن يدعون إلى أشد ما يكون من السوء والفحش، كانوا من أشد الناس غلوًا ومن أكثر الناس نقدًا للعلماء، وجدنا علماؤنا ومشايخنا -رحمة الله تعالى عليهم- وجدوا منهم العنت الشديد.

لكثرة ما كانوا يواجهونه من النقد والاتهام بالمداهمة، وأنكم كذا وأنكم كذا وكانوا يبالغون مبالغاتٍ منكرة، وهم موجودون معروفون بأسمائهم وأشخاصهم، كانوا على أشد ما يكون من التنطع، العاقبة أن انتكسوا نعوذ بالله من زيغ الزائغين.

لن يشاد الدين أحدًا إلا غلبه هذه المبالغة والزيادة عن السنة، كما سيأتي في كلام عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى- لاشك أنها ضلالٌ، وهي من الطريق الذي يريده الشيطان للعبد، أن يزيغ عن الصراط المستقيم بمبالغة وتنطع وزيادة وتكلف، أو بتقصيرٍ وجفاء.

"باب لزوم السنة".

عن أبي هريرة، أن رسولَ الله-صلى الله عليه وسلم - قال: «مَنْ دعا إلى هدىً، كان له من الأجر مثلُ أجورِ مَنْ تَبِعَه لا يَنقُصُ ذلك من أجورِهم شيئًا، ومن دَعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تَبِعَه لا ينقص ذلك مِن آثامهم شيئًا»[٥٨].

وعن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»[٥٩].

عن يزيدَ بنَ عَمِيرةَ -وكان من أصحاب معاذ بن جبل- أخبره، قال: كان لا يجلس مجلسًا للذكر حين يجلس إلا قال: الله حَكَمٌ قِسْطٌ، هلك المُرتابون، فقال معاذ بن جبل يومًا: إن مِنْ ورائكم فِتَنًا يكثُرُ فيها المال ويُفتح فيها القرآنُ حتى يأخُذهُ المؤمنُ والمنافقُ والرجلُ والمرأة، والصغيرُ والكبيرُ والعبدُ والحرُّ.

---

(٥٨) أخرجه البخاري في كتاب النكاح- باب حق إجابة الوليمة والدعوة (٥١٧٣)، ومسلم في كتاب النكاح- باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوةٍ (١٤٢٩).

(٥٩) أخرجه البخاري في كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ- بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لاَ يَعْنِيهِ (٧٢٨٩)، ومسلم في كتاب الْفَضَائِلِ - بَابُ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ (١٣٢)، من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه.

فيوشِكُ قائلٌ أن يقول: ما للناس لا يتَّبعوني وقد قرأتُ القرآن؟ ما هم بمتبعيَّ حتَّى أبتدعَ لهم غيرَه، فإيَّاكم وما ابتُدعَ؟ فإن ما ابتُدِعَ ضلالةٌ.

وأحَذرُكُم زَيغَةَ الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق، قال: قلت لمعاذ: ما يُدريني -يرحمك الله- أن الحكيمَ قد يقول كلمةَ الضلالةِ، وأن المنافقَ قد يقول كلمةَ الحق؟.

قال: بلى، اجتَنِبْ من كلام الحكيم المُشتهِرَاتِ التي يُقال ما هذه، ولا يَثْنِيَنَّكَ ذلك عنه، فإنه لعله أن يُراجِعَ، وتَلَقَّ الحقَّ إذا سمعتَه فإن على الحقِّ نورًا.

وعن سفيانُ، قال: كَتَب رجل إلى عُمَر بن عبد العزيز يسأَلُه عن القَدَر.

وعن أبي الصَّلْت -وهذا لفظ حديث ابن كثير ومعناهم- قال: كَتَبَ رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدَر، فكَتَب: أما بعدُ، أوصيكَ بتقوى الله، والاقتصادِ في أمره، وإتباع سنَةِ رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وتركِ ما أحدَثَ المُحْدِثون بعد ما جَرَت به سُنته، وكفُوا مُؤْنته، فعليكَ بلزوم السنة، فإنها لك -بإذن الله- عصمة.

ثم اعلَمْ أنه لم يبتدع الناسُ بدعةً إلا قد مضى قبلها ما هو دَليلٌ عليها أو عِبرةٌ فيها، فإن السنَّةَ إنما سنَّها مَن قد علم ما في خلافه -ولم يقل ابن كثير: من قد علم- من الخطأ والزَّلَل والحُمق والتَعَمُّقِ، فارضَ لنفسك ما رَضي به القومُ لأنفسهم، فنهم على علمٍ وقَفُوا، وببصرٍ نافذٍ كفُوا، وهم على كشفِ الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى.

فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سَبقْتُموهم إليه، ولَئنْ قلتم: إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبعَ غيرَ سبيلِهم، ورَغِبَ بنفسه عنهم.

فإنهم هم السَّابقون، فقد تكلَّموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مِن مَقْصَرٍ، وما فوقهم مِن محْسَرٍ، وقد قَصَّرَ قوم دونهم فجَفَوْا، وطَمَحَ عنهم أقوام فغَلَوْا، وإنّهم بين ذلك لعلى هدًى مستقيم.

كتبتَ تسالُ عن الإقرارِ بالقَدَرِ، فعلى الخبير -بإذن الله- وقَعْتَ، ما أعلَمُ ما أحْدَثَ الناسُ من مُحْدَثةٍ، ولا ابتدعوا من بدعةٍ هي أبينُ أثرًا ولا أثبتُ أمرًا من الإقرار بالقَدَر.

لقد كان ذكرُه في الجاهليةِ الجهلاء، يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم، يُعَزُّون به أنفسَهم على ما فاتهم، ثم لم يَزِدْهُ الإسلام بعدُ إلا شِدَّةً، ولقد ذكرَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في غير حديثٍ ولا حديثين.

وقد سَمِعَهُ منه المسلمون، فتكلَّموا به في حياته وبعد وفاته، يقينًا وتسليمًا لربهم، وتضعيفًا لأنفسهم، أن يكون شيءٌ لم يُحِطْ به علمُه، ولم يحصِه كتابُه، ولم يمْضِ فيه قَدَرُه.

وإنَّه لمعَ ذلك في مُحكَم كتابه: لَمِنه اقتبسُوه، ومنه تَعَلَّموه، ولئن قلتم: لِمَ أنزل الله آية كذا؟ ولِمَ قال كذا؟ لقد قرؤوا منه ما قرأتم، وعلموا مِن تأويله ما جهلتم.

وقالوا بعد ذلك: كُلُّه بكتابٍ وقَدَرٍ، وكُتبتِ الشقاوةُ، وما يُقدَّرْ يكن، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا نَملِكُ لأنفسنا ضَرًّا ولا نَفْعًا، ثم رغبوا بعد ذلك ورَهِبُوا.

وعن نافعٍ قال: كان لابن عُمرَ صديقٌ من أهل الشام يُكاتِبُه، فكتبَ إليه من عبد الله ابن عمر: إنَّه بلغني أنَّك تكلمتَ في شيء من القَدَر، فإياكَ أن تكتب إليَّ، فإني سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «سيكون في أمتي أقوام يكذِّبون بالقَدَر»(٦٠).

(الشرح)

هذه النصوص كلها في لزوم السنة والثبات عليها، النص الأول قوله -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ-: «مَنْ دعا إلى هدىً، كان له من الأجر مثلُ أجورِ مَنْ تَبِعَه»(٦١)، وورد الحديث بلفظ: «من سن سنةً حسنة كان له من الأجر مثل أجور من تبعه»(٦٢)، ينبغي أن يعلم فالمراد بقول النبي صلى الله عليه وسلم هنا: من دعا إلى هدى، وقوله صلى الله عليه وسلم: من سن سنةً حسنة.

---

(٦٠) ما قبله.

(٦١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح- باب حق إجابة الوليمة والدعوة (٥١٧٣)، ومسلم في كتاب النكاح- باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوةٍ (١٤٢٩).

(٦٢) أخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب العلم- باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة (٢٦٧٥).

يستحيل أن يكون الهدي إلا حيث كان الشرع، لا يتصور أحد أن الحديث دليلٌ على البدع وأن هذه البدع ممكن أن يكون فيها شيٌ من الهدى، أو ما سماه بعض المتأخرين بالبدعة الحسنة فإن هذا لا أساس له، وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم: «كل بدعةٍ ضلالة»(٦٣).

وتقدم أنه ثبت عن بن عمر أنه قال: "كل بدعةٍ ضلالة وإن رآها الناس حسنة"، فيستحيل أن يقول -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ-: «كل بدعةٍ ضلالة»، ثم يقول: من دعا إلى هدى أي أخترع شيئًا سماه بدعة.

لا إنما المقصود من الحديث من دعا إلى هدًى مما جاء له النبي صلى الله عليه وسلم، فإن قلت ما الدليل؟ قلنا: الدليل سبب الحديث، ثبت عنه -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ- أنه قال: «من سن سنةً حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها»(٦٤)، لما أتاه قومٌ قد اشتدت حاجتهم.

فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصدقة، فأتى رجلٌ من المسلمين بقبضةٍ من طعام وأتى أخر وأخر وأخرْ، فحتى امتلأ الوضع بالطعام فاهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «من سن سنةً حسنة»، ما السنة الحسنة؟ صدقة والصدقة لاشك أنها من دين الله وليست اختراعًا.

وخذ فائدةٍ مهمةً جدًا في أثرٍ ثبت عن علي رضي الله عنه ، هذا الأثر يحسن أن ينشره طلبة العلم، لأن فيه أبلغ الرد على من يقولون: إن في البدع حسنًا وأن قوله: «من سن سنةً حسنة»، أي اخترع طريقةً جديدة.

إذا قيل: هل يصح أن يطلق على شيءٍ من الشرع أنه سنةٌ حسنة؟ يقال: نعم، ثبت عن علي رضي الله عنه كما في سنن الطيالسي أنه قال: "الوترُ سنةٌ حسنة"، والوتر معلومٌ أنه مشروع لا يشك فيه أبدًا، ماذا سماه؟ سماه سنةً حسنة.

فالسنة الحسنة والهدى هي الموجودة في الشرع وليست المخترعة، لأن المخترعة قد بينه بقوله -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ-: «كل بدعةٍ ضلالة»(٦٥)، هذا عام لفظ كل من ألفاظ العموم، يفيد أن كل اختراعٍ بعده -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ- فهو ضلالة.

---

(٦٣) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، والنسائي في باب كيف الخطبة (٣/ ١٨٨)، وأحمد في «المسند» (١٤٣٧٣). وقد تفرَّد النسائي بـ«وكل ضلالة في النار».

(٦٤) أخرجه مسلم من حديث جرير، كتاب الزكاة- باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (١٠١٧).

إذًا قوله: من دعا إلى هدى كأن تدعوا إلى سنةٍ من السنن ربما تكون ميتة، أو تدعوا إلى هدى في موضعٍ يكون فيه ضلالات وبدع، وعدم معرفة بالعقيدة فتدعوا وتدعوا؛ حتى يهدي -الله تعالى- على يديك أناسًا، فهؤلاء كلهم أجورهم تكتب لك.

«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا يَنقُصُ ذلك من أجورِهم شيئًا»[٦٦]، وبضده من دَعا إلى ضلالة، وهذا هو الدليل على أهل البدع، البدعة ضلالة كم قال صلى الله عليه وسلم: «كل بدعةٍ ضلالة»[٦٧]، فكيف يقولون: إن قوله من دعا إلى هدى يقصد به البدعة الحسنة.

كيف تقول كيف يركب كلام النبي صلى الله عليه وسلم؟ كيف بهذه الطريقة يجعل كلام النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يضرب بعضه بعضًا؟ هو يقول: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه»[٦٨].

ثم يقول: «من دعا إلى ضلالة»، ما الضلالة بينها بقوله صلى الله عليه وسلم: «وكل بدعةٍ ضلالة»، يعني أنه دعا إلى بدعة هذا ليس نصيب في الأجر، إنما له نصيب في الإثم.

«ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تَبِعَه لا ينقص ذلك مِن آثامهم شيئًا»[٦٩]، وهذا يدل على فظاعة وخطورة في الدعوة إلى الباطل، وأن الإنسان إذا دعا إلى باطل فإنه إذا تسلسل هذا الباطل عبر القرون.

---

(٦٥) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، والنسائي في باب كيف الخطبة (٣/ ١٨٨)، وأحمد في «المسند» (١٤٣٧٣). وقد تفرَّد النسائي بـ«وكل ضلالة في النار».

(٦٦) أخرجه مسلم في كتاب العلم- باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة إلا أنه قال: «مَنْ تَبِعَهُ» (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦٧) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، والنسائي في باب كيف الخطبة (٣/ ١٨٨)، وأحمد في «المسند» (١٤٣٧٣). وقد تفرَّد النسائي بـ«وكل ضلالة في النار».

(٦٨) أخرجه مسلم في كتاب العلم- باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة إلا أنه قال: «مَنْ تَبِعَهُ» (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦٩) أخرجه مسلم في كتاب العلم- باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة إلا أنه قال: «مَنْ تَبِعَهُ» (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كبدعة الذين نفوا الصفات، الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، هؤلاء بدعتهم تسلسلت في الأمة – نسأل الله العافية–، بدعة شاتمي الصحابة من الروافض بدايتها كانت على يد عبد الله بن سبأ وأضرابه من السبأية، يتسلسل الإثم عليهم في كل من تبعهم في هذه الضلالة وهكذا.

وعكسه من دعا إلى هدى معلومٌ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الأمة إلى الهدى، ولهذا أجور الأمة كلها تكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي دعا إلى هدى، بعد النبي صلى الله عليه وسلم بعده الصحابة رضي الله عنهم لأنهم هم الذين علموا التابعون، و التابعون علموا أتباعهم وهكذا.

فالصحابة لهم أجور من بعدهم والتابعون لهم أجور من بعدهم وهكذا، وأنت إذا علمت أحدًا وهداه الله إلى ما دعوته من الحق، فإن كل عملٍ عمله فإن أجره كبير، وهذه فيها فائدة كبيرة جدًا لمعلمي العلوم الشرعية، أن يحتسبوا الأجر.

تأمل يا أخي علمت طفلًا سورة الفاتحة وقرأها وأتقنها، هذا الطفل قد يعيش مائة سنة وأنت علمته الفاتحة، كلما قرأ وكلما علم أحدًا هذه السورة، وكم سيقرأ الفاتحة من ملايين المرات في حياته.

منها ينبغي الاحتساب في العلم الشرعي وتعليمه، من أزكى وأعظم ما يتقرب به إلى الله عز وجل، فاحتسب وفقك الله الأجر، وليس لزامًا أن تكون معلمًا شرعيًا في مدرسة.

لا ليس لزامًا في مدرسة في حلقة علم في بلدك في أي موضع تعلم فيه، فإنك –بإذن الله تعالى– تؤجر عليه، ولهذا من دعا إلى هذا الهدى فإن له أجور من تبعه.

الأثر الذي بعده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، كان إذا جلس يقول: الله حَكَمٌ قِسْطٌ، أي عدل سبحانه هلك المُرتابون، وهم أهل التشكك، ثم قال: إن مِنْ ورائكم فِتَنًا يكثُرُ فيها المال ويُفتح فيها القرآنُ حتى يأخُذهُ المؤمنُ والمنافقُ، مثل هذا يقول أهل العلم–رحمهم الله تعالى– لا يقال من قبيل الرأي.

هذا أخذه عن النبي صلى الله عليه وسلم لاشك لا يأت شخص من الصحابة رضي الله عنهم يقول: سيقع كذا وكذا من تلقاء نفسه يعني أمور غيبية، قال أهل العلم: ما لا سبيل إلى الرأي فيه حكمه حكم المرفوع.

وكان رأيًا له أن يقول على سبيل المثال: إن الذهب المعد الاستعمال من قبل النساء تجب فيه الزكاة، أو قال: لا تجب هذا رأيه، فكأن يخبرك بغيب صحابي من صحابة صحابي ما يمكن أن يتكلم عن الغيب إلا بتوضيحٍ من النبي صلى الله عليه وسلم.

أخبر بهذا الأمر فوقع ما أخبر به من كثرة المال، وأن فتح الْقُرْآنَ على الناس حتى قرأه كل أحد، ثم يأت إنسان -نسأل الله العافية والسلامة- يريد أتباعًا يريد أنصارًا، يريد أن يشتهر ويظهر قرأ الْقُرْآنَ الذين يقرئون الْقُرْآنَ غيره كثير.

وإن أراد أن يظهر السنة الذين يظهرون السنة من أهل العلم كثير، كيف يظهر ويبرز -نسأل الله العافية والسلامة-، يقول: ما هم بمتبعيَّ حتى أحدث لهم شيء جديد، هذا الرجل عنده شيء ليس عند أهل العلم.

لابد أن هذا الشخص عنده شيء من التميز فيخترع هذه البدعة -نسأل الله العافية-، فما هم بمتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيرها، فإيَّاكم وما ابتُدِعَ؟ قال: وأحَذرُكُم زَيغَةَ الحكيم، يعني الرجل من أهل العلم والفضل والحكمة قد يزيغ ويضل ويخطأ خطئًا يقول: احذروا ذلت هذا العالم، لأن ذلت العالم ليست كذلة الجاهل.

فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، إن الشيطان قد يوسوس لهذا الرجل من أهل العلم والفضل فيقول: كلمةً غريبةً لا تليق بمقامه ولا تلي بأهل العلم، يقول: ومع ذلك وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق.

المنافق قد يقول: كلامًا حقًا سليمًا، فسأله: ما يُدريني أن الحكيمَ قد يقول كلمةَ الضلالةِ، وأن المنافقَ قد يقول كلمةَ الحق؟ كيف الآن أعرف ما دام أن الحكيم قد يخطأ والمنافق قد يصب؟.

قال: بلى، اجتَنِبْ من كلام الحكيم المُشتهِرَاتِ وفي اللفظ الأخر: المشبهات التي هي الاشتباه التي يُقال ما هذه، مثل الناس يقولون: سبحان الله فلان من أهل العلم اليوم قال كلمةً غريبة ما هذه الكلمة، كلمة ليست مناسبة.

تجد أهل العلم من حوله يقولون: سبحان الله فلان الرجل الفاضل من أهل العلم يقول: هذا الكلام غريب، هذا أمرٌ صعب جدًا لو أن الذي قاله غيره لما استغربنا؛ الإشكال أن فلان هو الذي قالها، هذا معنى زيغة الحكيم.

يقول: قد يزيغ ويقول هذه الكلمة، يقول: ولا يَثْنِيَنَّكَ ذلك عنه، وفي اللفظ الأخر: ولا ينئينك ذلك عنه يعني يبعدنك ذلك عنه، ما دام من أهل العلم وذل هذه الذلة، لا تقول: سأتركه وسأترك كل علمٍ اجتنب هذه الذلة المحددة، فإنه لعله أن يراجع الحق.

لعله يكلمه إخوانه من أهل العلم، أو يتدبر فيما قال ويستغفر ويأسف على ما بدر منه وقاله، وتَلَقَّ الحقَّ إذا سمعتَه يعني ولو كان من منافقٍ فإن على الحقِّ نورًا الحق عليه نور.

الخبر الذي بعده خبرٌ طويل عن عُمَر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- سأله رجلٌ عن القَدَر، فوصاه بلزوم ما كان عليه السلق الصالح رضي الله عنهم ولزوم السنة التي كانوا عليها، قال: أعلم قاعدة لم يبتدع الناسُ بدعةً إلا قد مضى قبلها ما هو دليلٌ عليها.

أي بدعة تطرى فإنه يكون فيما مضى من الكتاب والسنة دليلٌ عليها، أي دليل على أنها بدعة وضلالة يتضح منها ستجد في الْقُرْآنَ والسنة ما يدل على أنها بدعة، السنة سنها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم السنة قد سنها من علم ما في خلافها.

ما الذي في خلافها؟ الحمق والتعمق والضلال الذي هو على خلاف السنة، هذا هو الحمق والتعمق والضلال، وقال: أرضى لنفسك ما رضي به القوم يعني السلف الصالح قبلك، فإنهم عن علمٍ وطهور.

الإنسان قد يقف لكن جاهلًا، والسلف إذا وقفوا فإنهم يقفون عن علم، لأن من العلم أن تقف في بعض المسائل ولا تتكلم، كالغيبيات ونحوها وفي بصر الناس يكفوا حين كفوا عن أمور، إنما كفوا لا عن عجزٍ وإنما كفوا عن بصرٍ نافذ.

ولهم أي أنهم اللام هذه للابتداء، أي هم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل ما كان أولى يعني أنهم أفضل منك وأولى منك لكل خير، فألوم طريقهم، ثم قسم من خالف السلف إلى قسمين:

إما أن يزيد ويتجاوز حد السلف فيكون غاليًا.

وإما أن يقصر فيكون جافيًا.

ثم قال: كتبتَ تسألُ عن الإقرارِ بالقَدَرِ، فعلى الخبير سقطت -بإذن الله-، قوله: فعلى الخبير سقطت يعني إذا سألت رجلًا عنده علم مؤكد من هذه المسألة التي سألت عنها، ما أعلَمُ ما أَحْدَثَ الناسُ من مُحْدَثةٍ، ولا ابتدعوا من بدعةٍ هي أبينُ أثرًا ولا أثبتُ أمرًا من الإقرار بالقَدَر.

يعني أن الأدلة من الْقُرْآنَ والسنة وكلام السلف الصالح رضي الله عنهم في إثبات القدر، وأن كل شيءٍ إنما مرده إلى قدر الله كتب ما شاء، كتب كل شيء علم كل شيء وكتبه، وأنه ما من شيء إلا والله قد شاءه وقد خلقه، هذا أمرٌ ملئُ الْقُرْآنَ والحديث.

كثيرة جدًا النصوص الدالة عليه، يقول: حتى إنهم كانوا في الْجَاهِلِيَّةِ يعزون به أنفسهم، الواحد منهم إذا وقع في شيءٍ من المصائب، حتى وقت الْجَاهِلِيَّةِ كانوا يعيدون ذلك إلى القدر ويقول: هذا أمرٌ قد قُدر عليَّ.

ولما جاء الإسلام ما زَادَهُ إلا شِدَّةً، لأن من أمور الْجَاهِلِيَّةِ ما طهر الله الأمة عنها، كأبط الجهل، ومن الأمور التي كانت سليمةً في الْجَاهِلِيَّةِ ما ثبته الشرع مما كان فيهم صوابًا مما كان من آثار ملة أبيهم إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ-.

فإن الشرع قد ثبته يقول: بل قد زاده شدة، ذكرَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في غير حديثٍ ولا حديثين، الأحاديث كثيرة جدًا في القدر الأحاديث فيه متواترة وكثيرة، سَمِعَهُ منه المسلمون، فتكلَّموا به في حياته وبعد وفاته، يعني أن هذا أمرٌ مشهور ومعروف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعد النبي صلى الله عليه وسلم يتفقون كلهم على الإقرار بالقدر.

يقول: يأت أناسٌ متنطعون يريدون أن يستدلوا على خلاف ما كان عليه السلف بآيات، وهذه لو كتبت بماء الذهب لما كانت كثيرة، يقول: لئن قلتم: لِمَ أنزل الله آية كذا؟ ولِمَ قال كذا؟ وفي لفظٍ أنه قال: فإن قلتم: فأين آية كذا، يعني يريد أن يستدل على بدعته بأن يقول: أين الآية الفلانية، فقال: هذا الكلام العظيم.

لقد قرؤوا منه ما قرأتم، وعلموا مِن تأويله ما جهلتم، إذا جاء أحد ليحتج بالْقُرْآنَ على خلاف ما كان عليه الصحابة، وقال: أنا عندي آية وقال الآية هذه أقرأها الصحابة أم لم يقرئوها؟ بلى قرءوها، إذًا قرءوا من الْقُرْآنَ ما قرأت الفرق ما هو؟.

علموا منه ما جهلت والجهل فيك أنت، وليس السبب أنهم جهلوا أفاتهم العلم وإنما السبب أنك قد قصرت عن علمهم فجهلت؛ فلهذا قلت ما قال.

قال: إنهم قالوا بعد ذلك: في إثبات القدر ما يُقدَّرْ يكن، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ثم ذكر في أخره أن بن عمر -رضي الله عنهما- كان له صديقٌ من أهل الشام فبلغه أنّه تكلم في القدر.

فكتب إليه هاجرًا له قال: إنه بلغني أنك تكلمتَ في القَدَر، فإياكَ أن تكتب إليَّ،

يعني بعدها لا تكتب ليّ منذ اليوم، لأني سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول في القدر ما قال، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(المتن)

عن خالد الحذاء قال: قلت للحسن يا أبا سعيد أخبرني عن آدم ألسماء خلق أم للأرض؟ قال لا بل للأرض قلت أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال لم يكن له منه بد، قلت أخبرني عن قوله تعالى ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾(٧٠)، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾(٧١)

قال إن الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلا من أوجب الله عليه الجحيم.

عن خالد الحذاء عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٧٢)، قال خلق هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه. . عن خالد الحذاء قال: قلت للحسن ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾(٧٣).

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾(٧٤)، قال إلا من أوجب الله تعالى عليه أن يصلى الجحيم.

عن حميد قال: كان الحسن يقول لأن يسقط من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يقول الأمر بيدي. . .

عن حميد قال: قدم علينا الحسن مكة فكلمني فقهاء أهل مكة أن أكلمه في أن يجلس لهم يوم يعظهم فيه، فقال: نعم، فاجتمعوا فخطبهم فما رأيت أخطب منه، فقال رجل يا أبا سعيد، من خلق الشيطان، فقال: سبحان الله، هل من خالق غير الله، خلق الله الشيطان وخلق الخبير وخلق الشر، فقال الرجل: قاتلهم الله كيف يكذبون على هذا الشيء. .

عن حميد الطويل عن الحسن: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾(٧٥)، وعن عبيد الصيد عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾، فقال: بينهم وبين الإيمان.

---

(٧٠) الصافات: ١٦٢.

(٧١) الصافات: ١٦٣.

(٧٢) هود: ١١٩.

(٧٣) الصافات: ١٦٢.

(٧٤) الصافات: ١٦٣.

(٧٥) الحجرات: ١٢.

وعن ابن عون قال، كنت أسير بالشام فناداني رجل من خلفي فالتفت فإذا رجاء بن حيوة، فقال يا أبا عون ما هذا الذي يذكرونه عن الحسن قال، قلت، إنهم يكذبون عن الحسن كثيرا.

وعن أيوب قال: كذب على الحسن ضربان من الناس قوم القدر رأيهم وهم يريدون أن ينفقوا بذلك رأيهم، وقوم له في قلوبهم شنآن وبعض يقولون أليس من قوله كذا؟ أليس من قوله كذا؟.

عن يحي بن كثير العنبري قال: كان قرة بن خالد يقول لنا يا فتيان لا تغلبوا على الحسن فإنه كان رأيه السنة والصواب.

وعن ابن عون قال: لو علمنا أن كلمة الحسن تبلغ ما بلغت لكتبنا برجوعه كتابا وأشهدنا عليه شهودا ولكنا قلنا كلمة خرجت لا تحمل.

وعن أيوب قال، قال لي الحسن: ما أنا بعائد إلى شيء منه أبدا.

وعن عثمان البتي قال: ما فسر الحسن آية قط إلا عن الأثبات.

(الشرح)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين أما بعد: -

فهذه الآثار كلها عن الحسن البصري الإمام المعروف -رحمه الله-، في بيان قوله في القدر، وقد اتهم الحسن -رحمه الله- بأنه يقول بقول القدرية، أو بشيء من أقوالهم، ونفى هذا بعض أهل العلم نفيًا باتًا، قالوا: إن هذا قول غير صحيح، وبوب الآجري -رحمه الله- في الشريعة باب في براءة الحسن، وانه سالم من قول القدرية.

أكثر أبو داوود -رحمه الله- من هذه الآثار التي زادت عن العشرة، كلها في بيان ما جاء عن الحسن في هذا الباب، والوارد عن الحسن في هذا الباب يمكن تلخيصه من خلال بعض الآثار التي وردت ومن أهمها آثر أيوب، أنه قال: كذب على الحسن ضربان من الناس، يعني نوعان من الناس:

قوم القدر رأيهم، هم من القدرية يريدون أن ينفقوا رأيهم، يريدون أن يقولوا إن الحسن وهو الإمام المعروف يقول بقولهم، وقوم حقدة يبغضون له في قلوبهم، شانئان وبغض، يقولون: أليس من قوله كذا، أليس من قوله كذا، ولهذا قال: كرة بن الخالد لا تغلب على الحسن، لأنه كان رأيه السنة والصواب. .

يقول: لا يغرنكم الكلام الذي يورد عنه فإن الرجل على السنة والصواب وليس من القائلين بقول هؤلاء القدرية، ولهذا قال ابن عون أيضًا لما سأله رجاء، هل المذكور عن الحسن، قال إنهم يكذبون على الحسن كثيرا.

وقال أيضًا ابن عون لو علمنا أن كلمة الحسن تبلغ ما بلغت لكتبنا برجوعه كتابًا وأشهدنا عليه شهود، لقلنا كلمة نقلت عنه وانتشرت في الأفق ما توقعنا أنها ستصل إلى ما وصلت إليه وإلا لكتبنا كتاب يدل على رجوعه عما قاله، ما الذي قاله: من أهل العلم من قال إن القدرية الخبثاء كانوا يأتون إلى الحسن فيقولون يا أبا سعيد إن هؤلاء السلاطين يقتلون الناس ويضربونهم ويأخذون أموالهم ويقولون: إن أفعالنا تجري على قدر الله وعلى أمر الله، فيقول الحسن -رحمه الله-: كذب أعداء الله، يعني هم يريدون أن يسهلوا أمر ظلمهم بأن يقولوا: إن رب العالمين يقرنا فيما نحن فيه، فكان يتكلم عن أن رب العالمين لا يقر في شرعه ما يفعله هؤلاء من الظلم والتعدي.

قالوا: فلأجل مثل هذه الكلمات، قالوا إن الحسن يقول بقوله في القدر، وكان من الخبثاء ممن كذبوا على الحسن تلميذه العاق عمرو بن عبيد وهو من رؤوس المعتزلة، وشهد عليه بالكذب وأنه يكذب حتى في الحديث، كان قاتله الله يقول: هذا من رأي الحسن.

قيل ما قال هذا الحسن، قال: أنا ما قلت قاله الحسن، أنا أقول: هذا من رأيي الحسن، أنت تعرف أن الياء إذا كان بعدها ساكن تخفى الياء الثانية، من رأيي الحسن، تختصر فتقول من رأي الحسن، فكأنه يقول: من رأي الحسن البصري، فإذا تفطنوا له، قال ما قلن إن هذا من رأي الحسن، أقول من رأيي الحسن، هذا إذا تفطنوا له، أو يقول هذا من قولي الحسن.

فإذا قيل له: ما قالها الحسن، قال أنا ما قلت قالها الحسن البصري، أنا أقول هذا من قولي أنا الحسن، تكذيب عليه -رحمه الله- ولهذا كان كأنه خبر وقيل له في هذا، فقال ما أنا بعائد إلى شيء منه أبدا، يعني هذه الكلمات، ربما لعل المراد أن هذه الكلمات التي قالها، واستغلها هؤلاء.

أنا أقول لن أعود إلى شيء من مثلها، لأن هذا يؤكد لك أهمية تفصيل الكلام، لأنك قد تلقي كلمة فتأخذ هذه الكلمة في عمومها فتنسب إليك وأنت لا تقول بالمدلول الذي يريد الخصم أن تقول به، ولهذا من أهم الأمور التفصيل والتوضيح.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: فعليك بالتفصيل إن هم أطلقوا أو أجملوا فعليك بالتبيان، يكون في تفصيل وتوضيح ويكون في تبيين حتى لا يستغل الإطلاق ولا يستغل الإجمال.

يقول البتي -رحمه الله-: إذا أردتم أن تعرفوا هل الحسن يقول بقول أهل السنة أو بقول القدرية، في مسائل القدر وانظروا تفسيره للقرآن، ما فسر الحسن آية قط إلا على الإثبات، يعني على إثبات القدر، ومنه النصوص المتقدمة الأولى، في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾(٧٦)، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾(٧٧)، فسرها التفسير الصحيح أن الشياطين لا يفتنون إلا من أوجب الله عليه الجحيم، وان الذي الله كتب عليه أن يكون من أهل الجحيم، وهكذا قوله ولذلك خلقهم، قال خلق هؤلاء لهذه، يعني للجنة، وخلق هؤلاء لهذه.

وهكذا قوله: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾(٧٨)، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾(٧٩)، أي إلا من أوجب الله عليه أن يصلى الجحيم إلى غير ذلك من الآثار، ومنه استغراب هذا السؤال الذي سأله هذا الرجل من أهل مكة.

قال له: من خلق الشيطان؟ سبحان الله، وقال: هل من خالقٍ غير الله، يعني كيف تفعل هذا السؤال، خلق الله الشيطان وخلق الخير وخلق الشر، الله خالق كل شيء الله -سبحانه وتعالى-.

فهذا الرجل تفطن مباشرةً فقال: قاتلهم الله كيف يثيبون على أهل الشرك، لأن الذي وصل أهل مكة أن الحسن يقول في قول القدرية، فسأله هذا السؤال حتى يستغرب، فاستغرب الحسن كيف يسأل هذا السؤال؟.

---

(٧٦) الصافات: ١٦٢.

(٧٧) الصافات: ١٦٣.

(٧٨) الصافات: ١٦٢.

(٧٩) الصافات: ١٦٣.

هل يسأل من الذي خلق الشيطان؟ الله خالقُ كل شيء، خلق الخير وخلق الشر اللهُ خالقُ كل شيء -سبحانه وتعالى-، لهذا قال في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾، قال: عن الشرك فهو مسلوكٌ في قلوبهم، كل هذا يدل على أنه يثبت في القدر.

وعلى كل حال إذا كان قال قولًا إما عامًا مجملًا فاستغل وأخذته القدرية، أو كان قال كلمةً فرجع عنها، الحسن رضي الله عنه من أئمة السنة وقوله في القدر صواب.

وكلام البتي هذا مهم للغاية لأنه يقول: أنظروا تفسيره للقرآن، تفسيره للقرآن انظر آيات القدر التي وردت عن الحسن فيها روايات، وستجد أن الحسن يفسرها عن الإثبات على طريقة أهل السنة.

"باب في التفضيل".

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنَّا نقولُ في زمن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لا نَعدلُ بأبي بكرٍ أحدًا، ثم عُمرَ، ثم عثمان، ثم نتركُ أصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لا نُفاضِلُ بينهم»(٨٠).

قال: قال سالمُ بن عبد الله: إن ابن عمر قال: كنَّا نقول ورسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- حيٌّ: «أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ»(٨١).

وعن محمد ابن الحنفية، قال: قلت لأبي: أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: أبو بكر، قال: قلت: ثم مَنْ؟ قال: ثم عُمَر، قال: ثم خَشيتُ أن أقول: ثم مَنْ؟ فيقول عثمان، فقلت: ثم أنتَ يا أبت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

وعن محمد -يعني الفِريابيَّ- قال: سمعتُ سفيانَ يقول: مَنْ زَعَمَ أن عليًّا كان أحقَّ بالولاية منهما فقد خطَّأ أبا بكر وعُمرَ والمهاجرين والأنصار، وما أُراهُ يَرتفعُ له مع هذا عَملٌ إلى السماء.

وعن عبَّاد السمَّاك، سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول: "الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمرُ، وعثمانُ، وعلي، وعمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنهم".

(الشرح)

---

(٨٠) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي (٣٦٩٧).

(٨١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨/ ٤١٦)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي التَّفْضِيلِ (٤٦٢٨)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ (٣٧٠٧).

هذا الباب في التفضيل يعني بين الصحابة، لاشك أن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- درجات، وأنهم ليسوا على درجةٍ واحدةٍ في الصحبة، خيار الصحابة رضي الله عنهم في الجملة المهاجرون.

فجنس المهاجرين أفضل من جنس الأنصار، وجنس الأنصار أفضل من جنس مسلمة الفتح وهكذا فهم درجات، قال الله عز وجل : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٨٢]، فجعل للسابقين هذه المزية.

جعل من بعدهم شر إتباعهم بإحسان، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾، فدل على تقدم وفضيلة درجة الذين أنفقوا قبل فتح مكة، لأن درجتهم أعظم وأرفع من درجة من آمن بعد ذلك.

ثم إن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- فيما بينهم ينبغي أن يعرف التفاضل بينهم، وقد انعقد إجماع أهل السنة على أن أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكرٍ ثم عمر، ثم عثمان ثم علي-رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-.

وهذا التفاضل بينهم معلومٌ حتى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث بن عمر، كنَّا نقولُ في زمن النبيَّ صلى الله عليه وسلم : لا نَعدلُ بأبي بكرِ أحدًا، ثم عُمرَ، ثم عثمان، ثـم نـتركُ أصحابَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لا نُفاضِلُ بينهم.

هذا من زاوي هذا الدليل لكن من بقية الأدلة، دلت الأدلة على أن عليًا هو الرابع، قال أهل العلم: "فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة"، أفضلهم أولهم في الخلافة، ثم ثانيهم في الخلافة، ثم ثالثهم ثم رابعهم -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- أجمعين.

في بعض الروايات أنه قال: (ثم يبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره)، يعني هذا الذي نقوله نحن فيما بيننا معاشرة الصحابة، أن أفضل الصحابة أبو بكرٍ ثم عمر ثم عثمان، يقول: كان هذا يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره.

---

(٨٢) التوبة: ١٠٠.

وهكذا يقول: كنَّا نقول ورسولُ الله-صلى الله عليه وسلم- حيٌّ: أفضَلُ أُمَّـة النبـيَّ- صـلى الله عليـه وسلم- بعدَه أبو بكرٍ، ثم عُمرُ، ثم عثمانُ رضي الله عنهم وأرضاهم، وهذا محل اتفـاق ولا إشـكال؛ وقلنـا أيضًا: أن أهل السنة اتفقا على أن عليًا هو الرابع رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-.

الحديث هذا مهم جدًا الذي يرويه محمد ابن الحنفية، ومحمد بن الحنفية هو محمد بن علي بن أبي طالب أخٌ للحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- من جهة أبيه، لأنه أمه من بني حنفيـة فلهـذا سُـمي بابن الحنفية وغلب عليه هذا الاسم.

وإلا فاسمه محمد بن علي، يعني كأخيه الحسن بن علي والحسين بن علي رضي الله عـنهما، لكـن غلـب عليه هذا الاسم واشتهر به، يقول: قلت لأبي: أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟.

في بعض الروايات أن عليًا قال: يا بني أما تعلم؟ يعني ما تعلـم هـذه المسـألة وهـي مسـألة مشـهورة ومعروفة كيف تخفى عليك؟ قال: أبو بكر، قال: قلت: ثم مَنْ؟ قال: ثم عُمَر، قال: ثم خَشـيتُ أن أقـول: ثم مَنْ؟ فيقول عثمان، لعلم محمد بن الحنفية وتربية أبيه له على أن عثمان ذو فضل.

وإلا لا نتوقع أن يقول: ثم عثمان، لو أنه يسمع من أبيه سبًا وشتمًا لعثمان كما يفعل هـؤلاء المخـذولون من الروافض ما توقع أن يكون الثالث عثمان، فأراد أن يقول: إن الأفضل بعدهما أنت.

يقول: فقلت: ثم أنتَ يا أبت؟ فقال على سبيل التواضع والهضم النفسي رضي الله عنه: ما أنا إلا رجل من المسلمين، كل هذا دال على أن الأفضلية لهؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم، ولهذا جاء أثر سفيان من زاويـة فقهية محضة.

يقول: مَنْ زَعَمَ أن عليًّا كان أحقَّ بالولاية منهما، أي أبي بكرٍ وعمر فقد خطَّأ أبا بكر وعُمرَ والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، يعني أنه قدح فيهم من جهة أنهم اختاروا أبى بكر، لما قربت وفاة أبي بكرٍ أوصى لعمر فقبل الصحابة، لعلمهم رضي الله عنهم أن عمر خيرهم بعد أبي بكر.

ثم جعل عمر رضي الله عنه الأمر شورى في ستةِ نفر، وهم بقية العشرة توفي أبو بكر وطُعن عمر وأبو عُبيدة توفي في طاعون عام واس، بقي منهم طلحة والزبير وعليٌ وعثمان، وعبد الرحمن بـن عـوفٍ وسـعد، وسعيد بن زيد بن عمر بن الفضل.

فـأقصى سعيد بن زيد لأنه بن عمه ولم يرد أن يجعله معهم؛ وجعـل الأمـر في هـؤلاء السـتة رضي الله عنهم أجمعين، فاختار المسلمون عثمان بن عفان بن أن سُأل المهاجرون والأنصار وأمـراء الأجنـاد، وسُـأل عموم المسلمين من يقدم عليٌ أو عثمان؟.

فقال عبد الرحمن: يا علي إن لم أرى الناس يعدلون بعثمان أحد، لأن الخلافة انحصرت في اثنين تنـازل طلحةُ وتنازل سعدٌ وتنازل الزبير، وكذلك بقي ثلاثة علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن: تجعلان الأمر إليَّ يعني في الاختيار من بينكم على أن لا ألي شيئًا، ما أكـون أن واليًـا أخرج كما خرج الثلاثة الآخرون، وينحصر الأمـر في أحـدكم ولكـن عـليَّ أن لا ألـوا يعنـي لا أقصر في الاختيار.

فسأل المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، ومسلمة الفتح وعموم المسلمين فكان عثمان رضي الله عنه لا يعدلون به أحدًا مطلقًا، لهذا قال الإمام أحمد: ما بُيع أحد بيعة كما بُيع عثمان، لأنها كانت بيعة عامة اتفاق عموم المسلمين.

فمن قال: إن عليًا أفضل من عثمان فقد أذرى بالمهاجرين والأنصار، لأنهم اختاروه أمـا مـن قـال: إن عليًا أفضل من أبي بكر وعمر، وأن يستحق الخلافة دونهما، فهذا لا شك أنه أخبث قولًا وأفسد رأيًـا وهـو من أسذج وأخس الناس فهمًا.

أحد يعقل يقول: إن أبى بكر يسبقه أحد، الذي يقول هذا لا يفهم النصوص حتى نصوص الْقُرْآنَ، ما أحد سُمي في الْقُرْآنَ باسم الصحبةِ مفردا إلا أبو بكر: ﴿إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾.

لهذا قال أهل العلم: لو أنكر أحدٌ صحبة أبي بكرٍ لكفـر، لأنـه صـحبته منصـوصٌ عليهـا في الْقُـرْآنَ، ففضل أبي بكر وعمر هذا باتفاق الأمة، قال بعض أهل الكوفة: إن عليًا هو في المرتبة الثالثة بعد عمر، وهذا الذي أشار إليه بن الحنفية قال: ثم أنت.

والصحيح أن عثمان أفضلُ من عليٍ –رضي الله تعالى عنهم أجمعين–، وأن عليًا نفسه يفضل عثمان على نفسه، لأن جاء في بعض الروايات أن عليًا قال: بعد عمر ثم عثمان، لأنه عدلٌ رضي الله عنه يعلم أن عثمان أفضل منه.

وهذا التفضيل ليس بالهوان، يعني يأت إنسان يقولك أبو بكر أفضل لا بل عبد الرحمن أفضل لا بل سعد أفضل، ليست المسألة خبصًا التفضيل يحتاج إلى نصوص؛ فهذا التفضيل بين الرسل لا يجترأ عليه إلا بسبب قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وإلا لكف الناس يعني ما تكلموا.

لكن دلت الآية على أنهم يفضل بعضهم على بعض، الحاصل أن جميعهم -رضي الله تعالى عنهم- جميع الصحابة رضي الله عنهم على مرتبةٍ عليا من الرفعة والمكانة التي ارتضاها الله لهم، كما قال بن مسعود رضي الله عنه : "قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه".

اختارهم الله اختيارًا ما كانوا في زمنه عبطًا هكذا معاذ الله، بل اختارهم الله لأنه أشرف الأمة وأفضل الأمة، والأمر كما قال أحمد وبن معين وغيرهم من أهل العلم: الصحابي الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل من القرن الذي جاء بعده، ولو عملوا ما عملوا من الأعمال.

درجة الصحبة لا يمكن أن يدركها أحدٌ بتاتًا، الصحابيُ هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به ومات على ذلك، حتى لو كان لقياه للنبي صلى الله عليه وسلم مدةً يسيرة، كأن يأت ويسلم على يديه ويرجع إلى أهله يكفي هذا، يكفيه فيه شرفًا لأن الله اختارهم اختيارًا -سبحانه وتعالى-.

الأثر الأخير هل يقال: إن الخلفاء أربعة أو خمسة؟ جاء عن سفيان وإن كان في سنده مقام هنا، أن الخلفاء خمسة والأربعة معروفون رضي الله عنهم لكن القول بأن عمر بن عبد العزيز خليفةٌ راشدٌ خامس محل خلاف، ولهذا يختصر على الأربعة، يقال: الخلفاء الراشدون أربعة: أبو بكر، وعمرُ، وعثمانُ، وعلي.

كلمة الراشدين هذه لها اضبط شرعي، قال صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»(٨٣)، فهذه التسمية الشرعية والمعروف بالخلفاء الراشدين هم أربعة، وعمرو بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- خليفةٌ عادل صالحٌ فقيه ورع -رحمة الله تعالى عليه-؛ لكن القول: بأنه من الخلفاء الراشدين هذا يحتاج إلى دليل، فالصحيح أنهم أربعة.

(٨٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم- باب ما جاء في الآخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

وجيء عن أحمد -رحمه الله- أنه أنكر هذا، قال: لا يقال هذا إلا في الأربعة، خلفاء راشدون على وصف شرعي، كما قال صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»(٨٤)، أما عمر بن عبد العزيز خليفةٌ عادلٌ من خيار الخلفاء؛.

بل لو قيل: إنه لا يُعلم خليفةٌ بعده أفضل منه، كان هذا كلامٌ صحيح لا يُعلم أن أحدًا أفضل من عمر بن عبد العزيز بعده تولى حتى يقال، والدليل على هذا تعرفوه إلى الآن وعمر بن عبد العزيز يذكر.

لو جاء خلفاء أفضل من عمر بن عبد العزيز لغمروه وغطوه، لكن لأنه لم يأت خليفةٌ بعده أفضل منه فإنه ظل مضرب المثل -رحمه الله تعالى-؛ لكن لا يقال: إنه خليفةٌ راشد الخلفاء الراشدون أربعة.

(المتن)

"باب في الخلفاء".

وعن ابنِ عباسٍ، قال: كان أبو هريرة يحدِّث أن رجلًا أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أرى اللَيلةَ ظُلَّةً يَنطِفُ منها السَّمْنُ والعَسَلُ، فأرى الناسَ يتكففُون بأيديهم، فالمستكثِرُ والمُستقلُّ، وأرى سَببًا واصلًا من السماء إلى الأرض، فأراك يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذتَ به فعلوتَ به.

ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وُصِلَ فعلا به، قال أبو بكر: بأبي وأمِّي لتَدَعَنِّي فلأُعَبِّرنَّها.

فقال: "أعْبُرْها" قال: أما الظُّلة فظُلَّةُ الإسلام، وأما ما يَنطِفُ من السمنِ والعَسل، فهو القرآنُ لِينُه وحلاوتُه، وأما المستكثِرُ والمُستقِلُّ فهو المستكثِر من القرآن والمستقلُّ منه.

وأما السَّبب الواصل من السماء إلى الأرض، فهو الحقُّ الذي أنت عليه: تأخُذُ به فيعليك الله، ثم يأخذُ به بعدَك رجلٌ فيعلُو به، ثم يأخُذُ به رجل آخرُ فيعلُو به، ثم يأخُذُه رجل آخر فينقطع، ثم يوصَلُ له فيعلو به.

(٨٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم- باب ما جاء في الآخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

أي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لَتُحَدِّثني أصبتُ أم أخطأتُ، فقال: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا»، فقال: أقسمتُ يا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم - لَتُحَدِّثني ما الذي أخطَأْتُ، فقال النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تُقْسِمْ»(85).

وعن ابنِ عباسٍ -رضي الله عنهما-، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، بهذه القصة، قال: فأبى أن يخبِرَه.

عن أبي بَكرَة، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟»(86)، فقال رجل: أنا، رأيت كأن ميزانًا نَزلَ من السماء، فوُزِنْتَ أنتَ وأبو بكر، فرجَحْتَ أنتَ بأبي بكر، ووُزِنَ عُمرُ وأبو بكر، فرجَحَ أبو بكرٍ، ووُزِنَ عُمر وعثمانُ، فرجح عُمرُ، ثم رُفعَ الميزانُ، فرأينا الكراهيةَ في وجهِ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم-.

وعن أبي بَكرَة رضي الله عنه، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم هي قال ذات يوم: «أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا؟»(87)، فذكر معناه، ولم يَذكرِ الكراهيةَ، قال: فاسْتاء لها رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، يعني فَساءَهُ ذلك، فقال: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»(88).

وعن جابر بن عبد الله، أنه كان يُحدث، أن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم - قال: «أُرِيَ اللَّيلة رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكر نِيَط برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ونِيطَ عُمرُ بأبي بكرٍ، ونِيطَ عثمانُ بعُمرَ»(89).

---

(85) أخرجه البخاري في كتاب التعبير- باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب (7046)، ومسلم في كتاب الرؤيا- باب في تأويل الرؤيا (2269).

(86) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (1386)، ومسلم في كتاب الرؤيا- باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (2275).

(87) أخرجه أحمد في «مسنده» (34/ 95)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ (4635).

(88) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الخلفاء (4634)، والترمذي في «جامعه»: كتاب الرؤيا- باب ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الميزان (2287)، والنسائي في «سننه الكبرى» (8136)، وأحمد في «مسنده» (5/ 44،50)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (3/ 74)، (4/ 436).

(89) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الخلفاء (4636)، وأحمد في «مسنده» (3/ 355)، وابن حبان في «صحيحه» (6913 ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (3/ 75، 109)، وفيه: عمرو بن أبان بن عثمان، ذكره ابن حبان في «الثقات» (7/ 216)، وقال: «وقد روى عن جابر بن عبد الله أن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن عمر نيط بأبي بكر، فلا أدرى أسمع منه أم لا».

قال جابر: فلما قُمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا: أما الرجلُ الصَّالِحُ فرسولُ الله – صلى الله عليه وسلم–، وأما تَنَوُّطُ بعضهم ببعض فهم وُلاةُ هذا الأمر الذي بَعَثَ الله به نبيه– صلى الله عليه وسلم.

قال أبو داود: رواه يونس وشعيبٌ، لم يذكرا عَمْر بن بان.

وعن سَمُرَة بن جُندُبٍ رضي الله عنه : أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، إني رأيتُ كأن دَلْوًا دُلِّي من السماء، فجاءَ أبو بكرٍ، فأَخَذَ بعَرَاقيها فشَرِبَ شُربًا ضعيفًا، ثم جاءَ عُمرُ فأَخَذَ بعَرَاقيها فشَرِبَ حتى تَضَلَّعَ، ثم جاء عثمانُ فأخذ بعَرَاقيها فشَرِبَ حتى تَضَلَّعَ، ثم جاء عليٌّ فأخذ بعَرَاقيها، فانْتَشطَتْ، وانتُضِحَ عليه منها شيءٌ.

(الشرح)

هذه الأحاديث متعلقة بالخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم، والباب عقده في الخلفاء، وفي نسخة: "باب ما قيل في الخلفاء"، وسيذكر ما جاء في الخلفاء سواءٌ من النصوص النبوية أو ما جاء من مما يتعلق بتصرفات بعض الخلفاء.

كما سيأتي بما يذكره عن الحجاج وغيره، الأحاديث الأولى فيها رؤى والرؤيا الصالحة جزءٌ من أجزاء النبوة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا»[(٩٠)]، ويقول صلى الله عليه وسلم: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ أَنْ تَكْذِبَ»[(٩١)].

فإذا كانت رؤيًا سليمة ليست من تلبيس الشيطان، ولا من حديث المرء نفسه فإنه يكون لها مدلول، في هذا الحديث أن رجلًا أتاه صلى الله عليه وسلم فقال: إني أرى الليلةَ ظُلَّةً تنطِفُ أي تقطر السَّمْنُ والعَسَلُ، فأرى الناسَ يتكففُون أي يأخذون بأكفهم.

فمنهم المُستقلّ ومنهم المستكثِرُ،

(٩٠) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٣).

(٩١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب – باب ما جاء في الرؤيا (٥٠٢١).

أبو بكر رضي الله عنه كان معروفًا بتعبير الرؤى، فلما ألقيت الرؤيا على النبي صلى الله عليه وسلم طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبر ويفسر هذه الرؤيا، في هذه الرؤيا أن الرائي أيضًا رأى سببًا وهو الحبل واصلًا بين السماء والأرض، قال: أراك يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذتَ به فعلوتَ به.

ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وُصِلَ فعلا به، أبو بكر طلب من النبي صلى الله عليه وسلم طلب إلحاح قال: بأبي وأمِّي لتَدَعَنِّي فلأُعَبِّرَنَّها، لأنه كان معروفًا بالرؤى.

وأراد أيضًا أن يكون هذا من باب تعبير الرؤيا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يوضح له ويبين له ما الذي أصاب فيه مما أخطأ من هذا التعبير، ثم ذكر التعبير الذي ذكرت، النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا»(٩٢).

من شدة اهتمام أبي بكرب بالموضوع وحرصه على أن يعرف الصواب، أقسم قسمًا بالله عز وجل أقسمتُ يا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لَتُحَدِّثَنِّي ما الذي أخطَأْتُ، يعني يريد أن يعرف صوابه من خطأه.

فقال النبيَّ صلى الله عليه وسلم: «لا تُقسِمْ»(٩٣)، والرؤيا فيها شيء مما قد يحزن، وأن الثالث منقطع به وهو عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، في الحديث بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرةً: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟»(٩٤)، وكان يسأل الصحابة رضي الله عنهم: «أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا؟»(٩٥)، فيحدثه من شاء الله من الصحابة برؤيًا رآها فيفسرها صلى الله عليه وسلم.

---

(٩٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير- باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب (٧٠٤٦)، ومسلم في كتاب الرؤيا- باب في تأويل الرؤيا (٢٢٦٩).

(٩٣) أخرجه البخاري في كتاب التعبير- باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب (٧٠٤٦)، ومسلم في كتاب الرؤيا- باب في تأويل الرؤيا (٢٢٦٩).

(٩٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٦)، ومسلم في كتاب الرؤيا- باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (٢٢٧٥).

(٩٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٤/ ٩٥)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ (٤٦٣٥).

فقال رجل: رأيت كأن ميزانًا نَزلَ من السماء، فوُزِنْتَ أنتَ وأبو بكر، فرجَحْتَ أنتَ بأبي بكـر، ووُزِنَ أبو بكر وعُمرُ، فرجَحَ أبو بكرٍ، ووُزِنَ عُمر وعثمانُ، فرجح عُمرُ، لأن الأفضـلية هكـذا لاشـك أن النبـي صلى الله عليه وسلم أفضل بني آدم صلى الله عليه وسلم ثم بعده وبعد الأنبياء المقصود.

لكن المقصود في هذه الأمة الأفضلية أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم رُفعَ الميزانُ، الميـزان هـذا لـه صـلة برسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة من بعده، قال: فرأينا الكراهيةَ في وجـهِ رسـولِ الله-صـلى الله عليـه وسلم-.

في اللفظ الأخر أن النبي صلى الله عليه وسلم استاء لها، استاء لهذه الرؤيا وقـال: «خِلَافَـةُ نُبُـوَّةٍ»(٩٦)، يعني هؤلاء خلفاء للنبي ثم يؤتي الله الملك من يشاء، الحديث الذي بعده في سنده مقال، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«أُرِيَ اللَّيلةَ رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكر نِيَط برسول الله -صلى الله عليه وسلم-»(٩٧)، إلى أخره كـل هـذه دالة على ما يتعلق بأن الخلفاء الثلاثة بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم أبي بكرٍ ثم عمر ثم عثمان، ثـم عـليٌ قطعًا منهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

لكن الأمور في وقتٍ صار فيها اضطراب صار فيها اختلاف، فلأجل هذا رؤية الكراهة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم عثمان كما في الأحاديـث الأخـرى أنـه ستصـيبه بلوى كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه لما صار بوابًا للنبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن أبـو بكـر في ذلك الحائط.

فقال -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ-: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فاستأذن عمر فقال: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فأستأذن عثمان قال: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»(٩٨)، فقال الله المستعان.

---

(٩٦) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الخلفاء (٤٦٣٤)، والترمذي في «جامعه»: كتاب الرؤيا- باب ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الميزان (٢٢٨٧)، والنسـائي في «سـننه الكـبرى» (٨١٣٦)، وأحمـد في «مسـنده» (٥/ ٤٤، ٥٠)، والحـاكم في «المسـتدرك عـلى الصـحيحين» (٣/ ٧٤)، (٤/ ٤٣٦).

(٩٧) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الخلفاء (٤٦٣٦)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٣٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩١٣ ابن بلبـان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٥، ١٠٩)، وفيه: عمرو بن أبان بن عثمان، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٢١٦)، وقال: «وقد روى عن جابر بن عبد الله أن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن عمر نيط بأبي بكر، فلا أدرى أسمع منه أم لا».

البلوى التي أصابته هي ما وقع له على يد الثوار، المفسدين في الأرض من دخوله بيته وقتله بين أهله ونسائه -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- مظلومًا شهيدًا، فالنبي -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ- أخبره.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ قَمَّصَكَ قَمِيصًا وَأَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ»(٩٩)، والقميص هو قميص الخلافة، وهذا سبب إصرار عثمان رضي الله عنه على أن لا يترك الخلافة.

على خلاف ما قاله بعض الجهلة من الذين لا يفقهون ولا يعول في هذه الأزمة، يشتغل حتى على الصحابة وإن حملوا شهادة الدكتوراه، يقول: إن عثمان سامحه الله أول من أصر الاستمساك بالكرسي، وكلام قذر قبيح ولا يقال في صحابي جليل.

ومن أظهر الأدلة على جهل هؤلاء القوم الذين لا يفقهون، عثمان قد جاوز الثمانين وليس له طمعٌ في الخلافة، وكان قد أسن جدًا وتقدمت به السن ولما أحاط الثوار بداره خيروه بين أن يترك الخلافة أو أن يقتلوه.

الخلافة قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ قَمَّصَكَ قَمِيصًا وَأَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ»(١٠٠)، عندك الآن سد منيع فلا تخلعه، يعني حتى وإن قتلت، وقد جاء عنه -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ- أنه لما قتل عثمان رضي الله عنه، وطلب من يدافع عنه.

قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إليَّ عهدٌ وأنا صائر إليه، يعني النبي صلى الله عليه وسلم أمرن أن أصر يعني أنا أبقى في الخلافة، حتى لا تكون الأمور فوضى، كلما أراد مجموعة من الهمج والفوضويين إسقاط خليفة طوقوا داره وقالوا: تنازل.

---

(٩٨) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : «لو كنت متخذًا خليلًا» (٣٦٧٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤٠٣).

(٩٩) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٤٤، ١٤٩)، والترمذي في كتاب المناقب- باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٧٠٥)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب فضل عثمان (١١٢).

(١٠٠) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٤٤، ١٤٩)، والترمذي في كتاب المناقب- باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٧٠٥)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب فضل عثمان (١١٢).

فإذا تنازل الخلية وبايع هؤلاء المجرمون واحدًا منهم، وألزموا الناس ببيعتهم وكتبوا ببيعته إلى الناس، ما الذي يحدث؟ فقد ثبت عثمان لهذا السبب يعني ما ثبت إلا لأن النبي أمره أن الواجب أن تكف الألسن، والأقلام الجهولة التي لا تعي ولا تفقه النصوص.

ومن أحسن من تكلم عن موضوع عثمان رضي الله عنه الآجري -رحمه الله تعالى-، وشيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى-، الآجري ناقش هذه المسائل وقال: إن قال قائل: فلماذا ثبت عثمان ولم يترك الخلافة، قال -رحمه الله -: هذا من جهلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن لا يترك الخلافة.

الحاصل أن عثمان رضي الله عنه أصابه ما أصابه، ولهذا وجدت المسائة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم لما عرف تعبير الرؤيا، قال الشراح: إن هذا هو السبب في كون النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبر أبى بكرٍ بتعبير الرؤيا، لأن الرؤيا فيها شيء محزن متعلق بعثمان رضي الله عنه .

وأبو بكر يقول: والله يا رسول الله لتخبرني من الذي أصبت وما الذي أخطأت، لو أخبره لبين له شيئًا مما يتعلق بالمصيبة التي تتعلق بعثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، وذلك في مجلسٍ مشهود.

بينما لما أراد عثمان رضي الله عنه استدعاه وأخبره أن المنافقين سيعملون على أن يزيحوه، وأمره بالصبر ولما استأذن كان البواب بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أبو موسى فقط، قال: «بَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»(١٠١)، فلهذا لم يبادر صلى الله عليه وسلم إلى التعبير لهذا السبب.

الحديث الذي بعده أيضًا مثله، فيه أن أبى بكرٍ رضي الله عنه أخذ بعراقيها هذه الدلو، والعراقي أعواد يخالف بينها ثم تشد في عرى الدلو، الدلو له عرى فتوضع أعواد حتى يرفع الدلو، فشرب فشَرِبَ شُربًا ضعيفًا، لماذا شرب أبى بكرٍ ضعيف؟ لقصر مدته فإن خلافته كانت سنتين وأشهرًا يسيرة.

أما عمر وعثمان فطالت خلافته، خلافة عمر رضي الله عنه خلافته عشر سنين وزيادة، وعثمان رضي الله عنه خلافته اثنتا عشرة سنة فطالت مدتهم؛ ولهذا اتسعت الفتوحات في زمنهما -رضي الله عنهما- اتساعًا أشد من زمن أبي بكر.

(١٠١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : «لو كنت متخذًا خليلًا» (٣٦٧٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤٠٣).

لأن أبى بكر اشتغل في بداية خلافته بالمرتدين، وإعادتهم إلى حظيرة الإسلام، فمكث فترة ثم بدأ في الغزو لاحقًا فلم ينشد أن توفي رضي الله عنه .

(المتن)

وعن مكحولٍ-رحمه الله تعالى-، قال: لَتَمْخُرَنَّ الرُّومُ الشامَ أربعينَ صباحًا لا يَمتنعُ منها إلا دمشقُ وعمَّان.

وعن عبدَ الرحمن بنَ سلمان، يقول: سيأتي مَلِكٌ من ملوك العَجَم يَظهرُ على المدائن كلِّها إلا دمشقَ.

وعن مكحول-رحمه الله تعالى-، أن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم - قال: «مَوضِعُ فُسطاطِ المسلمين في الملاحِمِ أرضٌ يقال لها الغوطة»(١٠٢).

(الشرح)

هذه الآثار الثلاثة عن مكحول فيه مقال في الأثر الأول: لَتَمْخُرَنَّ الرُّومُ الشامَ أربعينَ صباحًا لا يَمتنعُ منها إلا دمشقُ وعمَّان، وحتى لو صح عن مكحول فإنه يكون في حكم المرسل، وأيضًا لم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأثر فيه ضعف.

قول عبدَ الرحمن بنَ سلمان -رحمه الله تعالى-: سيأتي مَلِكٌ من ملوك العَجَم يَظهرُ على المدائن كلِّها إلا دمشقَ، عبد الرحمن أيضًا من التابعين -رحمه الله تعالى-، ولم يروه موصولًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو من كلامه هو-رحمه الله-.

الحديث بعده أيضًا عن مكحول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَوضِعُ فُسطاطِ المسلمين في الملاحِمِ أرضٌ يقال لها الغوطة»(١٠٣)، وهي في دمشق لا تزال تسمى بالغوطة إلى الآن وأيضًا هذا الأثر عن مكحول أرسله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الصحابي.

(١٠٢) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم- باب في المعقل من الملاحم (٤٢٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(١٠٣) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم- باب في المعقل من الملاحم (٤٢٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

وجاء في أحاديث كثيرة أن الملحمة الكبرى، ستكون بين المسلمين وبين أذاهم الله الروم في الشام الأحاديث عنها كثيرة؛ لكن مما لا يشك فيه ولا يرتاب أن من الخلل الكبير جدًا، وهذا حدث عدة مرات حتى في الأزمنة الكبيرة من عام ألف وأربعمائة وعشرة وما بعدها.

من الخلل الكبير أن تؤخذ مثل هذه الأحاديث وتنزل على وقائع، ويقال: إنها المراد بقول النبي صلى الله عليه وسلم هذا في الحقيقة أنه جرأة، كما تقول العربُ: أجرأ من خاص الأسد، جرأة عجيبة جدًا من الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لما كانت الحرب الأولى على العراق أنزل كثيرٌ من خطباء الجمعة، ومن الوعاظ الحديث الصحيح الذي في مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تأتيكم الروم في ثمانين راية تحت كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(١٠٤).

وذكر الملحمة الكبرى التي تكون بين المسلمين والروم؛ وأن من شدتها أن الطير يمر من فوقهم فيسقط، يعني من شدة وكثرة الجيف كثرة الموتى، حتى يتعادى بنو الجد يبلغون المائة لا يوجد منهم إلا واحد، فقال قائلٌ: هذا هو المقصود.

هل وقع هذا؟ ما وقع، بهذا أتريدون أن يكذب الله ورسوله، خطأ عظيم جدًا أن تبادر تجد حديثًا فتنزله على واقعة، أليس من السوء عندك؟ هذه الأحاديث الله عز وجل كما يعلم مكانها يعلم زمانها -سبحانه وتعالى-.

فالمبادرة بأن يقال: هذا المراد هذه الواقعة المحددة الكائنة الآن، هذا خطأ كبير وهو تعريضٌ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم للتكذيب، بأن يقول: المنافقون والزنادقة والعلمانيون والروافض أين حديثكم؟.

(١٠٤) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٩٨٥)، وابن ماجه في كتاب الفتن – باب أشراط الساعة (٤٠٤٢) بألفاظ متقاربة، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

أين القتلى الذين يمر الطير من فوقهم فيسقط؟ أين بنو الجد الذين يبلغون المائة يتعادون لا يوجد منهم إلا واحد؟ بنو الجد له أحفاد عدة يبلغون مائة، وبيدوا كلهم ما بقي إلا واحد أين هذا؟ هل تحقق؟ والله يعلم أنه سيكون وسيتحقق بلا ريب؛ لكن: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى﴾.

فمن الخطأ الكبير الآن الواقع من الوعاظ وأنصاف المتعلمين، أن يأت إلى حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وينزله على واقعة، وهذا كثير كثيرْ الآن وصار يفشى في رسائل الجوال وفي غيرها، يقال: أن النبي صلى الله عليه وسلم يقصد كذا.

هذه الأحاديث يجب أن يكون دونها سياج عظيم من الاحترام والتقدير، وعدم الخوض في تفسيرها من قبل أي أحد، لأن تفسيرها على هذه الطريقة إذا ارتفع الحدث هذا وانتهى انفتح باب التكذيب في النص.

فقيل: قلتم إن النبي صلى الله عليه وسلم أراد هذه الواقعة، وها نحن نرى بأعيننا أن هذه الواقعة ما تحقق فيها الذي ...، فمن الذي يخطأ؟ الذي يخطأ المتهور المتعجل الذي أنزل حديث النبي صلى الله عليه وسلم على همه الساذج هو، أتدري متى يكون هذا؟ بعد ألف أو ألفين سنة، أو بعد عشر أو عشرين سنة، أو بعد يوم أو يومين ما تدري لا تعرف.

كما أنك لا تدرس متى سينزل المسيح ومتى سيكون الدجال؟ ومتى سيكون قوم يأجوج ومأجوج؟ لا تدري فكذلك مثل هذه النصوص، الذين تعجلوا فيمن ظنوا مثل هذه الأمور سابقًا، والذين تعجلوا الآن والذين سيتعجلون لاحقًا، كلهم قد اجترئوا على النص.

نص النبي صلى الله عليه وسلم حق لا يمكن أن يتطرق إليه الخلل، وإنما الإشكال الكبير في العجلة في تفسيره ومنه ما يتعلق بالمهدي، المهدي ثابت ثبوت لا إشكال فيه عند أهل السنة.

وأبو داود -رحمه الله تعالى- في هذا الكتاب، قد وضع كتابًا متعلقًا بالمهدي، أحاديث المهدي فيها الضعيف وفيها الصحيح؛ لكن لا شك أن المهدي حق، كم ادعى المهدي من الناس؟ مثل أن يقول: أن المهدي ويتبعه ألوف، إلى الآن.

حتى في رجل الآن ادعى أنه نبي وله أتباع لا يحصرون، المهدي دلت الأحاديث على وصفٍ له دقيق جدًا لا يختلف على المسلمين إذا جاء وقته، فكل مرة يدعي إنسان يقول: أن المهدي، يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح لأبي داود ذكر المهدي وأنا المهدي، فيتبعه أعداء الله.

ومنه مثل هذه الوقائع التي تكون، يقال مثل هذا الذي يقع الآن في الشام هو المقصود في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، كيف تقول مثل هذا؟ النبي -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ- أخبر أن موضع الفسطاط.

والفسطاط هو الخباء من الشعر أو غيره الذين يكون فيه المسلمون، وتكون فيه الملاحم العظام بين أهل الإسلام وبين أهل الروم، فتكون في الشام، لكن الآن لماذا لم يكن في فترة الاستعمار المسماة بالاستعمار الحقيقة؟ وهي فترة الاحتلال الحقيقة.

أما أتى الروم واحتلوا بلاد المسلمين، وتمكنوا من لبنان والأردن وسوريا وفلسطين؟ كل هذا وقع لماذا لم يتحقق هذا الحديث؟ لأنه ليس وقته فقط، أما إذا جاء وقته فإن الذي أمسك السموات والأرض أن تزولا؛ سيوقعه -سبحانه وبحمده-.

فلا يستعجل ما هو كل مرة يأت الروم أو يقع حدث من الأحداث يبادر الناس ويقولوا: هذا المراد، احتل أعداء الله من الروم من الفرنسيين والبريطانيين وغيرهم، مجموعة كبيرة من هذه البلاد سنوات متوالية.

فالذي عنده إيمان وثقة بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: نحن نعلم أن هذه واقعة ستكون؛ لكن هذا الاحتلال ليس هو المقصود، لا يستعجل وهكذا كل ما يقع من حدث يبادر الناس ويقول: هذا الحديث هو المقصود به؛.

حتى أخرج بعض السفهاء الكذبة أرجوزةً من فترة، وقالوا: إن هذا في القرن الثامن أخبر بأنه ستكون أوصافه كذا وكذا، كاذبون هؤلاء والله، حتى الشخص المسمى بالموصلي وغيره وأن المقصود به كذا، وأن سيكون كذا وسيفعل به. . . كل هذا من الإرجاء والروافض وأضرابهم.

ومحاولة ربط ما يقع من أحداث بأمور، لو اعتقد هذا في ذاك الشاعر المجهول غير الموجود هنا، لا أساس له وليست له حقيقة لكان هذا من اعتقاد أنه يعلم الغيب، الغيب الذي لا تعلمه الرسل.

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى-: العلم التفصيلي بالغيب لا يكون إلا برسول، يخبرك النبي بشخص مثل الدجال وبيأجوج ومأجوج وترتيب، هذا لا يكون إلا لنبي فاعتقاد مثل هذه الأمور خطير خطر جدًا على عقلية الإنسان.

معناه أن الناس يعلمون الغيب، شخص من القرن الثاني يصف لك الناس ماذا يفعلون وأنه سيفعل كذا، لهذا الحد صارت عقيدة الناس متهافتة بهذه السهولة، يكذب رافضي أو مخالف صوفي ويدعي مخطوطة، هل تظن أن مسألة المخطوطة عثرة؟.

الآن مجمعة من العابثين الذين يأتون بالنقود القديمة، ويضرب عليها شكة عبد الملك بن مروان تخفى على كثير من الناس وتشترى بالآلاف يظن أنها شكة عبد الملك بن مروان، ويأت بمخطوطة ويعالجها بطريقة معينة تجعل شكل الورق قديم، ويخطوا خطًا ويبيعه على الناس. . .

هذه وجدت عام القرن الخامس هذه ليست، لهذا خبراء المخطوطات وأمثالهم يشتركون الفرق بين هذا الخط، وهذا الخط أصلًا ليس بخط القرن الخامس، هذا الخط من خط القرن العاشر، وهذه الأوراق أنا أعطيك ورقةً جديدة وأعالجها بطريقةٍ معينة.

أرأيت الورقة الآن كيف صارت قديمة هذه ألاعيب، الغيب لله كما قال عز وجل : ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الغَيْبُ لله﴾، ولهذا إذا أتتنا أحاديث فعلين أن نتقي الله في إنزالها، لأننا إذا أنزلناها على وقائع وانتهت الوقائع كُذب الرسول صلى الله عليه وسلم.

فليتقى الله عز وجل وليعلم أن مثل هذه النصوص وغير هذه النصوص، إنه من علامات ودلائل النبوة لا يحل أن يتقدم بين يدي الله ورسوله، يقال: هذا هو المقصود، إلا إذا وقعت وقوعًا واضحًا وهذا لأهل العلم.

يا إخوة يا كرام ألسنا الآن نرجع في ألفاظ هذه الأحاديث إلى العلماء وللشراح؟ فكيف نأت للواقع بأشد من توضيح الكلمة، الواقع هنا ننزله على الحديث وننزله على واقعنا، هذا أشد من شرح الحديث.

يعني إذا كان في الحديث مثلًا الخباب، نأت ونرجع فنقول: ما المقصود بالخباب؟ هذا نرجع إلى غيرنا من أهل العلم، فكيف نقول: الواقعة نفسها هذه التي وقعت هي المرادة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، هذا أشد.

أما إذا أتضح الأمر فنعم، كما قالت أسماء -رضي الله عنها- للحجاج لما قتل ابنها، عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما-، قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه يخرج في ثقيفٍ كذابٍ ومبيد أما الكذاب فقد عرفناه، تعني المختار بن أبى عبيدة الثقة، وأما المبيد فلا أُراه إلا أنت.

المبيد وهو المهلك الذي يهلك الناس، قال أهل العلم: فكان الحجاج هو المبيد فعلًا، أنظر صحابية روت الحديث وأنزلته على، لأن الصحابة أفقه بالأحاديث، أما تأثير الأحاديث في هذا القرن أو لما كانت فترة الاحتلال المسماة فترة الاستعمار فيقال: هذا هو المقصود، نأت الآن فنقول: هذا هو المقصود، ثم نموت ويأت أناسٌ بعدنا الله أعلم متى يقع؟ فتع وقائع مماثلة أو مقاربة يقول: هذا المقصود.

هذا يعرض حديث النبي صلى الله عليه وسلم للتكذيب، في كل مرة نقول: هذا هو المقصود، ومن قبلنا يقول: هذا هو المقصود، ومن بعدنا يقول: هذا هو المقصود، انتظر حتى تراه بعينك، إن كان -الله تعالى- قد كتب لك حياةً، وأنت لست بحاجة إلى تصدق النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترى.

أنت تصدقه صلى الله عليه وسلم بالغيب الذي تؤمن به، فالحاصل أن هذا من الخطر الكبير وهذا من الأشياء التي تسارع فيها الناس، والعجب أن بعض من تسارعوا فيها بعضُ من كبار السن وممن يعني لديهم نوع من المسحة العلمية، ومع ذلك تسارعوا في هذه المسائل.

لأن هذه المسائل أيها الإخوة إذا تكلمت فيها أنت بكلمة الآن، خلال عشر دقائق تصل المغرب والمشرق، فهذه من المسائل التي تنتشر فتتسبب في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأرض، فاتقي الله واضبط أمر الأحاديث النبوية وأعلم أن الجرأة على تفسيرها ليس بالأمر الهين.

أحيانًا يجلس إنسان كلما أتت واقعة، قال: المقصود بحديث النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا، نتقي الله عز وجل ونتأدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم.

(المتن)

وعن عوف، قال: سمعتُ الحجّاج يخطُبُ وهو يقول: إن مَثَلَ عثمانَ عند الله كمثلِ عيسى ابن مريم، ثم قرأ هذه الأية يقرَؤها ويفسِّرها: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(١٠٥) يشير إلينا بيده وإلى أهل الشَّام.

وعن الربيع بن خالد الضَّبِّيِّ، قال: سمعتُ الحجَّاج يخطُبُ، فقال في خطبته: رسولُ أحدكم في حاجته أكرمُ عليه أم خليفته في أهله؟ فقلت في نفسي: لله عليَّ ألا أُصلِّي خلفَكَ صلاةَ أبدًا، وإن وَجَدْتُ قومًا يجاهدونَكَ لأجاهِدَنَّك معهم.

زاد إسحاق في حديثه: قال: فقاتل في الجماجم حتّى قُتِلَ.

وعن عاصم، قال: سمعتُ الحجَّاج وهو على المنبر وهو يقول: اتَّقوا الله ما استطعتم ليس فيها مَثْنويَّة، واسمعوا وأطيعوا، ليس فيها مثنويَّة، لأمير المؤمنين عبد الملك، والله لو أمَرْتُ الناس أن يخرجوا من بابِ من المسجد، فخرجوا من بابٍ آخر لحلَّتْ لي دماؤهم وأموالهم.

والله لو أخذتُ ربيعةَ بمضَرَ، لكان ذلك لي من الله حلالًا، ويا عَذيري من عَبد هُذَيلٍ، يَزعُمُ أن قراءته من عند الله، والله ما هي إلا رَجَزٌ من رجز الأعراب، ما أنزلها الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم، وعَذيري من هذه الحمراء، يَزعُمُ أحدهم أنه يرمي بالحجر، فيقول: إلى أن يقع الحجرُ حَدَثَ أمر، فوالله لأَدَعَنَّهم كالأمسِ الدَّابر.

قال: فذكرته للأعمش، فقال: أنا والله سمعته منه، وعن الأعمش، قال: سمعتُ الحجاج يقول على المنبر: هذه الحمراء هَبْرٌ هَبْرٌ، أما والله لو قد قَرَعْتُ عَصًا بعصًا، لأذرنَّهم كالأمس الذَّاهب، يعني الموالي.

وعن سليمانَ الأعمش، قال: جمَّعتُ مع الحجاج، فخطب، فذكر حديثَ أبي بكر بن عياش، قال فيها: فاسمعُوا وأطيعوا لخليفة الله، ولصفيِّه عبد الملك بن مروان، وساق الحديث، قال: لو أخذت ربيعةَ بمُضَرَ، ولم يذكر قصةَ الحمراء.

(الشرح)

(١٠٥) آل عمران: ٥٥.

هذه الآثار المروية عن الحجاج، الذي قلنا إن النبي صلى الله عليه وسلم قال عنه: «يَخْرُجُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ»(١٠٦)، وهو المهلك خفي على بعض الشراح سبب إيراد أبي داود له، فقالوا: ما وجه إيراد أبي داود له؟ والذي يظهر أن هذه غفلةً منه.

أن أبى داود الإمام المحدث الفقيه له مراد ومقصد، معلومٌ أن الحجاج ليس قدوة وليس أهلًا، حتى ينقل كلامه ويدون إذًا لماذا أورد أبو داود كلامه، أبو داود يقول: "بابٌ في الخلفاء".

معلومٌ أن الخلفاء يسمع لهم ويطاعوا في المعروف، وأنه سيأتي منهم أناسٌ عندهم فسادٌ عريض وتسلط وطغيان وتعدي حتى قال -عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ- في قسمٍ منهم: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ قَذَفُوهُ فِيهَا»(١٠٧).

ومن أشرهم وأفسدهم الحجاج بن شهد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مبيد، وكان سفاكًا للدماء، وضرب به المثل في الظلم والتعدي، إذًا لماذا يورد أبو داود كلامه؟.

يورد أبو داود كلامه فيما يظهر والله أعلم، ليقول لطالب العلم: إنا قد أمرنا بالصبر على هؤلاء الظلمة، وإن جاروا وإن تعدوا وإن بلغوا ما بلغوا ما لم يخرجوا من الملة، والحجاج على الصحيح.

المعروف عن الصحابة وعن التابعين ليس بكافرٍ وإن كان من أظلم وأفجر الحكام، لكنه ليس بكافر لأنه كان سفاكًا للدماء لكنه كان مسلمًا يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصل وكان عجبًا في جهله وتعنته وعنده، فكان شديد الحماسة لبني أمية.

وكما وجد أناسًا غلوا في آل البيت، فقد وجد نواصب بنو أمية غلوا في بني أمية، ورحمة الله على محمد بن الحنفية إذ قال: بيتان من قري يتخذهما الناس أندادًا، نحن وبنو عمومتنا بنو أمية، يعني هناك من بالغ فينا آل البيت وهناك من بالغ في بني أمية.

---

(١٠٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٧١).

(١٠٧) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: خام النبوة (٣٦٠٦) ومسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة الجماعة (١٨٤٧).

فكان النواصب من بني أمية يرون أن الطاعة للخليفة مطلقة، وأن الخليفة إذا أمر بأمرٍ فإن عليك أن تنفذ وإذا كان في الأمر الذي أمر به الخليفة معصية، فإنك تنفذه وإن كان فيه معصية لماذا؟ قال: لأن الله أمرني بطاعته، ألا تقرأ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ﴾، قال: فأنا أطيعه.

فإذا كان في أمره معصية، قال: هذا يتعلق به هو، أما أنا فأنا مأمورٌ بطاعته، ولهذا قال الحجاج هذه الكلمة: اسمعوا وأطيعوا لله ليس فيها مثنوية، يعني ليس فيها استثناء هذا واضح، ثم قال من طيشه وتهوره: واسمعوا وأطيعوا لأمير المؤمنين ليس فيها مثنوية وليس فيها استثناء، أمرك بأي أمر عليك أن تنفذ.

وكان يضرب بطاعة أهل الشام المثل لأنها طاعةٌ فوضوية، فكان يقال: طاعةٌ شامية إذا أمرهم ولاتهم بأمرٍ حبوه ونفذوه، ولهذا كانوا أشداء في الحروب، بينما كان أهل العراق أهل خلاف، فمن هنا تغلب عليهم أهل الشام، لأن الأمر كما قال بعض السلف: "ما كان الله ليظهر أهل فُرقةٍ على أهل جماعة".

فكلهم أهل جماعة وإن كان في طاعتهم مبالغة، لكنهم جماعةٌ واحدة أما أهل العراق فشتى، فلهذا كان يقول هذه الكلمات -نسأل الله العافية-، ولما كان عثمان رضي الله عنه من بني أمية صار يبالغ في عثمان رضي الله عنه هذه المبالغة.

حتى قال فيه: إن مثله كمثلِ عيسى ابن مريم، وما مراده؟ مراده الآية: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(١٠٨) يشير إلينا بيده أهل العراق، وأنتم مثل الكفار الذين نصر الله عيسى عليهم.

قال: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يشير إلى الشام أولئك هو مقصوده، فهذا على مثل عثمان من شدة مبالغته في هذا الأمر، وهكذا قوله:

رسولُ أحدكم في حاجت إلى أخره.

---

(١٠٨) آل عمران: ٥٥.

أما قوله: لا أُصلِّي خلفَكَ صلاةَ أبدًا، وإن وَجَدْتُ قومًا يجاهدونَكَ لأجاهِدَنَّك معهم، هذا على غير الصواب غير صحيح، فقد صلى أنسٌ وبن عمر والتابعون والصحابة خلف الحجاج، لو كان كافرًا لما صلوا خلفه، فترك الصلاة خلفه غير صواب، ولهذا يصلى خلف الأئمة وإن كانوا أهل فسقٍ وجور.

لهذا قال صلى الله عليه وسلم: «إنهم يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإنْ أصَابُوا فَلَكُمْ، وإنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»(١٠٩)، فليصلى خلفهم مطلقًا وثبت في البُخاري أن عبيد الله بن عدي لما سأل عثمان رضي الله عنه فيما تغلب الخوارج على المدينة، فصاروا يصلون بالناس.

فقال عبيد الله لعثمان بعد أن حاصروه في بيته: إنك إمام عامة وإنه يصلي بنا إمام فتنة، يقول: أنا أتحرج أن أصلي خلفه، رجلٌ من أهل الفتنة حاصر أمير المؤمنين في بيته يصل الآن في المسجد النبوي، قال: يا بن أخي إن الصلاة خيرُ ما صنعتم، فإذا أحسن الناس فأحسنوا وإذا اجتنبوا فاجتنب لسانهم.

ولهذا بوب البُخاري عليه بقوله: "باب الصلاة خلف المبتدع والمفتون"، يقول: ما دام المصلي. . . على السنة صل خلفه، فالصحيح أنه يصلى خلفه وأما ما وقع من قتال الحجاج فقد أنكره السلف رضي الله عنهم، قالوا: إن ما حصل من فتنةٍ أشهد أنها على غير الصواب.

وأنكر هذا الصحابة وكبار التابعين رضي الله عنهم، قالوا: إن لم يكن لهم أن يخرجوا عليه، لأنه وإن كان جائرًا وإن كان ظالمًا إلا أن الخروج عليه ليس بصواب، بل يصبر عليه.

كما ثبت في البُخاري عن أنسٍ رضي الله عنه أن أهل البصرة لما أتوه يشتكون الحجاج، قال: "اصبروا فإن لا يأت زمانٌ إلا الذي بعده شرٌ منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم"، هذا هو الصحيح أنه يصبر، لكن هذا مما تصرفوه هم عفا الله عنهم.

إلا أنه في أثناء كلامه صار يهرف بهذا الكلام، يقول: إن بن مسعود باسم قاتله الله بهذا الاسم القبيح يا عَذيري، يعني يا عذيري من يعذرني من عَبد هُذَيلٍ، يعني الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، صار يذمه على المنبر: يَزعُمُ أن قراءته من عند الله، والله ما هي إلا رَجَزٌ يعني شعر من شعر الأعراب -نسأل الله العافية-.

(١٠٩) أخرجه البخاري في كتاب الأذان- باب إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه (٦٩٤).

ما أنزلها الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ»(١١٠)، الحديث في البُخاريِ ومسلم، الحجاج وأمثاله من المتهورين لا يعرفون أقدار خيار الصحابة رضي الله عنهم.

ثم كان عنده بغض للأعاجم فكان يقول: هذه الحمراء، لأنه حمر هَبْرٌ هَبْرٌ، يعني سأقطعهم قطعًا قِطعًا والله لو قد قَرَعْتُ عَصًا بعصًا، لأذرنَّهم كالأمس الذَّاهب، يعني بهم الموالي، وهكذا عباراته الأخرى -نسأل الله العافية-.

اسمعوا وأطيعوا لخليفة الله، وهكذا يقول: إنه يقول واحدهم عذيري يعني من هذه الحمراء، يزعم أحدهم أنه يرمي بالحجر، فيقول: يعني إن يقع الحجر فقد حدث أمر، فوالله لأدعنهم كالأمس الدابر إنسان متهور.

يعني إنسان غير مؤدب في الصحابة يعني ليس غريبًا أن يكون غير مؤدبٍ في المسلمين من الأعاجم، الأعاجم كونهم من المسلمين إخوة لنا والله أعلم كم يفضلنا منهم وكم من مقربون منهم إلى الله عز وجل ؟.

كونه أعجميًا لا يضره هل ضر بلال إنه أعجمي؟ أو ضر من آمن من خيار المؤمنين أنه أعجمي؟ لكن هذا الرجل كما قلنا: الحجاج وأمثاله من الظلمة ما عرف لابن مسعودٍ قدره، فكيف يعرف لإخواننا من الأعاجم قدرهم.

فالحاصل أن أبى داود يقول لك يا طالب العلم: ستجد من الخلفاء من يتسلطون، وستجد منهم المظالم وأعطيك نموذجًا على هذا الحجاج، هذا كلامه في الصحابي الجليل وهذا كلامه يقول: والله لو قتل للناس اخرجوا من الباب باب المسجد فخرجوا من الباب الأخر، لرأيت أن دمهم قد حل لي.

---

(١١٠) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧٦٠)، ومسلم في كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُمِّهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا (١١٨).

يقول: لابد أن يطيعوني طاعةً مطلقة، أقول: أخرج من هذا الباب تخرج من هذا الباب، تخرج من أخر أقتلك حلال لي، ويقول: والله لو أخذت ربيعةَ بمُضَرَ، ربيعة فيها عدة قبائل ومضر فيها عدة قبائل، يعني لو أخطأت ربيعة فعاقبت مضر لرأيت أن ذلك حلالٌ لي -نسأل الله العافية والسلامة-.

أنظروا إلى التجني والتعدي ماله حد، قد تخطئ ربيعة وتعاقب مضر هذا حكم أهل الجَاهِلِيَّةِ، يقول: هذا بالنسبة لي حلال لأني ولي أمر تجب طاعتي، كما أن أمير المُؤْمِنِينَ تجب طاعته ويجب فيها مثنوية، يعني ليس فيها استثناء كذلك أنا، والذي سيعصي بجدٍ لو يخرج من هذا الباب، وأنا قلت أخرج من الباب الأخر سأقتله، ودمه حلال، ولهذا قتل عددًا كبيرًا جدًا من الناس.

ما مراد أبي داود؟ مراده دقيق جدً، سيأتيك خلفاء من هذا القبيل من هذا الجنس، وسيكثرون كما في الحديث، سيكون من ظلم وتعدي وتسلط استعدوا لمثل هذا كما في أول حديث: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا»(١١١).

ومن ضمن الاختلاف الاخِتلاف مثل الحكام في تسلطهم على الناس في أموالهم، وفي ما يجب أن يؤدوه إليهم سجن من لا يجوز سجنه وتعديه، يقول: أصبروا حتى تبقى الجماعة ولا ينخرم العقد، وكما قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: اصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر.

إما أن يستريح الأبرار أو يستراح من الحاكم الفاجر، أما الجماعة فالزموها ولم يؤذى أحمد -رحمه الله تعالى- مثلما أوذي زمن الواثق، المعتصم كان به جلد الإمام أحمد، وبقي في السجن مدة سنتين ثم أخرج، الواثق لما تولى يقول أحمد: ما لقيت من الواثق أشد ما لقيت من المعتصم.

لأن الواثق قال: غيب عني فلا أراك، وتسلط الواثق تسلطًا شديدًا جدًا، اجتمع فقهاء بغداد عند الإمام أحمد كما روى الخلال في السنة، قال: ما تريدون؟ قالوا: نريد أن هذا لا ولاية له، قال: اتقوا الله لا تشقوا عصا المسلمين حتى يستريح برٌ أو يستراح من فاجر.

---

(١١١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم- باب ما جاء في الآخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

إما أن يستريح الأبرار أو يستراح من هذا الفاجر، مدة يسيرة توفي الواثق وتولى المتوكل -رحمة الله تعالى عليه-، وقلب الأمر على الجهمية في أنحاء البلاد، وأذلهم وأهانهم ورفع السنة أجر الله له المثوبة، وبقية جماعة المسلمين.

قال: اتقوا الله وإن كان الواثق ظلمني وظلمكم وسجن وتسلط، اتقوا -الله تعالى- جماعة المسلمين تحفظ حتى إن كان الرأس فاسدًا ما دام ليس بكافرٍ يلزم الخروج عليه، فإنه إذا تسلط في الدماء في الأموال في عدم إيفاء الناس حقوقهم، في الاستئثار بايع النبي صلى الله عليه وسلم وبايع الصحابة بيعة.

قالوا: وعلى أثرة علينا يعني أن تستأثر بالأمر دونكم، الأموال عامة يقولون: سيستأثرون بالأموال ويمنعونكم بالأراضي ويمنعونكم، بيع على أن يصبروا على أن يسمعوا ويطيعوا هذا هو الواجب؛.

لكن إن أردت الحماس وأردت الشيء الذي يخرج ما في القلوب، وأردت الشيء الذي ليس من العلم بسبيل، وأردت الموت على غير السنة، والميتة الْجَاهِلِيَّةِ ففي الطريق الأخر.

كما قال أبو سعيد: إياكم وميتة الجاهلية، قالوا: وما ميتة الْجَاهِلِيَّةِ؟ قال: تموت ولا إمام عليك، فتلزم الجماعة حتى يصلح الله عز وجل من حال الحاكم أو أن يتوفى الحاكم، ويأت له بحاكم خيرٍ منه، ويدخل أهل العلم على الحاكم ويناصحونه فينتهي شره أو يخف شره ويصبر عليه.

وهل أشد من الحجاج؟ أنس الصحابي الجليل الذي اشترك في فتح كستر، من أشد البلاد صعوبة الشجاع المقدام، يقول لأهل البصرة: اصبروا لأنكم في جماعة، فإنه لا يأتِ زمانٌ إلا الذي بعده شرٌ منه، نصبر على الحجاج؟ نعم على الحجاج اصبر وشكا لله.

تصبرون على الحجاج حتى تبقى الجماعة، أما إذا أردت أن تقرر الأمور على خلاف طريقة أهل السنة فللمعتزلة طريقة، وللخوارج طريقة وللمتأخرين من مناصرين الثورة الفرنسية وأرائها في المعارضة والبرلمانات وغيرها طريقة.

لكن إذا أردت السنة وسلوكها فهذا هو، ومن أ شجع الأمة ومن أعظمهم صبرًا على الخلفاء وتعديهم وجورهم أحمد بن حنبل-رحمه الله-، أؤذي أذيةً عظيمة زمن الخلافة من خلفاء بني العباس المأموم والمعتصم والواثق.

وبلغ الأذى به أذيةً شديدة، حتى إنه قال -رحمه الله تعالى-: ضُربت لأموت، وكان الضرب مقصود بأن أموت تحت الضرب وليس المقصود بأن أعذب، ولكن الله عز وجل نجاه ثم لما يجتمع عنده أهل بغداد الفقهاء، ما يقول: فرصة لنفتي فتوى جماعية بإسقاط الواثق، ونطلب من الناس أن يخرجوا عليه.

قال: لا اصبروا لا تشقوا عصا الناس، لا تشقا عصا المسلمين، يشتكى لكون الخليفة جاحد لهذا الوضع المشتكى له، اصبروا حتى يستريح بر أ و يستراح من فاجر، ما الذي حدث؟ استراح بر واستريح من فاجر، وجاء -الله تعالى-بالمتوكل -رحمة الله تعالى عليه-، فانقلبت الأمة رأسًا على عقب.

حتى إنه تسلط على أبن أبي دؤاب الذي أذل الإمام أحمد، تسلط عليه وعلى كثير من علماء السنة صادر جميع أموال بن أبي دؤاب، حتى صار فقيرًا من الفقراء، حتى لما توفي لم يتبعه إلا أربعًا من شدة المذلة والمهانة التي أصابته.

تغيرت الأمور لكن قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾، أما إذا لم يحصل الصبر ولا التقوى فلا تنتظر الفرج، الأمور ليست أمور شجاعة وحماسة الأمور أمور سنة وملازمة.

وهذا الذي جعل أهل العلم يؤكدون على الصبر. . . حتى يبقى للمسلمين جماعة، ولا تتشرد نسائهم شذر مذر، وتكون في معسكرات تتصرف فيهن النصارى وأعداء الله عز وجل والخونة والفجرة وأهل الفسق والفجور، فتتشرد النساء والصبيان على ما ترى في أذًى من البلدان.

صاروا ألعوبة من الألاعيب الذي يدري بالمخيمات وما يقع فيها، يعرف أن فيه السم الزعاف كثير من الناس لا يدري ما الذي يقع فيها، يقع كل شر الناس بحاجة إلى شرب الماء وللأكل وللدواء وللحاف في البرد وللمأوى، ما هو سهل فيأت أعداء الله فيتصرفون فيهن كما يريدون.

وفي هؤلاء الصبيان الذين ينصرونهم، هذا لما قيل: لا تنفرط الجماعة لأن هذا لا يقع في جماعة، في جماعة عليها حاكم وإن كان ظالمًا لا يقع، إنما إذا دُمر الحكم عاد البناء منهارًا على الجميع، وأشد من يتضرر هم الضعفاء دائمًا يعني هؤلاء الصبيان وهؤلاء النساء.

فلهذا يصبر كما صبر الصحابة رضي الله عنهم، كان بن عمر يصل خلف الحجاج وكان أنس يصل خلف الحجاج بلغ به من التسلط أن ختم على رقبة أنس عتيق الحجاج، خبث يعني صحابي جليل خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، ثم يُعمل به هذا.

ما قال أنس: أين الناس أين المسلمين، قال: اصبروا فإنه لا يأت زمانٌ إلا الذي بعده شرٌ منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم، فمن أراد لزوم منهج السلف فليلزمه، ومن أراد العنترة وإدعاء الشجاعة وإدعاء أن هذه الأمور أمور متخلفين لا يفقهون ولا يعرفون السياسة، فليخضها كما شاء لكن بعد أن تبين له الأمور.

بعد أن يعلم أن أشجع الأمة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، صبروا على ما كان من هؤلاء الظلمة من الجور والتعدي وخيار الصحابة بن عمر وأنس والصحابة رضي الله عنهم صبروا، وكانت العاقبة أن ماتوا في جماعة وما ماتوا الميتة الجَاهِلِيَّةِ التي قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١١٢).

هذا هو السبب في تأكيد أهل السنة على الصبر والتحمل، وإلا من المعلوم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ»، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»(١١٣).

هذا هو الواجب أما من يجذب للناس أفكار الثورة، العفنة القذرة اليهودية الثورة الفرنسية، يقال: لابد أن يكون كذا وكذا هذه أفكار فرنسية، إذا قبلتها فأقبل ما يقول العلمانيون في النساء، وما يقولون في الاختلاط، وما يقولون: في الفواحش، أما أن تأخذ الأمور وتقسطها على هواك فلا، لا اشتراكية ولا ديمقراطية ودلا ليبرالية كلها مذاهب وثنية لعينة فاجرة، كلها من رحم واحد اسمه العلمانية.

(١١٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» (٧٠٥٣)، ومسلم في كتاب الإمارة- باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٤٩).

(١١٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٥٥)، ومسلم في كتاب الإمارة- باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (١٨٤٢).

أن تأت لتفصلها على الإسلام وتقول: هذا يصلح وهذا لا يصلح، الإسلام نظام كامل في الاجتماع في السياسة في الاقتصاد في الأخلاق في العقيدة في كل شيء، لسنا بحاجة لا لأفكار لينين ولا لأفكار ماركوس ولا لأفكار الثورة الفرنسية ولا روسو ولا غيره.

تأت لتقسطها وتدخلها في أمة الإسلام وتدرجها، وتدعي أن فيها منفعة مثل ما فعل الاشتراكيون الخونة، حين قالوا: الاشتراكية من الإسلام، ثم الديمقراطيون يقولون: الديمقراطية من الإسلام، ثم الليبراليون يقولون: الليبرالية من الإسلام.

كيف تكون من الإسلام؟ وهي مذاهب علمانية، لكن لما باطلهم كلامهم في السياسة حاولوا أن ينزلوها، وكتب في هذا من سيسألهم الله عز وجل ممن دلسوا على الأمور، وسموا الأحكام الشرعية بالأنظمة الديمقراطية، كيف تخلط النجس بالطاهر؟ كيف تخلط العفة بالزنا والفواحش.

الإسلام طُهر من رب العالمين دين متكامل، وهذه الأفكار كلها عفنة من عرفها وفهمها ووقف على كلام كتابها ونظارها علم أن علمانية، هم ينصون على أنها علمانية فأتوا وأخذوا مثل هذه الأفكار، فأدخلوها في الجانب السياسي.

آخرون أدخلوها في الجانب الاجتماعي فيتعلق بالنساء والطلاق والتعدد والاختلاط ونحوه، آخرون أدخلوها في المجال الاقتصادي وروجوا لها في الربا ونحوه، كأن الإسلام معاذ الله من هذا كأنه قاصر بحاجة إلى أفكار الاشتراكيين أفكار العلمانيين الليبراليين أفكار.

كلها رحم واحد خبيث هو الرحم العلماني، والعلماني قائم على الإلحاد دائرة المعارف البريطانية تقول: إن العلمانية، تحدثت عنها عند كلامي على الإلحاد، قالت: الإلحاد نوعان:

- نظري.
- وتطبيقي.

وجعلت الديمقراطية في الإلحاد التطبيقي هو الأخطر، النظري شخص ينظر لكن التطبيقي لأن الديمقراطية لا تكون إلا في جو علماني، تقول: أنا سآخذ الديمقراطية وأفكارهم الزعيمة وأدخلها في الإسلام، كيف تدخل النجس في الطاهر؟ كيف تدخل الأفكار الكفرية في دين الله عز وجل ؟.

فلهذا لم يسهل على كثيرٍ من الناس ما يقوله أهل السنة فيما يتعلق بالحكام، أهل السنة أصدق الناس في الجهر بالحق أمام السلطة، وخذ التاريخ لتعرف من الذي صدق في وجه الحكام، الإمام أحمد وغير الإمام أحمد -رحمه الله-، وشيخ الإسلام وغيره.

أجرأ الناس على قول الحق هم أهل السنة، لكن أهل السنة يلزمون الجماعة، لأنك تتصرف وفق النصوص فقط، فلهذا صبروا على أذى الحجاج، وأبو داود الإمام الفقيه المحدث حين أورد هذا الكلام ليس لأن الحجاج ممن يؤتى. . . لكن يقول: ستأتيكم حكام مثل هذا الشخص.

أنظر جرأته على الصحابة، انظر يقول: لو خرجت من هذا الباب وقد أمرتك أن تخرج من الباب الأخر لقتلتك، ستأتيكم هذه الأنوال ما المأمور؟ المأمور الصبر وأن تسمع وتطيع في المعروف، فإذا أمرت في المعصية فما يقال: ما تطيع، يقال: لا سمع ولا طاعة، لا يسمع ولا يطاع في المعصية نهائيًا.

لكن الجماعة الجماَعة تبقى تحفظ الجماعة، يحفظ الكيان حتى لا تتشرد نساء المسلمين يتسلط أعداء الله عز وجل من اليهود والنصارى ويعبثون في البلدان كما هو حاصل، ولهذا منهج أهل السنة صلاح الدين والدنيا، ولهذا الإمام أبي داود حين أورد هذا الحديث قصر على بعض الشراح فهم مراده.

قالوا: ليس الحجاج أسوةً ولا قدوةً، أبو داود أعلى نظرًا -رحمه الله-، أبي داود هذه المواقف مما قلت فيه مبدأ الباب "بابٌ في الخلفاء"، ستأتيكم خلفاء من هذا النوع.

فأعلموا أن الوضع الشرعي والمنهج الشرعي الصحيح، بأن لا يطاع في المعصية، بأن تحفظ الجماعة والكيان وإن كان الرأس ظالمًا، في حديث حذيفة قال صلى الله عليه وسلم: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ»(١١٤)، في شيء أشد من هذا: سيأتيكم حكام «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ قَذَفُوهُ فِيهَا»، لا تجبهم من قال لك أطعهم لا تطعهم.

---

(١١٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: خام النبوة (٣٦٠٦) ومسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة الجماعة (١٨٤٧).

إذا جروك إلى النار تدخل؟ لا تدخل، لكن قال حذيفة: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ حكام دعاة على أبواب جهنم، قال: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»(١١٥)، الحديث في البُخاريِ ومسلم، فألزموا جماعة المسلمين وإمامهم حتى يبقى للناس جماعة.

الرأس هذا يذهب الحاكم يذهب كما قال الإمام أحمد: يستريح بر، أو يستراح من فاجر لن يبقى الحجاج أين هو؟ وحكام الظلم أين هم؟ ما يستمرون، قد يأت من هو أخف شرًا قد يأت من هو عقل الخليفة السابقة.

كما حصل من المتوكل –رحمة الله تعالى عليه–، فإنه كان على السنة المحضة، بينما السنة قبله على الاعتزال المحض، لكن الجماعة ما الذي حصل لها؟ الجماعة بقيت، هذا هو المراد نسأل الله أن يثبتنا وأن يرزقنا وإياكم الانصياع.

نحن نعلم أن الانصياع في مثل هذه النصوص ليس بالهين، يعني يحتاج إلى تقوى والنفوس فيها شيء كثير من الاضطرام، لاسيما وقد أشربت شيئًا كثيرًا مما أسقي الناس، من أن هذه أمور يجب أن تُبت، وأن الوضع السوي هو كذا وكذا.

وغُلفت للأسف الشديد بأغلفة عجيبة جدًا، وصرت تسمع من أعاجيب الاستدلال ما تستغرب، يقول لك: الدليل على مثلًا المظاهرات على سبيل المثال؛ أنه في عام ثلاثمائة وكذا خرج أهل الكرخ في العراقِ، سبحان الله عليكم.

أتدري أن أهل الكرخ شيعة، الكرخ مليء بالشيعة تحتج بفعل الشيعة عام ثلاثمائة وكذا، وإذا خرج الشيعة في ذلك الوقت دل على صحة المظاهرات، فهذه طرق استدلال يستدل بها طالب العلم.

فصار الناس يدأبون ويحاولون قدر ما يستطيعون، بهذه الأمور التي وفدت من تلك الثورة العفنة الثورة الفرنسية التي ثبت أن اليهود هم الذين ورائها، صاروا يبحثون عن مثل هذه في النصوص، يقول بن كثير –رحمه الله تعالى–: في هذا العام خرج أهل الكرخ وأحرقوا الحواريث وفعلوا وفعلوا.

(١١٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب– باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠٦)، ومسلم في كتاب الإمارة– باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٤٧).

هذه حواريث أهل السنة أحرقها الشيعة، أنت تستدل بفعل الشيعة على هذا، هذه طريقة استدلال ثم عام ثلاثمائة ما هو؟ أن تقول: فعله المسلمون زمن أبي بكرٍ وعمر زمن الاقتداء، هذه أمور كلها خلفت فيما بعد الصحابة وبعد التابعين وبعد أتباع التابعين.

ومثل البدع التي حديث مثل الجهمية والمرجئة فلنتقي الله عز وجل، ولنلزم منهج أهل السنة لزومًا تامًا لا في جانب من الجوانب، كجانب القدر الصحابة والإيمان والتوحيد، ثم إذا أتينا إلى هذه الجوانب أضعناها.

هو منهج متكامل عليك أن تأخذه متكاملًا، وإلا صار عندك ابتداع في القدر الذي خالف فيه، فلو أن أحدًا خالف في الصفات، وصار منضبطًا في الصحابة وفي باب النبوة وفي باب الإيمان، فقيل: إن عنده مخالفة في باب الصفات، هو بها على طريقة الجهمية.

وهكذا إذا خالف أحد في هذه المسائل مسائل الولاية وغيرها، يقال: عنده مخالفة كثير من الكلام الذي تسمع لو رجعت إليه لوجدته في تقريرات المعتزلة من العجائب.

كثير من الكلام الذي تسمع الآن من التقريرات، قاله: عبد الجبار المعتزلي والزمخشري المعتزلي في سيكو سبيكو، من العجائب لو أن الإنسان يقف على مثل هذه الأمور يجد دواهي وعجائب، لأن المعتزلة كان يسخرون بأهل السنة في الأحاديث هذه، مثل السمع والطاعة.

كانوا يسخرون من أهل السنة، لأن المعتزلة كانوا يقولون بقول الخوارج فيما سموه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نسأل الله أن يمسكنا وإياكم بالسنة، وأن يثبتنا وإياكم عليها وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين: -

(المتن)

قال صلى الله عليه وسلم: «الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مُلْكًا»(١١٦). .

قال سعيد قال لي سفينة أمسك عليك أبا بكر سنتين وعمر عشرا وعثمان اثنتي عشرة وعلي كذا قال سعيد قلت لسفينة إن هؤلاء يزعمون أن عليا رضي الله عنه لم يكن بخليفة قال: كذب بنو الزرقاء يعني بني مروان

وعن سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مُلْكًا»(١١٧).

وعن عبد الله بن غانم المازني: ذَكَرَ سُفْيَانُ رَجُلًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَالِمٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ فُلَانٌ إِلَى الْكُوفَةِ أَقَامَ فُلَانٌ خَطِيبًا، فَأَخَذَ بِيَدِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الظَّالِمِ، فَأَشْهَدُ عَلَى التِّسْعَةِ إِنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شَهِدْتُ عَلَى الْعَاشِرِ لَمْ إِيثَمْ، - قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ آثَمُ -، قُلْتُ: وَمَنِ التِّسْعَةُ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهُوَ عَلَى حِرَاءٍ «اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»(١١٨) قُلْتُ: وَمَنِ التِّسْعَةُ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ "، قُلْتُ: وَمَنِ الْعَاشِرُ؟ فَتَلَكَّأَ هُنَيَّةً ثُمَّ قَالَ: أَنَا، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنِ ابْنِ حَيَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَالِمٍ بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ

(١١٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٧)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في الخلفاء (٤٦٤٧)، والترمذي في كتاب الفتن- باب ما جاء في الخلافة (٢٢٢٦)، من حديث سفينة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٣٩٥).

(١١٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٧)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في الخلفاء (٤٦٤٧)، والترمذي في كتاب الفتن- باب ما جاء في الخلافة (٢٢٢٦)، من حديث سفينة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٣٩٥).

(١١٨) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما (٢٤١٧).

وعن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد فذكر رجل عليا عليه السلام فقام سعيد بن زيد فقال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أني سمعته وهو يقول «عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ» ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو «سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ»(١١٩).

عن رِيَاحُ بْنُ الْحَارِثِ ، قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ، فَجَاءَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو فَرَحَّبَ بِهِ الْمُغِيرَةُ، وَحَيَّاهُ وَأَقْعَدَهُ عِنْدَ رِجْلِهِ عَلَى السَّرِيرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، يُقَالُ لَهُ: قَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ فَاسْتَقْبَلَهُ، فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ سَعِيدٌ: يَا مُغِيرَةُ، مَنْ يَسُبُّ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالَ لَهُ: يَسُبُّ عَلِيًّا، قَالَ لَهُ سَعِيدٌ: يَا مُغِيرَةُ، أَلَا أَرَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَبُّونَ عِنْدَكُمْ، ثُمَّ لا تُغَيِّرُ وَلا تُنْكِرُ؟ أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: وَإِنِّي لَغَنِيٌّ أَنْ أَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ، فَيَسْأَلَنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ لَوْ شِئْتَ سَمَّيْتُهُ، قَالَ: فَرَجَّ النَّاسُ وَنَاشَدُوهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَنِ التَّاسِعُ؟ قَالَ: لَوْلا أَنَّكُمْ نَاشَدْتُمُونِي مَا أَخْبَرْتُكُمْ، أَنَا تَاسِعُ الْمُسْلِمِينَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُتِمُّ الْعَاشِرَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغَبَّرُ فِيهِ وَجْهُهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عُمِّرَ عُمْرَ نُوحٍ »(١٢٠).

عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، صعد أحدا فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه نبي الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال: «اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»(١٢١).

---

(١١٩) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الخلفاء (٤٦٤٩)، والترمذي في «جامعه»: كتاب المناقب- باب مناقب عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه (٣٧٤٨)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٢).

(١٢٠) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ (٤٦٤٩)، وابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم- باب فضائل العشرة رضي الله عنهم (١٣٣)، والترمذي في «جامعه»: كتاب المناقب- بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٣٧٤٨)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٨١٣٧)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٧٤).

(١٢١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : «متخذا خليلًا» (٣٦٧٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي»، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ: وَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ، أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي»(١٢٢).

وعن جاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يَدْخُلِ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»(١٢٣).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: -قال موسى «فلعل الله» وقال ابن سنان «لَعَلَّ اللهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(١٢٤).

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَأَتَاهُ يَعْنِي عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَتِهِ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ»(١٢٥).

عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب قال: بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته فقال له عمر وهل تجدني في الكتاب، قال نعم، قال كيف تجدني؟ قال أجدك قرنا، فرفع عليه الدرة فقال قرن مه، فقال: قرن حديد أمين شديد، قال كيف تجد الذي يجيء من بعدي، قال أجده خليفة صالحا غير أنه يؤثر قرابته قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثا، فقال كيف تجد الذي بعده، قال أجده صدأ حديد فوضع عمر يده على رأسه فقال يا دفراه يا دفراه، فقال يا أمير المؤمنين: إنه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول، والدم مهراق، قال أبو داود الدفر النتن.

(١٢٢) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ (٤٦٥٢).

(١٢٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في الخلفاء (٤٦٥٣)، والترمذي في «جامعه»: كتاب المناقب- باب في فضل من بايع تحت الشجرة (٣٨٦٠)، والنسائي في «سننه الكبرى» (١١٣٢١)، (١١٥٠٨)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٣٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٨٠).

(١٢٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير- باب الجاسوس (٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة (٢٤٩٤).

(١٢٥) أخرجه البخاري في كِتَابُ الشُّرُوطِ- بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (٢٧٣١).

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين: -

حديث سفينة رضي الله عنه حديث مشهور وهو من اظهر الأدلة على تحديد الخلافة الراشدة، في ثلاثين عام هي التي كانت فيها ولاية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم الأربعة، وقال بعض أهل العلم، إن الأشهر الستة التي وليها الحسن بن على رضي الله عنه داخلة فيها أيضًا.

سفينة رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مُلْكًا»(١٢٦)، فدل على أن الخلافة النبوية تنتهي بخلافة على رضي الله عنه أو بخلافة الحسن على قول من يرى أن في الفترة المتبقية دخل فيها الحسن، لكن سفينة هنا رضي الله عنه يقول: أمسك عليك أبا بكر سنتين، وعمر عشرا، وعثمان اثنتي عشرة، يعني أن كل واحد منهم ولي هذه المدة، ثم قال وعلي كذا وهي بقية المدة.

فقيل له إن هؤلاء يعني بني مروان، يزعمون أن علي لم يكن بخليفة، فقال كذبت بنو الزرقاء، وهي كلمة شديدة لكن أغضبه هذه الكلمة منهم، وبنو الزرقاء هم بنو مروان نسبهم على أم لهم.

فخلافة النبوة هي ثلاثين سنة، بدأت بأبي بكر رضي الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم على رضي الله عنهم، ثم جعل الله تعالى بعد ذلك الملك وهو الذي يؤتي ملكه من يشاء سبحانه في بني أمية، وكان ملك بني أمية، جاء بعد تنازل من قبل الحسن ابن علي رضي الله عنه بالخلافة لمعاوية، اجتمع شمل المسلمين وسمي ذلك العام عام الجماعة، فطفأت الحروب وانتهت الفتن ومضى سوق الجهاد ثانية، وسلم الله المسلمين من تلك الحروب التي أبرت كثيرا كما قال الحسن: إن هذه الأمة قد عافت في دمائها.

معاوية رضي الله عنه خير ملوك المسلمين لا يقال إن ثمة ملك من الملوك سيأتي بعده خير منه، بتاتًا كائن من كان، لأن معاوية رضي الله عنه صحابي، ولهذا لما قيل لأحمد -رحمه الله- في التفضيل، هل عمر بن

(١٢٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٧)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في الخلفاء (٤٦٤٧)، والترمذي في كتاب الفتن- باب ما جاء في الخلافة (٢٢٢٦)، من حديث سفينة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٣٩٥).

عبد العزيز أفضل أو معاوية، تعجب من هذا السؤال، قال: معاوية أفضل، ولا يقارن بمعاوية أحد لأنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

كون الخلافة تنتهي هذا شيء قد الله فعله، لكن بعد أن ولي معاوية، ما الذي حكم؟ حكم الشرع رضي الله عنه، أقام سوق الجهاد، ما كان هناك أصلًا شيء اسمه تحكيم بغير شرع الله في تلك العصور الزاهية، بل انتقل الملك بإذن الله من طرف إلى طرف، أما شرع الله ودين الله والجهاد هذا كله ماضي على أحسن ما يكون.

بل اتسع الجهاد في زمن معاوية اتساع شديد جدًا، وتولى رضي الله عنه فتح مواضع كثيرة من البلاد وقاتل الروم وفتح في بلادهم فتوحات شديدة للغاية لأن الجهاد توقف في فترة القتال الداخلي الذي كان بين المسلمين، فالحاصل أن خلافة النبوة، هي هذه ثم أن الله تعالى جعل ملك معاوية رضي الله عنه رحمة بالأمة.

ولهذا قال الخولاني -رحمه الله- أبو مسلم، قالوا له لو أدركتم زمن معاوية لقلتم هذا هو المهدي من شدة عدله -رحمه الله-، كان معروف بالعدل رضي الله عنه، فكان شديد الحلم أيضًا، الحلم غير العدل، قد تعدل وليس بالضرورة أن تحلم، لأن الحلم في بعض الأحيان تحلم أنت عمن يحيل أن تعاقبه، فكان شديد الحلم -رحمه الله- فيحيل التعرض له بتاتًا أو الكلام فيه.

قال أهل العلم كانت دولة بني أمية خيرًا من دولة بني العباس، قال ذلك شيخ الإسلام وغيره، أن دولة بني أمية كان فيها مزية، وانه إذا ظهر زنديق أو صاحب بدعة دمروه في الحال ما يتركونه، فكانوا على السنة، لولا هذا الأمر القبيح الذي كان فيهم والذي سيأتي الكلام عليه، وهو التعرض لعلي رضي الله عنه بالمسبة، وإلا فهم بالجملة من القائمين بالسنة والقائمين بالجهاد، وقاوموا أهل الكفر وكانت دولتهم من أقوى الدول.

الحديث الذي بعده يقول: لما قدم فلان يعني والي على الكوفة، أقام فلان خطيبا يعني جعل لما قدم، جعل رجل يخطب، ماذا يخطب به؟ يخطب بمسبة على رضي الله عنه وكان بنو أمية يسبون على رضي الله عنه ويقولون أنه من أسوأ ما فعلوه، فزعموا أنهم سبوه حين دعا عليهم، قالوا: فكان يدعوا علينا وكنا نعو

عليه، لا ريب أن علي رضي الله عنه مقامه كبير جدًا في الأمة، وقد أنكر هذا على بني أمية السلف الصالح رضي الله عنه، فأنكره الصحابة، ورأيت قوة إنكار سعيد، وأنكره سعد، وأنكره غيرهم، وكانوا يسمعون أن علي يكنى أبو التراب فكانوا يقولون أبا تراب معناها سبة.

فقال الصحابة هذه أحب كناه إليه، لأن له قصة لطيفة أتى وغاضب فاطمة رضي الله عنها، ثم ذهب على المسجد ونام بعد الظهر، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم يبحث عنه، فسأل فاطمة فقالت: إنه غاضبني وخرج، التمسه صلى الله عليه وسلم وإذا به في المسجد قد قال رضي الله عنه بعد الظهر، وإذا به قد انحصر رداءه، العرب تلبس الرداء وتارة تلبس القميص، وقد صار بطنه رضي الله عنه على الأرض، وعليه التراب، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح التراب عنه وقال: قم أبا تراب للملاطفة، فهي ملاطفة من النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هذا تعيير ولهذا كان يحب هذه الكنية لأنها من النبي صلى الله عليه وسلم.

فسمع هؤلاء يقولون: أنها سبة له، كلمة أبا تراب يقولون أنها نوع من السب له وهي ليس كذلك، ولكنها نوع من الملاطفة من النبي صلى الله عليه وسلم له، وكونه وقع ما وقع من الدعاء منه ومنهم لا يعني ذلك الاسترثاء، فإن علي هو أفضل الصحابة على الإطلاق بعد الثلاثة لا يمكن أن يقارن به أحد، ليس أحد بعد أبي بكر وعمر وعثمان أفضل من علي، فكان هذا من مساوئ بني أمية لكن أنكره الصحابة.

وهذا مثال ونموذج لطلبة العلم وللشباب، قد يوجد منكر وينكر ولا يزول، يعني بعض الشباب تحرقه هذه المسألة حرق، هنا منكرات أنكرها العلماء وأنكرها الناس وما زالت. . ، هذا منكر استمر ما أوقفه إلا عمر بن عبد العزيز، في آخر القرن وأمر الخطباء أن يقولوا: ﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١٢٧).

حيث كانوا يسبونه يوم الجمعة، فألغى هذه البدعة الباطلة وأمر بأن يقال القول الحسن، يحتسب على المنكر، المنكر له عشرون أو خمسون أو ثلاثون صفة، إذا سمعت أنكره واستمر في إنكاره وضح للناس

(١٢٧) النحل: ٩٠.

وبين، صور للنساء حرام وكذا، ولا تقف، لكن لا تدمر الجماعة، الصحابة رضي الله عنهم يسمعون سب رجل من أهل الجنة.

يسمعون سب علي بن أبي طالب أفضل الصحابة بعد الثلاثة، ما قالوا لا بد أن تسقط دولة بني أمية، هذا منكر وقبيح جدًا، ولا سيما المجاهرة به العلن هكذا، ولكن لما كانوا يعلمون أن الجماعة يجب حفظها حفظوا الجماعة وأنكروا المنكر، قد لا يزول المنكر، هناك منكرات تستمر وتبقى اشتكى لله عز وجل، فتنكر باليد لمن له سلطة، وتنكر باللسان، لمن له علم، وإن عجز عنها حتى أنكرت بالقلب.

فالحاصل أن الصحابة والتابعين أنكروا هذا، حتى إن بعض التابعين إذا بدأ الخطيب الأموي يسب في خطبة الجمعة، التفت بجانبه فقال:. . نحن في الجمعة يجب أن ننصت لكن نحن الآن خرجنا عن الخطبة، يجوز أن نتكلم لأن هذا الأحمق بدأ يسب، هذه ليست خطبة، الآن يسب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يريدني أن أنصت لا، لا ننصت تحدثوا وتكلموا لسنا في خطبة إنما ننصت للحق، فالحاصل أنهم أنكروه بعدة أنواع من الإنكار، واستمر هذا حتى جاء عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- وأطفأ هذه الفتنة، وكان اشد السب في زمن بني مروان، وعمر بن عبد العزيز من مروان، لكنه كان فقيه وأخذ بقول أهل السنة من السلف ممن أنكروا هذا، فأوقف هذه البدعة الباطلة.

مع أن الصحابي الجليل سعيد بن زيد هو من المبشرين بالجنة، فلما سمع هذا السب قال: ألا ترى إلى هذا الظالم، يعني يسب هكذا، يخطب خطبة في سب علي ثم قال: أشهد على التسعة أنهم في الجنة، التسعة يقصد أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وأبا عبيدة وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن أبي وقاص والعاشر هو، قالوا ومن التسعة؟ فذكر الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على حراء فرجف بهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»(١٢٨)، نبي أو صديق أو شهيد، الصديق أبو بكر، والنبي: رسول الله صلى الله عليه وسلم معلوم، والشهيد كما سيأتي عمر وعثمان وكانوا معه وكلاهما استشهد رضي الله عنهم.

(١٢٨) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما (٢٤١٧).

فسألوا عن التسعة فأخبر بهم سردًا كما سمعت، قالوا من العاشر؟ سكت وقت يسير ثم قال: أنا، العاشر هو سعيد نفسه رضي الله عنه الذي يروي هذا الحديث، وهكذا الحديث بعده، كله فيه الدلالة على أن هؤلاء العشرة في الجنة، وهؤلاء العشرة هم أفضل الصحابة على الإطلاق، وكلهم من المهاجرين، هؤلاء جميعًا أفضل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

الخبر بعده أنه كان قاعد في مسجد الكوفة، وفلان وهو الوالي موجود، فلما جاء سعيد بن زيد الصحابي الجليل رحب به وحياه، وأقعده عند موضع قريب منه، أقعده عند سريره، فجاء رجل من أهل الكوفة يسب يسب، استغرب سعيد، قال: من يسب هذا؟ قالوا يسب علي، قال: ألا أرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير، هذا نوع من أنواع الإنكار، وفيه الرد على الرافضة، يقولون أن أهل السنة يتولون جميع الصحابة، كل الصحابة وينهون عن سب أي صحابي من آل البيت أو من غير آل البيت، أما التشهي بان يقال: إذا كان من آل البيت فعلي والحسن والحسين فلا يسبون، أما غيرهم فيسبون هذا يدل على قلة عقول الشيام، وباب إذا فتح، فتح الجميع، كيف تقول يسب أبو بكر وعمر ولا يسب علي أنت إذا فتحت باب السب انفتح على الجميع، فإما أن يغلق الباب، عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعًا وإما أن يفتح، فإذا فتح لا يمكن أن يوقف عند حد، ويقال فلان هذا لا يسب، لأنه إذا فتح الباب على أبي بكر، وهو أفضل الصحابة فغيره سينفتح عليه الباب.

بل قال بعض السلف معاوية رضي الله عنه ستر دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن هتك الستر، خلص على ما بعده، يعني الذي يسب معاوية لا تتصور أنه سيقف عند معاوية، هو يسب معاوية وبعد مدة ستجده يسب عثمان، بعد مدة ستجده يسب غيرهم وهكذا.

لهذا قال الإمام أحمد -رحمه الله-: في رجل يصلي ويسب معاوية أيصلى خلفه؟ قال لا ولا كرامة، يخسأ هذا وأمثاله كيف يصلى ورائهم، يسب صحابي، هذا رافضي ينبغي أن يعلم أن الرفض إذا أطلقت كلمة الرافضي على نوعين، الرافضي الخالص كالرافضي الأثني عشر ونحوهم.

والرفض يكون في الشخص بنسبة معينة، بأن بقول أنا سأسب معاوية وعمرو، طب ما أبو بكر وعمرو هؤلاء جبال، قال أنت رافضي رغم انفك، كيف تقول أنا رافضي وأنا من أهل السنة، أنت في هذا

رافضي، كما أن الإنسان يكون بنفي واحدة من الصفات فهمي، ويكون بسب احد من الصحابة رافضي، وبالقول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص يكون مرجئ، حتى لو قال إن الإيمان قول واعتقاد وعمل هذه شعب، هذه الضلالات نعود لها شعب وألوان، تارة تكون في الإنسان خالصة فيكون رافضي خالص، وتارة تنكون فيه نسبية فيكون عنده نوع من الرفض، فمن يسب معاوية صح أنه فيه رفض.

ممكن تقول أنا في رفض وأنا أرد على الشيعة، نقول وغن رددت على الشيعة أنت فيك رفض رغم انفك، لهذا قال الإمام احمد حتى يترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ولا يتعرض لأي احد نهائي لا علي ولا أبو كر ولا عثمان ولا معاوية كل هؤلاء يجب أن يلتزم فيهم ما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١٢٩).

يجب هذا، قد تقول سب الصحابة رضي الله عنهم، هذا السب يعني صار بينهم قتال يجب اكف عما شجر بينهم، وهم رضي الله عنهم كما قال أهل العلم، ما بين مجتهد أصاب فله أجران، وما بين مجتهد أخطأ فله أجر الاجتهاد، أما أنت فيا من أتيت بعدهم فإنك تلتزم ما قال الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١٣٠).

ثم ما معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾(١٣١)، يدل على أن الذين يدخلون الجنة كان عندهم في السابق غل، وهذه الآية قالها علي رضي الله عنه لأبن طلحة أو لابن أحد الصحابة فقال: إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾(١٣٢).

---

(١٢٩) الحشر: ١٠.

(١٣٠) الحشر: ١٠.

(١٣١) الحجر: ٤٧.

(١٣٢) الحجر: ٤٧.

فقال أحد الحمقى الله اعدل من ذلك، تتقاتلون ثم تكونون في الجنة، . أبعد مكان وأسحقه طرده، إن لم أكن أنا وطلحة فمن، إن لم تكن الآية في وفي طلحة وفي أمثالنا ففي من؟ واضحة الآية أن ثمة غل بين أناس في الدنيا ثم صاروا كلهم في الجنة، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾(١٣٣) ، معناها أنهم كانوا عندهم غل في الدنيا.

فيأتي الخالف الذي لا يعي ويبدأ يخوض، يجب أن يسب على، لا يجب أن يسب معاوية، لا يجب أن يسب طلحة، هذا لا شك أنه يكون عنده رفض حتى لو رد على الشيعة، فيك رفض، يعني الرفض أن تتعرض لأي صحابي، فقال الإمام احمد -رحمه الله- لا يصلى خلفه ولا كرامة.

بل لما قيل له إن رجل يسب معاوية أو عثمان، قال: لا أراه على الإسلام، هذا الرجل يقول لا أظنه أصلًا على الإسلام، الأمور اتضحت أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم هذه المكانة، تقول وقع بينهم ما وقع، وإن وقع بينهم ما وقع، ما شئنك أنت، لقوا الله -سبحانه وتعالى- وهم رضي الله عنهم على الاجتهاد فيما وقع منهم، فكون هذه الأمور تكون طريق منت طرق النيل منهم، سيأتينا كلام. . رضي الله عنه: من أن تورث رجال حب رجال وبغض رجال، لا تفعل هذا بأن تقول: تسلط على علي رضي الله عنه بتوجيه البغضاء له حتى يحب معاوية أو العكس، تتسلط على معاوية حتى يحب علي هذا لا شك أنه منهج على غير منهج أهل السنة.

الحاصل أن هذا الباب مما يجب أن قبض باب الصحابة رضي الله عنهم، والأمر فيه خطير للغاية، والأمر فيه كما قال مالك -رحمه الله- الأمر فيه يتطرق للنبي صلى الله عليه وسلم، يقول مالك -رحمه الله-: إنما أرادوا من سب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم النيل من محمد نفسه صلى الله عليه وسلم حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجل صالح لكان له أصحاب صالحون.

يعني إذا قيل النبي صلى الله عليه وسلم له هؤلاء العدد الكبير من الصحابة رضي الله عنهم منهم أنصار ومنهم من جعلهم صلى الله عليه وسلم مثابة الوزراء، وجعل منهم القواد وولاهم البلاد، هم كما تقول الرافضة أخذاها الله هؤلاء مرتدون منافقون.

(١٣٣) الحجر: ٤٧.

فالمسبة ترجع على من؟ على من رباهم، ولو قيل للرافضة إن أصهار الخميني ووزرائه ومن حوله هؤلاء على خلاف طريقة الخميني وغنما خرجوا معه هكذا نفاق لغضبوا، كيف يقال هذا في من يسمونه بالآية والحجة والإمام، فكيف ترضون بمثل هذا في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الذي زوج الصحابة وتزوج منهم وولاهم على المغازي وولاهم على البلدان وخطب الخطب الظاهرة أمام الناس بالثناء عليهم، حتى قال في أخر حياته إن آمن الناس علي في صحبته أبو بكر، وأبا صلى الله عليه وسلم إلا أن يصلي أبو بكر رضي الله عنه بالناس ثم يقال بعد كل هذا إنهم كانوا منافقين في الباطل، وكيف يكون هذا في الصحابة رضي الله عنهم، والله نص على صحبة أبي بكر رضي الله عنه نص في القرآن وأخبر أنه هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم في أخطر سفر سافره صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا﴾(١٣٤).

أحفظ هذه الآية هي أشد من الصواعق على الرافضة، يقول موسى عليه الصلاة والسلام لما قال بنو إسرائيل إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي، ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾(١٣٥) ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(١٣٦) ، ماذا قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا ﴾، فدخل أبي بكر في المعية.

في مقام خوف، لما قال أصحاب موسى إنا لمدركون، ما قال: إن معنا ربنا، قال: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، المقام واضح المعية هنا خصت موسى وهارون قطعًا معاه، ' في قوله تعالى: ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾(١٣٧) ، أما حين ذكر الله معية أبي بكر، فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن عن الله معي، قال: ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا﴾، ولهذا هذه الآية من اشد الآيات.

---

(١٣٤) التوبة: ٤٠.

(١٣٥) الشعراء: ٦١.

(١٣٦) الشعراء: ٦٢.

(١٣٧) طه: ٤٦.

قال أهل العلم لو أنكر أحد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرتد، صحبة أبي بكر لأن صحبته منصوصة في القرآن، بل لا يوجد صحابي بتاتًا افرد بالصحبة إلا هو: ﴿ الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾[١٣٨]، لا يوجد في القرآن إلا لأبي بكر، الحاصل أن المقام مقام عظيم جدًا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون دونهم الوقفة الكبيرة.

فلا يمكن بحال من الأحوال أن يوجد مع طائفة، أي تقارب نهائي وبيننا وبينهم أمهات المؤمنين وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمهات المؤمنين اشرف من أمهاتنا وأولى بأن يصن من أمهاتنا، الإنسان إذا مس عرضه قاتل حتى تنفرد سالفته، فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم وأجل وأشرف، فلا يمكن أن يكون مع هؤلاء المفسدين في أرض الله تعالى أي مهادنة، بل يجب أن يطفأ شرهم وان يرد عليهم وأن يبين لهم ما هم فيه من الزيغ والضلال وأن لا يتركوا يجهروا لهذا المنكر العظيم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي أمهات المؤمنين رضي الله عنهم.

ومنهم عجائب الحقيقة عجائب فيهم تستغرب من هذا الإنسان من قلة عقولهم، ملئوا الدنيا بحديث أهل السنة قبلوه، وهم الذين رووه وهو صحيح عند أهل السنة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»[١٣٩]، أي والله، هو مولانا رضي الله عنه، وعمر مولانا وأبو بكر مولانا، لأن هكذا أهل الإيمان، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهَّ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١٤٠]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[١٤١].

ماذا في هذا غريب؟ بل هو من خير موالي المؤمنين رضي الله عنه، من يلي المؤمنين، وخير منه من قبله من الثلاثة.

---

(١٣٨) التوبة: ٤٠.

(١٣٩) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب- باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٧١٣)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٢٣).

(١٤٠) المائدة: ٥٦.

(١٤١) التوبة: ٧١.

نقول للرافضة: أنتم الآن ملتم الدنيا بهذا الحديث، لما لم تنظروا في الوصف الذي لا يوجد إلا لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم ولا نظير له وهو من أعجب الوصف، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(١٤٢) ، فهم أمهات لأهل الإيمان لقيام الساعة، ثم الرابطة التي بيننا وبينهم أعظم من رابط النسب التي بأمهاتنا وأعظم من رابطة الرضاعة التي تثبت بها الأمومة، رابطة الإيمان.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، هذه آية قرآنية فيها أنهن أمهات، لكن للمؤمنين، أما يأتي منافق أو فاجر يخرج على آيات النصوص، ويقول لسن أمهات لنا، نعم لأنك لست من المؤمنين، تستغرب، هن لسن أمهات الكفار هن أمهات المؤمنين، الآية قرآنية جلية صريحة في أمهات المؤمنين، فكيف يكن أمهات المؤمنين وليس عندهن إيمان.

الرابطة التي ربطتهم بأهل الإيمان رابطة الأمومة فصرن أمهات للمؤمنين، فكان الواحد يأتي حتى علي يقول: يا عائشة يا أماه، يعني يا أم المؤمنين، ثم يقال، النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»(١٤٣)، متى أنكر أهل السنة هذا، كل أهل السنة يقولون هذا ولله الحمد، لكن لما لا تقولون إن عائشة أم، هي ليست أم لكل أحد لكنها أم للمؤمنين، فمن لم يكن من المؤمنين ليست أم له، لا اليهود ولا النصارى ولا لأي أحدج يخرج عن دين الله -عز وجل-.

الحاصل أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما قال سعيد، لمشهد رجل منهم مع رسول اله صلى الله عليه وسلم يخضر فيه وجهه، خير من عمل أحدكم عمره ولو عمر، عمر نوح، فلو طال عمرك حتى صار لك عمر نوح وهو ألف سنة، ذاك المشهد الذي كان فيه مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أو في مسير أو ذاهب للصلاة، أخضر وجهه وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقط المشهد هذا خير من عملك حتى لو صار عمرك عمر نوح.

حتى لو كان عملك من الأعمال في الجهاد وفي الصدقات وفي الإحسان وفي بر الولدين، والدعوة لله والإحسان، مهما كنت لن تبلغ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتينا الحاصل أن ما وقع سيترضى

---

(١٤٢) الأحزاب: ٦.

(١٤٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب- باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٧١٣)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٢٣).

عنه الصحابة عمومًا، ويسأل الله له المغفرة ما أمرنا الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١٤٤)، قال ابن عباس أمروا بالاستغفار له فسبوهم، وجاء عن عائشة رضي الله عنه أنها قالت: لا تعجبوا انقطعت أعمالهم فأراد الله ألا يقطع عنهم الحسنات، فحتى تستمر لهم حسناتهم، مع أن أعمالهم لا تنقطع، أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، أما أعمالهم المتعدية فلا شك أنها مستمرة لأنهم هم الذين دعوا للهدى وهم الذين علموا القرآن والأحكام فإن كل من قرأ القرآن فإنه تعلمه من شيخه، وشيخه علمه شيخه الذي قبله حتى تصل للتابعي ثم الصحابي.

الآن هذه الصلاة التي تصليها تقول والله هذه هي الصيغة التي يرويها أبو حميد السعدي، التي يرويها عثمان، التي يرويها فلان، أرأيت هم الذين علموك الصلاة، وهكذا القرآن هم الذين علموك القرآن فمن جهة الأعمال المتعدية، ما انقطعت ولا تنقطع، ولكن من جهة أعماله هم التي كانوا يعملونها في جهادهم وقيامهم بالليل وصيامهم بالنهار هذه انقطعت بلا شك.

فلأجل ذلك ركز أبو داود -رحمه الله- على هذه النصوص، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»(١٤٥)، وهم أهل بيعة الرضوان، وهم الذين كانت فيهم الآية، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١٤٦)، ولو تأمل أي أحد منصف سورة الفتح فقط ونظر ما فيها مما يتعلق بالصحابة لوجد العجب في كرامتهم على ربهم وفي موضع مهم جدًا في السورة هذه، وفي مواضع من القرآن يتفطن له طالب العلم، وه أن الله يشهد على قلوب الصحابة، هذه مسألة مهمة جدًا في الرد على الرافضة، يقول تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا

(١٤٤) الحشر: ١٠.

(١٤٥) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم (٢٤٩٦).

(١٤٦) الفتح: ١٨.

فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١٤٧)، ثواب لهذا الذي في القلوب، وقال فيهم: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾(١٤٨).

هذا حكم على أمر قلبي ومهم جدًا هذا، الآيات مهم أن يضبطها طالب العلم لأن الرافضة تقول: إنهم منافقون، المنافقون قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(١٤٩)، الله شهيد على ما في قلوبهم وزكى ما في قلوبهم، وكافئهم بما في قلوبهم فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبا ومغانم كثيرة، كل هذا لأجل ما في قلوبهم من الخير والصلاح.

وسيأتي كلام بإذن الله عن الصحبة وعن مثل هذه الآيات في القرآن العظيم لأن المقام مهم جدًا الآن في الرد على الرافضة، ووجوب أن يتحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويبين ما لهم من الفضل، «لَا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»(١٥٠)، وكانوا نحو من ألف وخمسمائة دفعة واحدة أكرمهم الله بهذا، وبيعة الرضوان ما سببها، كل سببها عثمان لأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله لمكة ليخبرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء ليقاتل أحد.

فلما جاء، كانوا بني أمية كثيرون في مكة، اجتمعوا وقالوا: تعالى يا عثمان طف بالبيت، لأنه من بني عم، قال: أطرف قبل رسول الله، ما يمكن أن أطوف، إذا طاف رسول الله طفت، تأخر فجاء خبر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن قريش قتلت عثمان، فصارت بيعة الرضوان كلها لأجل عثمان.

في الحديث بعده أن الله تعالى قال: «لَعَلَّ اللهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(١٥١)، فكانوا يمشون على الأرض وقد غفر لهم ذنوبهم، وأهل بدر ثلاث مائة وأربعة عشر، فالأدلة كثيرة جدًا على فضلهم عليهم الرضوان سواء كانوا من أهل بدر أو من المهاجرين والأنصار أو كانوا من

---

(١٤٧) الفتح: ١٨.

(١٤٨) الفتح: ٢٩.

(١٤٩) الفتح: ١١.

(١٥٠) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم (٢٤٩٦).

(١٥١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير- باب الجاسوس (٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة (٢٤٩٤).

أهل بيعة الرضوان، يعني الشخص يكون من أهل بدر مهاجري من أهل بيعة الرضوان، ويكون أنصاري بدري من أهل بيعة الرضوان، فتكون فيه هذه الفضائل كلها رضي الله عنهم.

المغيرة رضي الله عنه ذكر أنه كان قائم على وهذا عام الحديبية، كان قائم على النبي صلى الله عليه وسلم، على رأسه بالسيف لأن المقام كان خطير، فكانوا قد اقتربوا من كثرة قريش، فكان يأتيه رسل قريش، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود قبل أن يسلم رضي الله عنه، فكان على طريقة العرب، العرب عندهم لا يزال هذا الطبع وهو يكلمك يأخذ بلحيتك تارة على سبيل الاستعطاف، وتارة هكذا، فالمغيرة لم يرضى فضربه بعل السيف لا بحده، فقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عروة هذا من رهط المغيرة فقال من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة، يعني جماعتك كلهم من قبيلة واحدة، فرضي الله عن المغيرة وعروة لأن عروة أسلم بعد ذلك.

ومن ضمن الأحاديث أيضًا التي ورد أن عمر بعث على الأسقف فسأله، هل تجدني في الكتاب يعني الذي عند أهل الكتاب، قال نعم، قال: كيف تجدني، قال: قرن، على أخره، الحديث هذا فيه مقام وليس سنده بقائم.

السائل:. . .

الشيخ: أيضًا الحديث هذا فيه مقام، أتاني جبريل واراني بالجنة، هذه الحديث فيه مقال، وفضائل أبي بكر كثيرة جدًا ودلائل كونه من أهل الجنة كثيرة يغني عنه ما سبق.

(المتن)

بَابٌ فِي فَضْلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا ح، وحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ

فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ، وَلَا يُوفُونَ، وَيَخُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ»(١٥٢).

بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»(١٥٣).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ قَيْسٍ الْمَاصِرُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قُرَّةَ، قَالَ: كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ فَكَانَ يَذْكُرُ أَشْيَاءَ قَالَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الْغَضَبِ، فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُذَيْفَةَ فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ فَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُ سَلْمَانُ: حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى حُذَيْفَةَ فَيَقُولُونَ لَهُ قَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَكَ لِسَلْمَانَ فَمَا صَدَّقَكَ وَلَا كَذَّبَكَ، فَأَتَى حُذَيْفَةُ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي مَبْقَلَةٍ فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَغْضَبُ فَيَقُولُ فِي الْغَضَبِ لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَيَرْضَى فَيَقُولُ فِي الرِّضَا لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَمَا تَنْتَهِي حَتَّى تُوَرِّثَ رِجَالًا حُبَّ رِجَالٍ وَرِجَالًا بُغْضَ رِجَالٍ، وَحَتَّى تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً؟ وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فَقَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي، فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١٥٤). وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَكْتُبَنَّ إِلَى عُمَرَ.

بَابٌ فِي اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١٥٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات- باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (٢٦٥١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم (٢٥٣٥).

(١٥٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤٠).

(١٥٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٩/ ١١٠)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ -بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٦٥٩).

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ زَمْعَةَ، قَالَ: لَمَّا اسْتُعِزَّ بِرَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ دَعَاهُ بِلَالٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: مُرُوا مَنْ يُصَلِّي لِلنَّاسِ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ زَمْعَةَ فَإِذَا عُمَرُ فِي النَّاسِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ قُمْ فَصَلِّ بِالنَّاسِ، فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا مُجْهِرًا، قَالَ: «فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ»(١٥٥) فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهَّ بْنَ زَمْعَةَ، أَخْبَرَهُ بِهَذَا الْخَبَرِ، قَالَ: لَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَوْتَ عُمَرَ قَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ حُجْرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «لَا لَا لَا لِيُصَلِّ لِلنَّاسِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَقُولُ ذَلِكَ مُغْضَبًا»(١٥٦).

(الشرح)

هذه الأحاديث في فضائل الصحابة، وفضائلهم رضي الله عنهم كثيرة جدًا، تارة تكون فضائل عامة في عموم الصحابة، وتارة تكون فضائل مثل ما تقدم لأهل بدر، أو لأهل بيعة الرضوان، وتارة تكون فضائل لأفراد منهم، وسيدهم وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه فلهذا بدأ به.

أولًا من حيث الصحابة رضي الله عنهم القرن الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو خير قرون الأمة وهذا منصوص في القرآن قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١٥٧).

---

(١٥٥) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه (٤٦٦٠)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٢٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٦٥)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٤٣).

(١٥٦) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه (٤٦٦١).

(١٥٧) آل عمران: ١١٠.

الآية هذه وجهت للصحابة ولهذا قال بعض المفسرين إن الآية أصلًا ليست إلا في الصحابة، فالمقصود كنتم يا أصحاب محمد خير امة أخرجت للناس، وقال آخرون من أهل العلم، إن الآية في الصحابة بلا شك والأمة على سبيل التباعة، فخير الأمة بلا أدنى تردد هم الصحابة رضي الله عنه، ولهذا لا يوجد صنف يمكن أن يأتي لا تابعي ولا غير تابعي، ولا من يكون من الغرباء في آخر الزمان ولا من يتبعون ويلحقون وقف عيسى ابن مريم، كل هؤلاء لا يمكن أن يكونوا أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، ولهذا تجد السلف دائمًا يقولون: القرون المفضلة، السلف الصالح، فضلت بالنص، «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ»، يعني الصحابة «ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» من التابعين، «ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(١٥٨)، أتباع التابعين، والصحيح أنهم ثلاثة قرون، فتردد الراوي يقول الله اعلم أذكر بعد الثالث قرن أو لا، يعني هل هم أربعة والصواب أنهم ثلاثة، قرن النبي صلى الله عليه وسلم ثم القرن الذي بعده، ثم القرن الذي بعده.

انظر ماذا يقول صلى الله عليه وسلم في من يخلفون بعد الصحابة، لو تلاحظ أن كثير من النصوص المدح الأكثر قطعًا للصحابة، إذا جاء ذكر من بعد الصحابة في أحيان كثيرة يبين النبي صلى الله عليه وسلم الاختلاف الذي سيقع كما قال صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم «إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا»(١٥٩).

هنا بعد أن ذكر القرون الثلاثة المفضلة قال: «ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ» على خلاف هؤلاء الذين يقول خير أمتي فيهم هذه الخصال السيئة، «يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ» ومن شدة مبالغتهم في الشهادة وحرصهم عليها، حتى لو لم تطلب منهم، كون إنسان تسهل عليه الشهادة، هذا فيه دلالة على أن أمانته محل إشكال، لأن الشهادة يفترض أن تؤدى أداء عن يقين وعن جزم، هذا مستعد بالشهادة يأتي بها يعدو، فهذا يدل على أنه وإن لم يستشهد، يدل على أنه غير مكترث وغير مهتم بالشهادة، «وَيَنْذِرُونَ، وَلَا يُوفُونَ»، خصلة رديئة، النذر أصلا منهي عنه، فإذا نذر الإنسان لزمه أن يوفي، فهذا ينذر ويخالف النهج، ثم بعد ذلك إذا نظر لا

(١٥٨) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات- باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (٢٦٥١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم (٢٥٣٥).

(١٥٩) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة- باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (١٨٤٤).

يوفي، «وَيَخُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ»، خصال المنافقين هم أهل خيانة، إشارة على أنهم مقبلون على الدنيا وملاذها، لكن لو كان لا يعني ذلك أن المؤمن الثابت الصالح الذي ظهر فيه. . انه يكون من ضمن هؤلاء يعني هذه خصال مجتمعة «وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ»، «وَيَنْذِرُونَ، وَلَا يُوفُونَ»، «وَيَخُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ»(١٦٠)، فإذا كان المسلم مؤتمن وإذا نذر أوفى، لا يقال أنه يدخل في هؤلاء، لكن ظهور السمن فيهم يدل على نوع من الإقبال على الدنيا وملاذها.

الباب الذي بعده في النهي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

في هذا الحديث الصحيح في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا»(١٦١)، وهذا الأمر لا يكاد يصور، جبل أحد على ضخامته لو أن إنسان صار عنده في النفقة مثل هذا الجبل، لكن ذهب هل سيبلغ شيء مما قدمه الصحابة؟ لن يبلغ المد.

المد هو ربع الصاع، الصاع هذا الذي تخرج به زكاة الفطر، المد ربع الصاع لم يكثر النبي صلى الله عليه وسلم قال ولا نصيفه، أي ولا نصيف حتى هذا المد، يعني ثمن الصاع، من الصحابي لو أنفقت مثل أحد ذهب ما تعادله، يقال ما يبلغه أصلا، كل هذا للكف عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لهذا من الشقاء العظيم ودلائل الخيبة وانعدام الدين أن يتعرض أحد لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث بعده أن حذيفة رضي الله عنه كان بالمدائن، لد، فكان يذكر أشياء قالها النبي صلى الله عليه وسلم، حذيفة رضي الله عنه أخبره النبي صلى الله عليه وسلم ببعض المنافين وأحوالهم فكان يعرف بعض المنافقين لكن النبي صلى الله عليه وسلم بشر يغضب ويرضى فربما غضب على أحد الصحابة الأخيار ودعا عليه، بل ربما دعا على صبي صغير ليس بالمكلف كما دعا على يتيمة أم سلمة، قال: أراك كبرت، لا كبر قرناك وما نحوه، فقالت يا رسول الله هلكت أبنتي، فقال صلى الله عليه وسلم ألم تعرفي شرطي على ربي إني

(١٦٠) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات- باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (٢٦٥١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم (٢٥٣٥).

(١٦١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : «لو كنت متخذًا خليلًا» (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة- باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤١).

اشترطت على ربي شرط أني بشر أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر « فَأَيُّمَا مُـؤْمِنٍ سَـبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْ ذلك صلاة عليه»[١٦٢].

يعني النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال لحذيفة، تربت يمينك، لمعاذ، ثكلتك أمك يا معـاذ، هـذه الآن دعوة قال أهل العلم إنها تجري على ألسنتهم دون قصد الدعاء، فقالها صـلى الله عليـه وسـلم، فيقـال هـذه دعوة على معاذ وهي دالة على أن معاذ قد دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم، يقول حذيفة: النبي صلى الله عليه وسلم بشر، يغضب ويرضى وقد علمت أنه قال في أصحابه في الغضب أشياء، وقال في الرضا أشياء، يقول سلما لحذيفة فكونك تأتي وتقول إنه قال في فلان كذا وفي فلان كذا، هذا الجيل الأتي بعدهم لا يتصور ولا يعرف الفرق، ولا يدري بان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَـبَّةً، أَوْ لَعَنْتُـهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي، فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَـلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١٦٣].

يقول: أنت تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها، وأن الآن تقول غن النبي صلى الله عليـه وسـلم قال في فلان من الصحابة كذا، هؤلاء الآن الذين يسمعونك سيبغضون هذا الصحابي مع أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات أنه اشترط على ربه في شرط، لأنه بشر يغضب كما يغضب البشر ويرضى كما يرضى البشر، فأيما مؤمن سبه فإنه يسأل الله أن يجعل ذلك عليه رحمة كما في الحديث هنا.

قال: أما تنهي حتى تورث رجال حب رجال ورجال بغض رجال، يعني أنت إذا قلت النبي صـلى الله عليه وسلم قال في أبي بكر كذا، سيحبون أبا بكر، وإذا قلت مرة غضب فقال في فلان من الصحابة الأخيار كذا سيبغضونه، هذا الذي سيؤدي إليه قولك، مع انك تعلـم أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـال هـذا الحديث، أيما رجل، والله لتنتهين عن هذا أو لأكتبن لعمر، لأن مثل ما قلنا: الجيل الذي يأتي ولا يعرف بهذا الأمر الخاص بالرسول صلى الله عليه وسلم لا يعرفون الأمر، فحذيفـة اقـره رضي الله عنـه، لأنهـم كـانوا

(١٦٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٩/ ١١٠)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ – بَابٌ فِي النَّهْيِ عَـنْ سَـبِّ أَصْـحَابِ رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ (٤٦٥٩).

(١٦٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٩/ ١١٠)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ – بَابٌ فِي النَّهْيِ عَـنْ سَـبِّ أَصْـحَابِ رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ (٤٦٥٩).

يقولون حذيفة إذا حدث بالحديث حدثنا به سلمان، لا صدقك ولا كذبك، هو يقول حذيفة أدرى بما يقول؛ لأنه يحب وهذا من أدب سلمان، ما يريد أن يقول كيف يقول لكم هذا، يريد أن يقول كلمة، يكون فيها نوع احتمال؛ ليدفع عن الصحابة من جهة؛ ولألا يجعل حذيفة في مقام المخطى، حتى أتى إليه سلمان، قال ما يمنعك، إذا قلت حدثني بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوني ولا تكذبوني، فقالوا له هذا الكلام الذي تقدم.

أما إذا أخبر صلى الله عليه وسلم عن رجل بأنه من أهل النار، وأخبر عن رجل بأنه من المنافقين، هذا انتهى، هذا إخبار لا يمكن أن يخوض النبي صلى الله عليه وسلم في أمرٍ مثل هذا على سبيل، أنه يقول أنه من أهل النار، ثم يقول لا، إن هذه سبة لا المقصود أنه ربما غضب صلى الله عليه وسلم، غضب من صحابي في أثناء الغزو وتقدم الجيش، ربما قال كلمة فيه وغضب عليه ودعا عليه، قال: فلا تحفظوا هذه بهذه الطريقة وتخبروه بالناس فيمن بعد حتى يقولوها، الرجل قد دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم مع أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترط على ربه هذا الشرط فثمة فرق بين إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بكون هذا الرجل من المنافقين أو من أهل النار أو نحو ذلك، فكونه يغضب على صحابي كريم، فيقول له كلمة، مثل ما قال ليتيمة أم سلمة فإن هذا له معناه وذاك له معناه.

الأحاديث التي بعده في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه، أبو بكر لم يستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم لكن لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع من الدلالات والعلامات ما فيه الكفاية ليستخلف الصحابة أبا بكر رضي الله عنه من بعده، من أقوى وأعظم هذه الإشارات أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر في مرض وفاته في أخر حياته صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس أبو بكر، فمرة لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»(١٦٤)، فصلى بهم خير الصحابة بعد أبي بكر وهو عمر رضي الله عنه، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم، كان عمر رضي الله عنه رجل مجهر، يعني صاحب صوت يجهر في كلامه، صوته قوي واضح، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: «فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللهُ

(١٦٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان- باب إنما جعل الإمام ليؤتم به (٦٨٧)، ومسلم في كتاب الصلاة- باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر (٤١٨) واللفظ له.

ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ»(١٦٥)، حتى لو كان المصلي عمر، لا يصلي إلا أبو بكر، يأبى الله ذلك والمسلمون، فبعث لأبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس، هذه إشارة للصحابة قوية على أن الذي يصلي، الذي يليكم ويكون خليفة من بعد هو أبو بكر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعده الخلفاء كانوا هم الذين يصلون بالناس، إلا أن ينيبوا أحد، لهذا الحج لا بد أن يقوده الإمام، لا يقال للناس حجوا هكذا، لا ما في شيء هكذا، لا بد أن يكون هناك من يحج بالناس، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحج بالناس والخلفاء يحجون بالناس ولا يزال هذا هناك، لا بد أن يقوم بالحج أمير مكة.

لا بد أن يكون قائم على الحج لأن الحج يكون مع الأمراء مثل الجهاد، مثل الجمعة والجماعة والعيدين، تكون خلف الأمراء ولهذا قال أهل العلم نصلي خلفهم الجمع والجماعة والأعياد أبرا ر كانوا أو فجار حتى لا تنقطع هذه العبادة، فالأصل أنها تكون للولاة، النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل أبو بكر يصلي بالناس هذه اقوي إشارة على أنه هو الخليفة من بعده لن الذي يتولى الصلاة هو ولي أمر المسلمين، ثم إصراره صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت عمر ما سمع أي أحد، حتى قال «لَا،لَا،لَا لِيُصَلِّ لِلنَّاسِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ»(١٦٦) يقولها مغضب صلى الله عليه وسلم، الصحابة يتساءلون ما هذا الإصرار على أبي بكر لأنه خيركم وأفضلكم ولأنه أولاكم بأن يكون خليفة بعد رسول الله هذا المعنى المراد.

(المتن)

بَابُ مَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْكَلَامِ فِي الْفِتْنَةِ

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، وَمُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، ح وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْأَشْعَثُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِ

(١٦٥) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه (٤٦٦٠)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٢٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٦٥)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٤٣).

(١٦٦) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه (٤٦٦١).

بَيْنَ فِئَتَيْنِ، مِنْ أُمَّتِي»(١٦٧) - وَقَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّادٍ -« وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ »(١٦٨).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ: مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تُدْرِكُهُ الْفِتْنَةُ، إِلَّا أَنَا أَخَافُهَا عَلَيْهِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «لَا تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ»(١٦٩)

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى حُذَيْفَةَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ رَجُلًا لَا تَضُرُّهُ الْفِتَنُ شَيْئًا، قَالَ: فَخَرَجْنَا فَإِذَا فُسْطَاطٌ مَضْرُوبٌ فَدَخَلْنَا فَإِذَا فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ يَشْتَمِلَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَمْصَارِكُمْ حَتَّى تَنْجَلِيَ عَمَّا انْجَلَتْ.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ ضُبَيْعَةَ بْنِ حُصَيْنٍ الثَّعْلَبِيِّ بِمَعْنَاهُ.

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهُذَلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا أَعَهْدٌ عَهِدَهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ رَأْيٌ رَأَيْتَهُ فَقَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ وَلَكِنَّهُ رَأْيٌ رَأَيْتُهُ.

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(١٧٠).

(الشرح)

(١٦٧) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٣٧٤٦).

(١٦٨) أخرجه البخاري في كتاب الصلح- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» (٢٧٠٤).

(١٦٩) أخرجه أبو داود في كتاب السنة – باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة (٤٦٦٣)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٦٢٤٢).

(١٧٠) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامة النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥).

هذه بقية أحاديث الصحابة رضي الله عنه أو ما له علاقة بالصحابة في الباب، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة هذا هو الأصل، الأصل أن الفتنة إذا تحقق أنها فتنة يترك الكلام فيها حتى يعلو الصوت العلمي، فإذا تكلم كل احد كما هو الحاصل الآن وصاحت وسائل الإعلام خفت صوت أهل العلم فالفتنة نار لا بد في إطفائها من العلم، كالنار لا يطفئها إلا الماء، إذا استعملت وسائل لإطفاء النار، هذه الأشياء بعض الأحيان لا تزيد النار إلا اشتعالا، فالفتنة الأصل أن يكف عن الكلام فيها ويرجع فيها إلى العلماء وأهل العلم يتحدثون بالذي ينبغي في مثل هذه الفتن لكن كما تلاحظ، الفتن أكثر من يتكلم فيه أغير أهل العلم ولهذا اشتدت.

وقد اخبر صلى الله عليه وسلم أنه رأى في معراجه خطباء الفتنة تقرض أفواههم وشفاههم بمقاريض من نار، لأنهم تكلموا في الفتنة، والواجب في الفتنة عدم الكلام، وان يرجع فيها لأهل العلم ليخبروا بالحكم الشرعي فيها، فإذا صاح هذا وصاحت هذه الوسيلة، وصاحت هذه الإذاعة وهذه القناة، وهذا الشاعر زادت الفتنة، بينما لو ارجع الأمر لمن قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١٧١).

الحاصل أن الأصل ترك الكلام في الفتنة وان يرجع لأهل العلم فيها، وهذا لا يكاد يعمله إلا أقل الناس، يندر جدًا أن عمل هذا إلا قلة من الناس من يكفون عن الفتنة لأنها تهيج لمتابعتها، والكلام فيها فيخوض فيها من لا يجوز له الخوض فيها، وقد يكون لكلامه كما في الحديث اللسان فيها أشد من وقع السيف، إذا تكلم الإنسان كلام في الفتنة فيترتب عليه شيء أفظع من القتل بالسيف.

في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أثنى على الحسن، وهذا يدل على أن التنازل الذي تنازله الحسن لمعاوية رضي الله عنه أنه أمرٌ طيب، ولهذا استحق معه الإشادة، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ» وصف نبوي، ليس كأوصاف الناس ومجاملاتهم، وصف نبوي يدل على أن الحسن أهل لذلك رضي الله عنه .

(١٧١) النساء: ٨٣.

«إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي»(١٧٢) في اللفظ الآخر: «بَيْنَ فِرْقَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(١٧٣) هذا الحديث فيه دلالة على منقبة للحسن، فيه دلالة على أن الصلح الذي وقع رضيه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فيه ردٌ على الطائفتين الزائغتين: الرافضة الذين يكفرون معاوية ومن معه، والخوارج الذين يكفرون الحسن ومعاوية معه، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(١٧٤) وكذلك كان، فإن هذا حدث عام واحد وأربعين، واجتمعت الأمة، وسمي عام الجماعة.

محمد بن مسلمة شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سالم من الفتنة، حتى قال حذيفة: ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليك، إلا محمد بن مسلمة، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ»(١٧٥) لما وقعت الفتنة ماذا فعل؟ اعتزلها رضي الله عنه ؛ لهذا قال حذيفة: رجل لا تضره الفتن شيئًا، فخرج الراوي فإذا فسطاط، خيمة مضروبة قد هجر البلد، دخلوا فإذا محمد بن مسلمة، سألناه، قال: ما أريد أن أشتمل علي شيءٌ من أمصاركم، يعني لا أريد أن أسكن في البلدان حتى تنجلي عن مجالسكم، يعني حتى تنتهي هذه الفتنة، أما أنا فسأخرج حتى يطفئ الله تعالى هذه الفتنة.

واعتزلها عدد كثير من الصحابة، كابن عمر وسعد بن أبي وقاص، وسلمة بن الأكوع، وعدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، رأوا الاعتزال وعدم القتال لما وقع ما وقع بين معاوية وعلي، وبين علي وطلحة بن الزبير رضي الله تعالى عن الجميع.

في المسير الذي ساره علي رضي الله عنه في قتال معاوية، أو لقتال طلحة والزبير، سئل وهذا من أمانته، لقتال معاوية أو لقتال طلحة، أحد المسيرين أو الزبير، سئل وهذا من أمانته وتقواه لله، مسيرك هذا الآن

(١٧٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» (٢٧٠٤).

(١٧٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي: «إن ابني هذا لسيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» (٢٧٠٤)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(١٧٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٣٧٤٦).

(١٧٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنة – باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة (٤٦٦٣)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٦٢٤٢).

لتقاتل معاوية، أو لتقاتل طلحة والزبير، أعهدٌ عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني هل النبي صلى الله عليه وسلم أوصاك أن تقاتلهم، أم رأيٌ رأيته؟.

قال: ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء، يعني في هذه المسألة، لكنه رأيٌ رأيته، يعني أنا مجتهدٌ في أن يجب أن أقاتله، أما أن يكون عهد أو وصية مني أنسبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معاذ الله! من أعظم الردود على الرافضة حين يقولون أن عليًا كان يقاتلهم؛ لأنهم منافقون.

لما جاء قتال الخوارج، اتفق الصحابة على أن قتال علي رضي الله عنه للخوارج منصوصٌ من النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدث علي رضي الله عنه الناس بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأمرهم، وأنه أمره بقتالهم، وأخبره بعلامة الخارجي، السدية الذي سيجدونه علامةً على أنهم الخوارج المقصودون في الحديث، وقال رضي الله عنه علي، وجهر بهذا وأفشاه، قال: لولا أن تبطروا يعني يصيبكم البطر وتتركوا العمل، لأخطرتكم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتالهم، يعني من الفضل؛ لأن قتال الخوارج من أعظم القتال.

حتى قال صلى الله عليه وسلم : «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(١٧٦) بنفسه صلى الله عليه وسلم ، وقال: «خَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوهُ»(١٧٧) أفضل القتلى من يقتله الخوارج، «وقتيلهم شر قتيل تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»(١٧٨).

لما جاء يقاتل معاوية، قال: أنا لم يعهد لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا رأي واجتهاد أجتهده، من أمانته رضي الله عنه ، قال هذا مجرد رأي واجتهاد أنا ولي أمر انعقدت لي البيعة، أرى أن يُقاتلوا، أما الخوارج فاسمعوا ما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم.

لهذا قال أبو سعيد لما حدث بالحديث: قال: وأشهد أنكم قتلتموه يا أهل العراق؛ لأنهم كانوا مع علي رضي الله عنه ، ففرق كبير.

---

(١٧٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

(١٧٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٦/ ٦٥٤)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (٣٠٠٠).

(١٧٨) أخرجه الترمذي في باب: ومن سورة آل عمران (٣٠٠٠)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٥٥٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

لهذا قال شيخ الإسلام فرق بين مسألة مهمة وقع فيها بعض الفقهاء، قال: إنهم جعلوا قتال علي لطلحة والزبير، وقتال علي لمعاوية مثل قتال الخوارج، نقول: هذا خطأ كبير جدًا، وفرق كبير بين قتال علي للخوارج، وقتال علي لطلحة وقتال علي لمعاوية، كما سيأتي الفرق إن شاء الله تعالى.

الحديث اللي بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ» يعني تخرج، وهم الخوارج، «عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ» يعني في الوضع الذي كان فيه فرقة، حيث كان هناك خلاف بين علي من جهة، وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنه من جهة أخرى، قال: «يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ»(١٧٩) من الذي قتل الخوارج؟.

علي رضي الله عنه ، فدل على أنه أولى بالحق، لكن قال شيخ الإسلام في منهاج السنة: هذا الحديث فيه دلالة مهمة جدًا، وهي تدل على أن مع من قاتلوا عليًا وهم طلحة والزبير ومعاوية معهم بعض الحق، قال الدليل قوله: «أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ» فدل على أن عند الطائفة الأخرى حقًا، لكن أولى الطائفتين بالحق علي رضي الله عنه .

فهذا الحديث إذا فرح به الرافضة يقال: نعم، أهل السنة قرروا هذا أن عليًا هو في قتاله على الصواب رضي الله عنه ، لكن الطرف الثاني الذي تريدون أن تكفروه جاءكم هذا الحديث، الذي يدل على أن عند الطرف الثاني حقًا؛ لأن لا طلحة ولا الزبير ولا عائشة ولا معاوية كلهم رضي الله عنهم، ما أحد فيهم اعترض على أن يكون علي هو الخليفة، وليس هذا أصلًا من طبعهم، وليس هذا من شيمهم، علي بويع له بالخلافة سمعًا وطاعة، أثيرت مسألة قتل عثمان؛ لأن القتلة أخزاهم الله ماذا فعلوا؟.

انضموا إلى جيش علي، البيعة لك والسمع والطاعة لك، ما قاتلناك، ولا يمكن أن نقاتلك، ألست الآن أمير المؤمنين، اقتل هؤلاء المجرمين الذين قتلوا خليفة المسلمين بالأمس، علي رضي الله عنه قال: هم قد صارت معهم عبدانكم، حتى عبيدكم أنتم، لن تتمكنوا من التصرف فيهم، يقول: كيف أستطيع أن أقتلهم، وهم الآن كثرة كاثرة، لابد أن تكون اليد واحدة، عندئذ تقاتلهم الأمة دفعة واحدة.

(١٧٩) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامة النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥).

فرأى طلحة والزبير ألا ينتظرا، واتجها إلى البصرة، ليقتلا القتلة من أهل الكوفة، القتلة جاءوا من الكوفة ومن البصرة ومن مصر، علي رضي الله عنه تبعهم لا يريد قتالهم، وإنما قال: أنا ولي أمر المسلمين وليس لهم أن يذهبوا هكذا من تلقاء أنفسهم، وهذا واجب كونه على الصواب؛ لأن مثل هذه المسائل يباشرها ولي الأمر، لكن هم رضي الله عنهم يقولون: عثمان أمير المؤمنين، زوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم مهاجري، قُتل في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم عند نسائه وعند أهله، والخونة الفجرة يُتركون، قالوا لا نتركهم، نحن الذين نقتلهم.

لا شك أن مثل هذه المسائل منوطة بمن؟ بولي الأمر، لكن هم لم يتحملوا رضي الله عنهم، فوقع القتال، ولم يكن طلحة يريد قتال علي بلا شك؛ لأن طلحة والزبير لو أرادا قتال علي، أين يقاتلاه؟ في المدينة، فيذهبان إلى البصرة وهو في المدينة، لو كانا يريدان قتال علي نفسه، لقتلاه في المدينة، لكنهما اتجها إلى البصرة، وصارت المعركة في البصرة؛ لأن طلحة والزبير لا يريدان قتال علي نفسه، وإنما يريدان قتل القتلة، وهكذا معاوية رضي الله عنه ثبت عنه بالسند الصحيح، أنه لما قال له أبو مسلم الخولاني: أتقاتل عليًا أفأنت مثله؟.

قال: لا والله، إني لأعلم أنه خيرٌ مني، وأعلم أنه أولى بالأمر، يعني ولاية الأمر مني، لكن ألستم تعلمون أن عثمان ابن عمي، وأني أولى الناس بدمه! فليبعث إلى بقتلة عثمان وأنا أسلم له.

فما كان عندهم خلاف بأن علي هو الخليفة، ما أحد يقول هو الخليفة أنا معترض على خلافته، هذا فعل السفهاء، ليس فعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، شخص تمت البيعة له، انتهى الكلام والمنازعة. . في حكمه، ما أحد ينازعه في الخلافة، لكن جاء أمر الاجتهاد، قالوا لم يقاتلهم، والخونة أمامنا، والله لا نتركهم، نذهب ونقتلهم، معاوية يقول: أنا ابن عمه، والله تعالى يقول: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾(١٨٠).

أنا سأقتل القتلة، ولهذا قال معاوية أيضًا: ما قاتلت عليًا إلا في شأن عثمان، ما قاتلته في الولاية، ولهذا لم ينصب طلحة ولا الزبير ولا معاوية، لم ينصبوا أحدًا يبايعوه، لم يقولوا إن عليًا ليس أهلًا، معاذ الله أن

(١٨٠) الإسراء: ٣٣.

يقولوا هذا! لكن لابد من قتل من قتله؛ لهذا قال صلى الله عليه وسلم : «يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ»(١٨١) يعني أن عند الطائفة الأخرى شيء من الحق بلا شك، لم يقولوا ما نريده، هذا فعل الذين لا يفقهون من المتأخرين، إذا تمت بيعة قال أنا ما اقتنعت، هذا ليس له، إذا تمت البيعة لزمتك البيعة ولزمت الجميع، حتى من كانوا في الأرياف وفي المدن وفي القرى، وفي البادية، كل هؤلاء انتهى، انتهت البيعة، إذا انتهت البيعة وبويع من قبل أهل الحل والعقد، بايعه أهل بدر، لزمت البيعة الأمة كلها، هذا انتهى.

جاء النقاش بين معاوية وبين علي في موضوع قتلة عثمان، ولم يكن نقاش أنت تستحق أو لا تستحق، أنا الخليفة أو أنت لست مستحق الخلافة، ما كان يقاس بهذه الطريقة؛ لهذا قال صلى الله عليه وسلم : «أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ»(١٨٢) فدل على أن الأحق الأولى بالحق علي، لكن الطائفة الثانية عندها نوع حق، الحديث احفظه واضبطه؛ لأن ثمة أحاديث كثيرة، وأهل السنة يقررون أن علي رضي الله عنه هو الذي على الصواب، لماذا؟.

لأنه هو ولي الأمر، وولي الأمر الأصل أنه هو الذي يباشر مثل هذه الأمور، هذا هو الأصل، والاجتهاد الذي اجتهده طلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم، اجتهادهم هذا بإذن الله تعالى مأجورون، لكنهم أخطئوا، أما علي فاجتهد فأصاب، تنتهي المسألة عند هذا.

لكن هل كان عند أولئك حق؟ نعم عندهم حق؛ لأن عندهم قضية عندهم موضوع، يقولون: أمير المؤمنين قُتل، حتى عند نسائه، حتى لما أُريد أن يُدفن، أبوا أن يُدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع صاحبيه، وأبوا أن يُدفن حتى إلا في موضع ناء، ودفنوه سرًا من سيطرتهم على المدينة، كل هذا؛ لأن هؤلاء تجبروا وطغوا، قالوا ما نتركهم، والله لا نتركهم حتى لو نُقتَل، يعني لم يدفن عثمان رضي الله عنه إلا عدد قليل جدًا كله لأن هؤلاء سيطروا على المدينة.

قالوا: نحن نشيد ونبيد خبرهم، ولا نتركهم، أما ولاية علي فعلى الرأس والعين، ما قلنا فيها شيء، لكن كون علي سيتأخر، نحن الذين سنتقدم، يعني عندهم قضية، لكن الصواب مع علي؛ لأنه ولي الأمر،

(١٨١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامة النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥).

(١٨٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامة النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥).

وكان يرى أن تجتمع الكلمة، فإذا اجتمعت الكلمة سيبيدهم بلا أدنى شك، يقول: حتى تجتمع الكلمة، وينضبط الأمر؛ لأن المسألة هاجت فتنة كبيرة جدًا بعد أن قُتل عثمان، ثم لابد أن يُعرف من هو الذي قتله، ويُحدد القتلة؛ لأنهم كانوا كثرة، أتوا من الكوفة ومن البصرة ومن مصر، فلابد أن يُحددوا ويضبطوا ويعرفوا؛ لأنهم بعد ما فعلوا ما فعلوا تبركوا بعد ما سيطروا عليه، وقتل عثمان بتلك الطريقة، فبعد أن تمت البيعة تفرقوا في الأمصار، وكان معهم أيضًا قبائل رجعوا إلى قبائلهم، ليس من السهولة أنك تأتي إلى قبيلة عشرات الألوف وتقول أعطوني فلانًا، القبيلة قد تقوم دونه، فكان يرى أنه لابد أن يُسمع له ويطاع، وأن تهدأ الأمور أولًا، وهذا هو الصواب.

لكن هل عند أولئك حق، نعم عندهم حق، ولهذا هذا الحديث مهم جدًا، «يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ»(١٨٣) أولى، لكن عند الطائفة الأخرى حق.

(المتن)

بَابٌ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ»(١٨٤).

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»(١٨٥).

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْحَرَّانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»(١٨٦).

---

(١٨٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامة النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥).

(١٨٤) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب (٦٩١٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم (٢٣٧٤).

(١٨٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله تعالى: {وهل أتاك حديث موسى} (٢٣٩٦)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب في ذكر يونس عليه السلام (٢٣٧٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(١٨٦) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله تعالى: {وهل أتاك حديث موسى} (٢٣٩٦)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب في ذكر يونس عليه السلام (٢٣٧٧)، من حديث عبد الله بن عباس ما.

حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِسٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ فِي جَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»(١٨٧) قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَحَدِيثُ ابْنِ يَحْيَى أَتَمُّ.

حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، يَذْكُرُ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ»(١٨٨)

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرُّوخَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(١٨٩).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْعَسْقَلَانِيُّ، وَمَخْلَدُ بْنُ خَالِدٍ الشَّعِيرِيُّ الْمَعْنَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا، وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا»(١٩٠).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»(١٩١).

---

(١٨٧) أخرجه البخاري في كتاب: الخصومات – باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (٢٤١١).

(١٨٨) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل- باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه (٢٣٦٩)، من حديث أنس بن مالك.

(١٨٩) أخرجه مسلم في كتاب الْفَضَائِلِ- بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ (٢٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٩٠) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٤٦٧٤).

(١٩١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} (٣٤٤٣)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب فضائل عيسى عليه السلام (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة.

(الشرح)

هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى غدًا نشرحها، الآن تقرأ وغدا نشرحها، نسأل الله أن ييسر الفراغ من الكتاب، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد على آله وصحبه وسلم آمين:

قرأت أحاديث باب التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونشرح هذا بإذن الله عز وجل، الحديث الأول في قوله: «لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ»(١٩٢)، أي لا تفضلوا بعضهم على بعض.

حمل بعض أهل العلم الحديث على أن المراد التخيير الذي يكون فيه تنقيص للمفضول وإلا فقد قال الله عز وجل : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(١٩٣)، فالرسل لا شك أنهم بينهم تفضيل وعليه يحمل هذا الحديث على هذا الوجه.

وقيل إن هذا قبل أن يوحى إليه صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل فضل بعضهم على بعض، ولا شك أن المقصود بتفضيل الأنبياء بعضهم على بعض هو بيان درجاتهم -عليهم صلوات الله وسلامه- وليس المقصود أن يهضم وأن ينال من أي أحد منهم فإن هذا من الباطل العظيم لا يقصد بكون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء أن ينال من غيره معاذ الله، وعليه يحمل الحديث على ما ذكر.

الحديث الذي بعده قوله صلى الله عليه وسلم : «لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»(١٩٤)، يونس عليه السلام خص بالذكر لأن الله تعالى قص في كتابه ذهابه مغاضبًا فذكر ما حصل من انتقام الحوت له، فقد يظن جاهل أن هذا يبيح تنقصه صلوات الله وسلامه عليه، وهذا خطأ بالغ لا يحل التعرض للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمسبة كفر، ليس بالأمر الهين، ثم إن الله تعالى قال: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١٩٥).

هذا أمر وقع منه عليه الصلاة والسلام ثم إن الله -سبحانه وتعالى- اجتباه بعد ذلك فلا يحل لأحد أن يتعرض ليونس بكلمة فضلًا عن أن يقول: إن أحد خير من يونس ابن متى، درجة النبوة هي أفضل الدرجات، أفضل درجة يصلها بشر هي درجة الرسالة، فالرسل أفضل بني آدم على الإطلاق، وبعد

---

(١٩٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب (٦٩١٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم (٢٣٧٤).

(١٩٣) البقرة: ٢٥٣.

(١٩٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله تعالى: {وهل أتاك حديث موسى} (٢٣٩٦)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب في ذكر يونس عليه السلام (٢٣٧٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(١٩٥) القلم: ٥٠.

الرسالة النبوة، وكل رسول فهو نبي لزامًا، وليس بالضرورة أن يكون كل نبي رسول، ثم درجة الصديقين، هي الدرجة التي تكون بعد درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يوجد بشر واحد ممكن أن يقال إنه من أي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الأنبياء اختارهم الله تعالى، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(١٩٦)، وعلى هذا فهذه الدرجة التي حاذها يونس عليه الصلاة والسلام، لم يحذها أي أحد من غير الأنبياء، فل يحل أن يتعرض له ولا يمكن أن يفضله احد من غير الأنبياء كائن من كان.

الحدث الذي بعده حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجل من اليهود حلف فقال: والذي اصطفى موسى، في اللفظ الآخر، والذي اصطفى موسى على العالمين، فسمعه مسلم غضب وقال وعلى محمد صلى الله عليه وسلم، يعني تحلف هذا الحلف لأن الله اصطفى موسى حتى على العالمين ومن ضمن من يدخل في العالمين محمد صلى الله عليه وسلم، فرفع يده فلطم وجهه، فاليهودي معلوم أنه له عهد، فذهب للنبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم الرجل عن سبب ضربه ذا اليهودي على وجهه فأخبره الخبر فقال صلى الله عليه وسلم : «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ»(١٩٧) يعني بعد الصعق.

الصعق هو إذا أصاب الإنسان فزع وأغمي عليه هذا يسمى صعق، والناس في الموقف يصيبهم صعق عظيم هائل ثم يفيقون من ذلك الصعق، يقول: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ» يعني من هذا الصعق، «فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ»، يقول إذا أفقت وإذا بموسى صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، باطح، البطح هو الأخذ بالشدة، في جانب العرش، بعض الروايات في قائمة من قوائم العرش، يقول صلى الله عليه وسلم: «فَلا أَدْرِى أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ-سبحانه وتعالى- »(١٩٨)، بدليل قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾(١٩٩).

---

(١٩٦) الحج: ٧٥.

(١٩٧) أخرجه البخاري في كتاب: الخصومات - باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (٢٤١١) .

(١٩٨) أخرجه البخاري في كتاب: الخصومات - باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (٢٤١١) .

(١٩٩) الزمر: ٦٨.

يقول لا أدري، أدخل في هذا الاستثناء أو أنه أفاق قبلي، يعني صعق كما صعق محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الناس، لكن أفاق قبل محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا في بعض الروايات «فَمَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ»(٢٠٠)، لأنه صعق عندما طلب منه الله عز وجل ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢٠١).

«فَمَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ»(٢٠٢)، بحيث يكون ممن استثناه الله عز وجل فلا يدخل في الصعقة المذكورة في القيامة، وعلى التقديرين سواء أفاق قبل النبي صلى الله عليه وسلم أو كان ممن استثنى الله فهذه فضيلة لموسى، فأراد صلى الله عليه وسلم أن ينبههم على فضيلة موسى، لكن هذا لا يعني تفضيل موسى على محمد صلى الله عليه وسلم .

هناك فرق بين التفضيل المطلق والتفضيل في جانب من الجوانب، جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أبي ذر «مَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ وَلا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ -يعني السماء- مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»(٢٠٣) رضي الله عنه، وهذا فيه تفضيل عظيم له في هذا الجانب لكن لا يعني ذلك أنه أفضل من غيره مطلقًا، فقد يكون المفضول متميز في أمر معين ومحدد، دون أن يعني ذلك التفضيل المطلق بحيث يكون أفضل الجميع، أفضل الجميع محمد صلى الله عليه وسلم .

المهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر أن يكون هناك تفضيل على سبيل الحمية المبنية على جهل، وأيضًا نهى صلى الله عليه وسلم أن يكون التفضيل، على سبيل التنقص لغير من تفضل من الأنبياء عليهم

---

(٢٠٠) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى: {وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ...} (٣٣٩٨)، ومسلم في كتاب الفضائل – باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم (٢٣٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢٠١) الأعراف: ١٤٣.

(٢٠٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى: {وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ...} (٣٣٩٨)، ومسلم في كتاب الفضائل – باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم (٢٣٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢٠٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٣) والترمذي في كتاب المناقب– باب مناقب أبي ذر رضي الله عنه (٣٨٠١)، وقال: «وهذا حديثٌ حسنٌ»، وابن ماجه في كتاب المقدمة– باب فضل أبي ذر (١٥٦).

الصلاة والسلام، كل هذا لا يجوز ولا يصلح وإنما تكون الأمور من خلال العلم كما سيأتي إنشاء الله الدليل على فضل محمد صلى الله عليه وسلم .

وهكذا لما قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ قَالَ صلى الله عليه وسلم : «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ»[٢٠٤]، قيل إن ذلك قبل أن يوحى إليه، أنه أفضل ولد آدم على الإطلاق ومن ضمنهم إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وقيل عن النبي صلى الله عليه وسلم كره إظهار المطاولة على الأنبياء أو قاله على سبيل التواضع، أما من أفضل الأنبياء على الإطلاق فلا شك أنه رسول الله محمد بن عبد الله، هو خيرته من عباده ودل عليه الحديث بعده.

قال صلى الله عليه وسلم : «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»[٢٠٥].

هذا فيه الدلالة على أنه أفضل ولد آدم على الإطلاق، آدم ومن بعده، كلهم هو أفضل منهم -عليه الصلاة والسلام-.

لِمَ قال صلى الله عليه وسلم هذا؟

قاله لإعلام الناس بالأمر، إذ لا يمكن العلم بالأفضلية إلا بدليل، ولم يقله حاشاه صلى الله عليه وسلم على سبيل التفاخر؛ ولهذا قال في بعض الروايات: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»[٢٠٦] يعني: لا أقوله متفاخرًا، لكن على سبيل الإعلام؛ لأنه لو لم يعلمنا ولم يخبرنا وقال قائل: إن أفضل الأنبياء هو إبراهيم لأن الله اتخذه خليلًا، أو قال آخر: بل موسى، لأن الله تعالى كلمه تكليمًا، ما الذي يحدد للناس أفضل الأنبياء على الإطلاق؟ لابد من دليل، ولهذا قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»[٢٠٧] عليه الصلاة والسلام.

(٢٠٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل- باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه (٢٣٦٩)، من حديث أنس بن مالك .

(٢٠٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٥)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٢٢٧٩).

(٢٠٦) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٥)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٢٢٧٩).

(٢٠٧) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٥)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٢٢٧٩).

«وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ» أيضًا هذا في خصائصه وفضائله صلى الله عليه وسلم، «وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٢٠٨) صلى الله عليه وسلم، فضائله كثيرة -صلوات الله وسلامه عليه-.

الشاهد منها هنا: أنه سيد ولد آدم ولا فخر، فهو سيد الأنبياء والمرسلين أجمعين صلى الله عليه وسلم.

الحديث بعده، قوله صلى الله عليه وسلم: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا»(٢٠٩).

في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾(٢١٠) تلاحظ في الآية أن الله عز وجل ذكر قوم تُبَّع وذكر إهلاك قوم تبع، وما ذكر هلكة تُبَع، بينما لما ذكر هلكة فرعون قال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾(٢١١) جميعًا هو وقومه، أما تُبَّع قال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، فلما ذكر إهلاك قوم تُبَّع ولم يذكر تُبعًا، قال صلى الله عليه وسلم: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا»(٢١٢).

جاءت آثار وأحاديث فيها أن تبعًا أسلم، تبع هذا أحد الملوك الذين ذُكر في سعة ملكهم شيء هائل حتى ذكروا أنه إذا صُفت له الخيل صارت في كثرتها من الشام إلى اليمن، وذكروا أنه وصل في مملكته إلى سمرقند ومر بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قطعًا، وتبع مثل كلمة النجاشي عند الحبشة، مثل كلمة كسرى عند الفرس، ليس اسمًا، وإنما هو على سبيل العلم على من يملك اليمن، وفي هذا يقال: تبع لعدد كثير من ملوكهم، مثلما يقال النجاشي، النجاشي الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم هو أصحنة -رحمه الله تعالى-، وأما النجاشي الذي جاء بعده فهذا مثلما نقول الملك، فكلمة النجاشي وكلمة تبع هذه لقب على من يملك؛ لهذا قال صلى الله عليه وسلم: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا»، وجاءت آثار وأحاديث فيها أنه أسلم وأنه لا يُسب.

---

(٢٠٨) أخرجه مسلم في كتاب الْفَضَائِلِ- بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ (٢٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٠٩) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٤٦٧٤).

(٢١٠) الدخان: ٣٧.

(٢١١) هود: ٩٨.

(٢١٢) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٤٦٧٤).

«وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا»(٢١٣) عزير هو الذي قالت فيه اليهود -قاتلهم الله-: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾(٢١٤)، يقول: لا أدري أهو نبي من الأنبياء أيضًا أم ليس نبيًا.

الحديث الذي بعده: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»(٢١٥).

أولاد العلات هم الإخوة لأب، أمهاتهم مختلفة، كأن يتزوج الإنسان مثلاً أربع نساء أو ثلاثًا أو اثنتين، إذا وُلد له من هذه الأولى ولد ومن الثانية ولد ومن الثالثة ولد ومن الرابعة ولد، فهم ليسوا إخوةً أشقاء؛ لأن الأشقاء هم الذين يكونون من أبٍ وأمٍ، أما إخوة العلال فهم الذين يكون أبوهم واحدًا وأمهاتهم متفاوتة.

ما معنى الحديث «الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ»؟

أي: أن دينهم في التوحيد واحد، أما شرائعهم فمتفاوتة.

عيسى صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أي نبي، المدة التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين عيسى هي فترة بنص القرآن: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٢١٦)، وبه يكون النبي صلى الله عليه وسلم أولى الناس بعيسى صلى الله عليه وسلم ؛ لأن ليس بينه وبينه نبي.

وبالحديث هذا استدل من استدل من أهل العلم على أنه لا تُثبت نبوة من سُمي بخالد بن سنان، وقد جاءت بعض الأخبار أن هناك نبيًا اسمه خالد بن سنان وأن قومه أضاعوه.

قول النبي صلى الله عليه وسلم : «وَلَيْسَ بَيْنِي» يعني عيسى «وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»(٢١٧) يدل على أنه ليس هناك نبي بتاتًا، ولاسيما مع قوله تعالى: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ قيل: إن الفترة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين عيسى ستمائة سنة، وقيل أقل، ففي هذه الفترة لم يكن هناك نبي، لا خالد بن سنان ولا غيره.

---

(٢١٣) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٤٦٧٤).

(٢١٤) التوبة: ٣٠.

(٢١٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} (٣٤٤٣)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب فضائل عيسى عليه السلام (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة .

(٢١٦) المائدة: ١٩.

(٢١٧) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} (٣٤٤٣)، ومسلم في كتاب

قال شيخنا ابن باز -رحمة الله تعالى عليه- في تعليقٍ على تفسير ابن كثير: خالد بن سنان ما له أصل، ما هناك واقع نبي بُعث اسمه خالد بن سنان بدلالة هذا الحديث.

(المتن)

بَابٌ فِي رَدِّ الْإِرْجَاءِ

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ: أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(٢١٨).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو جَمْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ»(٢١٩).

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ الْعَبْدِ، وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»(٢٢٠).

بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَلَا دِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ» قَالَتْ: وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ شَهَادَةُ رَجُلٍ، وَأَمَّا نُقْصَانُ الدِّينِ فَإِنَّ إِحْدَاكُنَّ تُفْطِرُ رَمَضَانَ وَتُقِيمُ أَيَّامًا لَا تُصَلِّي»(٢٢١)

الفضائل- باب فضائل عيسى عليه السلام (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة .

(٢١٨) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥).

(٢١٩) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة- باب قول الله تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (٥٢٣)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (١٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢٢٠) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٢).

(٢٢١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض- باب ترك الحائض الصوم (٣٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات (٨٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْمَعْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: فَكَيْفَ الَّذِينَ مَاتُوا، وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(٢٢٢)»(٢٢٣).

حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُورَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»(٢٢٤).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٢٢٥).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُسْلِمٌ» حَتَّى أَعَادَهَا سَعْدٌ ثَلَاثًا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَوْ مُسْلِمٌ» ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ لَا أُعْطِيهِ شَيْئًا مَخَافَةَ أَنْ يُكَبَّوْا فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ»(٢٢٦)

---

(٢٢٢) البقرة: ١٤٣.

(٢٢٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٩٥)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (٤٦٨٠)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ- بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ (٢٩٦٤).

(٢٢٤) أخرجه الترمذي في «سننه»: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٢١)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣٨، ٤٤٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٤٨٥)، (١٥٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٧)، من حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه.

(٢٢٥) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨٢)، والترمذي في «جامعه»: كتاب الرضاع- باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥/ ٢١٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٩٢٦)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٦٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٩ ابن بلبان)، (٤١٧٦ ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٢٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب تألف قلب من يخاف على إيمانه

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾(٢٢٧) قَالَ: «نَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ الْكَلِمَةُ وَالْإِيمَانَ الْعَمَلُ»(٢٢٨)

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، ح وحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الْمَعْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَسْمًا، فَقُلْتُ: أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمٌ، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ الْعَطَاءَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يُكَبَّ عَلَى وَجْهِهِ»(٢٢٩)

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنِي عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(٢٣٠).

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلًا مُسْلِمًا: فَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَإِلَّا كَانَ هُوَ الْكَافِرُ»(٢٣١).

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ

لضعفه (١٥٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. ص: ٢٢١.

(٢٢٧) الحجرات: ١٤.

(٢٢٨) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (٤٦٨٤).

(٢٢٩) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه (١٥٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢٣٠) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب حجة الوداع (٤٤٠٥)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارًا» (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢٣١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب من كفّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٦١٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (٦٠)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

خَالِصٌ وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٢٣٢).

حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الْأَنْطَاكِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»(٢٣٣).

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُوَيْدٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا نَافِعٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الْهَادِ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»(٢٣٤).

(الشرح)

هذان البابان ذكرهما -رحمه الله تعالى-: الأول فيه رد، والثاني فيه تقرير.

(بَابٌ فِي رَدِّ الْإِرْجَاءِ) والثاني في الزيادة والنقصان، نحتاج إلى أن نضع مقدمة تنفع إن شاء الله عز وجل وترتب لطالب العلم موضوع الإيمان؛ لأن الخبص فيه كثير، في القديم وفي الحديث، والفرق افترقت فيه فرقًا شتى، وهدى الله أهل الحق ولله المنة والفضل بالمنهج الصواب السليم فيه، فعلى طالب العلم أن يضبطه، وهو ما سنلخصه إن شاء الله تعالى في الدقائق الآتية قبل الدخول في أحاديث الباب.

فنقول أولاً: مسائل الإيمان الكبار ثلاثة:

المسألة الأولى: حقيقة الإيمان، وحقيقة الإيمان بإجماع أهل السنة والجماعة: "أنه قول باللسان واعتقاد بالقلب" وهو المعبر عنه بالجنان، "وعمل بالجوارح" وقد يُقال: "بالأركان" أركان العبد هي جوارحه، هذه هي حقيقته.

---

(٢٣٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب علامة المنافق (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان خصال المنافق (٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢٣٣) أخرجه البخاري في كتاب الحدود- باب إثم الزناة (٦٨١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٣٤) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان - باب لايزني الزاني وهو مؤمن (٢٨٣٤).

حكا الإجماع على أن الإيمان قول وعمل، الشافعي وأحمد، وحكاه البخاري عن شيوخه وهو معلوم من الشعارات الكبار جدًا عند أهل السنة، أن الإيمان "قول واعتقاد وعمل".

وإذا قالوا بأنه قول وعمل، فليس معناه أنه قول باللسان وعمل بالجوارح دون اعتقاد، ليس هذا هو المقصود، إذا قالوا: قول وعمل تعرف المراد، المراد بكلمة قول: قول اللسان ونطقه، هذا معروف، والثاني قول القلب وهو تصديقه، والعمل عمل القلب كخشوعه ورجائه وحبه، وعمل الجوارح وهو العمل المعروف مثل السجود والصلاة والطواف بالبيت ونحو ذلك، هذا لا يختلف فيه أهل السنة بتاتًا، من خالف إنما خالف المرجئة كما سيأتي الكلام عليهم إن شاء الله لاحقًا.

المسألة الثانية الكبيرة: مسألة الزيادة والنقصان في الإيمان.

لما كان الإيمان قولاً واعتقادًا وعملاً، كان لابد أن يكون هناك تفاوت في قوة الاعتقاد قطعًا بين الناس، فليس اعتقاد محمد بن عبد الله -صلوات الله وسلامه عليه- مثل اعتقاد أي أحدٍ من المؤمنين، فاعتقاده صلى الله عليه وسلم أرسى وأعظم حتى من الجبال الراسية.

فالتصديق هذا ينبغي أن نضبطه، التصديق يتفاوت، ليس التصديق شيئًا واحدًا، فعبارة أن أهل الإيمان في أصله سواء هذه عبارة المرجئة تسللت إلى الكتب الخاطئة، ليسوا سواءً في أصل، بل هم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا جدًا، أين إيمان الرسل -صلى الله عليهم وسلم- وإيمان الملائكة وإيمان الصالحين من هذه الأمة، بل أين إيمان الرسل وإيمان الملائكة عليهم الصلاة والسلام من إيمان العصاة من هذه الأمة؟ فلا يقول إن الإيمان واحد إلا المرجئة، الذين يقولون: إن الإيمان كإيمان جبريل وميكائيل.

إذًا المسألة الثانية أن الإيمان يزيد وينقص؛ لأنه شُعب، كما سيأتي في الحديث إن شاء الله عز وجل، إذًا يزيد وينقص من جهة قوة التصديق وضعفه، ويزيد وينقص من جهة واضحة وهي جهة الأعمال، الذي صام اليوم وتبع جنازة وعادى مريضًا، وقرأ جزأين من القرآن أو ثلاثة هذا أكثر عملاً، واضح ممن لم يزر مريضًا ولم يتبع جنازةً ولم يصلِّ مثلاً من الليل ولم يقرأ من القرآن شيئًا، مؤكد أن هذا عمله أكثر، هذا أمر واضح، لكن المقصود: أن الزيادة تكون في العمل وتكون أيضًا في قوة التصديق واليقين.

وقول اللسان واضح، أن ينطق بكلمة الحق، وشهادة "أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله" وأن تكون مطابقةً لقلبه، ويكون صادقًا فيما نطق به، هذه المسألة الثانية.

ويظهر الإجماع عند أهل السنة أن الإيمان يزيد، الآيات صريحة جدًا: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾(٢٣٥)، ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾(٢٣٦) آيات كثيرة جدًا: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾(٢٣٧).

المسألة الثالثة: هي مسألة الاستثناء في الإيمان.

والمراد بالاستثناء في الإيمان: أن الرجل إذا قيل له: هل أنت مؤمن؟ أن يقول: إن شاء الله، ولا يكون قوله إن شاء الله على سبيل الشك -معاذ الله- لكن يكون قوله: إن شاء الله على سبيل عدم تزكية نفسه، وعلى سبيل أن الإيمان الكامل أنه لا يدعيه لنفسه لأن الله تعالى قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾(٢٣٨) هؤلاء هم الكُمَّل.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ هؤلاء هم كُمَّل المؤمنون، فإذا قيل: هل أنت مؤمن على هذا الاعتبار؟ تستثني ولا تزكي، ولهذا هذه الآية، لاحظوا هذه فائدة مهمة جدًا في الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- ذكرها الله في أول سورة "الأنفال".

وفي آخر سورة "الأنفال" أعطاك الله عز وجل مثالًا للذين هم أهل الإيمان الكامل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾(٢٣٩) المهاجرون والأنصار، فمن يستطيع أن يقول أن إيمانه مثل إيمان المهاجرين والأنصار؟ يقول: إن شاء الله.

---

(٢٣٥) المدثر: ٣١.

(٢٣٦) مريم: ٧٦.

(٢٣٧) الأنفال: ٢.

(٢٣٨) الأنفال: ١-٤.

(٢٣٩) الأنفال: ٧٤.

أو يستثني على اعتبار العاقبة، هو الآن على إيمان، يعلمه من نفسه بالله وملائكته وكتبه ورسله، لاشك في هذا، لكن لا يدري بماذا يختم له، نسأل الله العفو والعافية.

الأمر الرابع في الاستثناء بالإيمان: يتعلق بأن الإيمان الذي ينفع أهله هو المتقبل، فقد يعمل الإنسان - نسأل الله العفو والعافية- ولا يُقبل منه، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٢٤٠) هو أعلم بالمتقين سبحانه وتعالى؛ ولهذا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾(٢٤١)، قالت عائشة -رضي الله عنها- يا رسول الله، أهو الذي يشرب الخمر ويسرق ويزني؟ قال: «لا يابنة الصِّدِّيقِ»(٢٤٢) ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون، ويخشون ألا يُتقبل منهم، أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

إذًا هو يستثني في الإيمان بهذا الاعتبار أيضًا، فهو لا يدري أقُبل منه أو لا؟ المهم أن الاعتبارات والمآخذ التي بناء عليها يكون الاستثناء في الإيمان خمسة، ومعلوم أن الإنسان لا يستثني بمعنى أنه يقول: لا أدري هل أنا مؤمن بالله أو أنا كافر به؟ ما في أحد عاقل سوي يقول هذا، ولا يمكن أن يستثني على سبيل مثل هذا السبيل، إلا أن يكون موسوسًا لا يدري، هذا مشكل، أن يقوله شخص يعلم أنه مؤمن بالله ورسوله، لو أن الله عز وجل تُعرض له أو لرسوله صلى الله عليه وسلم لحمي على أشد ما يكون، ولربما قاتل من فعل هذا قتالاً قُتل هو فيه، هذا معلوم أن هذا عنده إيمان جزمًا، فلا يمكن أن يكون إذا قال إن شاء الله أن يكون مستثنيًا.

ومن وجوه الاستثناء أيضًا أن تقول إذا قيل لك هل أنت مؤمن؟ أن تقول: أرجو، أرجو أيضًا وردت في هذا.

من الأدلة على الاستثناء في الإيمان، من المآخذ الخمسة، المأخذ الخامس الذي من أجله يُستثنى في الإيمان:

---

(٢٤٠) المائدة: ٢٧.

(٢٤١) المؤمنون: ٦٠.

(٢٤٢) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة المؤمنون (٣١٧٥)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٦٢).

أنه ورد الاستثناء في أشياء محققة مجزومة، مثل قول الله عز وجل وهو علام الغيوب: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ﴾(٢٤٣) الله يعلم أنهم سيدخلون المسجد الحرام، هو أعلم بالغيب تعالى، وهكذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة المقابر لما زار أهل القبور: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».

معلوم أن كل أحدٍ سيموت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾(٢٤٤) فكل أحدٍ سيموت، ومع ذلك قال: «وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»(٢٤٥) والملك إذا سأل المؤمن وأجاب الجواب السليم في القبر، قالوا: «عَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ»(٢٤٦) القيامة معلومة ومؤكدة، معلوم أن الملائكة تقول إن شاء الله ليس على سبيل التعليق، بل على سبيل التحقيق، مؤكد، ورد الاستثناء حتى في الأمور المحققة، فبه نعر ف المسألة الثالثة وهي مسألة: الاستثناء في الإيمان.

نأتي الآن إلى موضوع الإرجاء:

ما المراد بالإرجاء؟

الإرجاء من قولك: أرجأ الأمر، أي: أخره، والإرجاء هو تأخير العمل عن مسمى الإيمان، هذا تتفق فيه جميع طوائف المرجئة، الغلاة منهم وفقهاء الكوفة، كلهم يتفقون في أن الإيمان لا يدخل فيه العمل، ثم اختلفوا:

فمنهم من قال: أن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد القلب فقط، أي: أنه مكون من شطرين اثنين؛ شطر باللسان وشطر بالقلب.

وقال الجهم بن صفوان وهو من غلاة المرجئة: إن الإيمان مجرد معرفة القلب، إذا عرف أن الله ربه فهذا كافي، ولهذا قال: الكفر هو الجهم، قال أهل العلم: وقد نصت النصوص على أن إبليس عرف ربه، قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾(٢٤٧)، قالوا: فعلى تعريف الجهم بن صفوان أن إبليس -والعياذ بالله-

(٢٤٣) الفتح: ٢٧.

(٢٤٤) الأنبياء: ٣٤.

(٢٤٥) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز - باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٤).

(٢٤٦) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٤٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١١٣ ابن بلبان).

(٢٤٧) الحجر: ٣٩.

مؤمنًا، وهكذا ذكر تعالى معرفة أهل الكتاب وأنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾(٢٤٨) ومع ذلك هم كفار، فكيف يكون مجرد معرفة القلب هو الإيمان؟! لاشك أن هذا من أعظم الباطل وأشد الغلو.

ورث الجهم بن صفوان المرجئة من المتأخرين وهم الأشعرية والماتريدية، فقالوا: إن الإيمان هو مجرد التصديق القلبي، فجعلوا هم والجهم مناط الإيمان في اعتقاد القلب فقط، في أمر القلب فقط، عبَّر الجهم بقوله: المعرفة، وعبروا هم بقولهم: التصديق، وأخرجوا اللسان، بمعنى: أن الإنسان ولو لم ينطق بلا إله إلا الله متعمدًا مع قدرته، بزعمهم أنه يكون مؤمنًا كامل الإيمان مثل إيمان جبريل وميكائيل.

فهنا انفتح باب خطير جدًا، ولم يتفطن له المرجئة ولا من وقع في باطلهم، أنه إذا قيل: أن مناط الأمور متعلقة بالإيمان هو القلب، فمعنى ذلك: أن الكفر سيكون متعلق بالقلب، وعلى هذا: لو أن إنسانًا سبّ الله ورسوله -والعياذ بالله- هذا السب باللسان، فإذا قال: أنتم تعلمون أو تعتقدون أن الإيمان هو أمر قلبي؛ إذًا الكفر لابد أن يكون من جهة القلب، ولا يكون من جهة اللسان؛ لأنكم تقولون: لا دخل لنطق اللسان في الإيمان، وبالتالي لا دخل له في الكفر، فلا تكفر بنطق اللسان، إنما كفِّر بأمرٍ يتعلق بالقلب، فانفتح هذا الأمر الخطير جدًا على الأمة، وبالفعل التزمه بعض المرجئة.

قالوا: إنا لا نقول أنه كافرٌ، عند الله عز وجل يمكن أن يكون مؤمنًا، لكنه كافر في أحكام الدنيا إذا سبّ الله ورسوله، قيل: فإن سبّ الله ورسوله كفر أو ليس بكفر في ذاته؟ قالوا: ليس بكفر.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في الصارم: وهذا مخالف لما أجمعت عليه الأمة؛ لأن الله تعالى كفَّر أهل الكفر بأقوالهم، وقال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾(٢٤٩)، وسماها "كلمة الكفر"، فكيف ينطق الإنسان كلمة الكفر إلا أن يكون مُكرهًا، إذا أُلجئ وأُكره أو أن يخطئ، كالذي قال لما وجد راحلته من شدة الفرح: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ» أراد أن يقول: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، قال صلى الله عليه وسلم : «أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(٢٥٠).

---

(٢٤٨) البقرة: ١٤٦.

(٢٤٩) التوبة: ٧٤.

(٢٥٠) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات- باب التوبة (٦٣٠٩)، ومسلم في كتاب التوبة- باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٧)، من حديث

أي شخص لم يخطئ ولم يُكره ويسب الله ورسوله فهذا عند أهل السنة بإجماعهم كافر ظاهرًا وباطنًا، وهكذا من رمى المصحف في القاذورات كافر ظاهرًا وباطنًا، من سجد للشمس كافرٌ ظاهرًا وباطنًا إلا أن يكون مُكرهًا مُلجئًا ليس له حيلة، قطعًا أخرج المجنون، فالمجنون وضع آخر، إنما المقصود من يكون عاقلاً مُختارًا، فبإجماع أهل السنة هذا يكون كافر.

قال شيخ الإسلام: "هذا يكون كافرًا ظاهرًا وباطنًا".

ثم ذكر شيخ الإسلام أن القاضي أبا يعلى -عفا الله عنه- زعم أن من سبّ النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يكون كافرًا في الظاهر وليس بالضرورة أن يكون كافر بالباطن، قال شيخ الإسلام: وعفا الله عن القاضي فإنه قد قال بنفسه في كتبٍ أخرى له بخلاف هذا القول، وإنما دخل هذا القول على القاضي وعلى بعض الفقهاء من الجهمية الإناث، يعني: المتأخرين، قال -رحمه الله تعالى-: "وليُعلم أنه قولٌ لم يقل به أحد من أهل الفتوى، وإنما هو خطأ" يعني: عندنا بعض الأقوال تكون خطأ، وقد تُنسب لبعض أهل العلم، إذا أردت أن تقول الأقوال في المسألة إيَّاك أن تقول هذا القول، يقول: هذا من الأقوال الخاطئة، ليس مما يذكر ضمن كلام أهل العلم، أول من قال إن الرجل يمكن أن يسجد للشمس ويكون مؤمنًا ولا يكون كافرًا إلا إذا طابق بزعمه القلب عمله هو الجهم بن صفوان، معروف عنه فهو من غلاة المرجئة.

فهذه مقولة خطرة جدًا؛ لأنه يترتب عليها أن يُسَّب الله ورسوله وأن يُستهزأ بهما، ثم يقول قائل: وأنت تعرف ما في قلبي؟ أنا أقولها بلساني، لكن قلبي لم يواطئ ما نطقت به بلساني، وقد أكثر الله المنافقين بالقول، حينما سخروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرّاء من أصحابه -رضي الله عنهم- فقال تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾(٢٥١)، ماذا قالوا؟ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾(٢٥٢)، وهي قولهم: "ما رأينا مثل قرائنا" يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه "أرغب بطونًا ولا أجبن عند اللقاء" إلى آخر قولهم الخبيث، فكفرهم الله بها، ولما اعتذروا، قالوا: حديث الركب، ما كان عن قصدٍ منا، وإنما كان مجرد نقطع به الطريق، قال تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٥١) التوبة: ٦٦.

(٢٥٢) التوبة: ٧٤.

فليس لأحدٍ أن يكفر بلسانه أو فعله ثم يقول: أن ما وطئ قلبي، يُقال: أنت كافرٌ ظاهرًا وباطنًا إلا من استثنى الله مثل المُكرَه، المكره إكراهًا حقيقيًا ليس له فيه حيلة، هذا هو الوجه الآخر، أو الذي أخطأ، قد يخطئ الإنسان قد يقول بعض الأحيان: "اللهم إني أسألك النار وأعوذ بك من الجنة" يُقال: لا تخف، رب العالمين أعلم بك، أنت أردت أن تقول: "اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار" فلا تخف، لعل الدعوة تحققت ويجعلنا من أهل النار! رب العالمين أعلم سبحانه وتعالى، أنت أخطأت، والخطأ هذا معفو، الإكراه والإلجاء الذي ليس فيه حينًا معفو، لكن شخص قاصد مختار لاشك أنه يؤخذ به ويكفر ظاهره وباطنه.

الإرجاء إذًا هو إخراج العمل أو إرجاءه عن الإيمان ترتب عليه خلل في الكفر، وخذها قاعدة قلناها أكثر من مرة: كل أحد يكون عنده خللٌ في فهم الإيمان لابد أن يكون عنده خلل في فهم الكفر، وكل أحد يكون عنده خلل في فهم التوحيد يكون عنده خلل في فهم الشرك، لزامًا، إذا قال أحد: إن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق، إذا سألته فقلت ما هو الشرك؟ قال: أن يعتقد أحد أن الله معه خالق آخر، قيل: فإذا سجد لغير الله وذبح لغير الله؟ قال: هذا لا يكون شركًا؛ لأن التوحيد أن يقر بالخلق، قد يقول: إنه معصية كما قال بعض السفهاء من المتأخرين.

تعرف ما الخلل؟ الخلل أنه ما فهم التوحيد، فلهذا ما فهم الشرك، وهكذا الكفر إذا ما فهم الإيمان لن يفهم الكفر؛ لأن الإيمان ضده الكفر، والتوحيد ضده الشرك، فإذا اختل فهمه للتوحيد سيختل فهمه للشرك لزامًا، وإذا اختل فهمه للإيمان فسيختل فهمه للكفر، وهنا نحذر من أمر في غاية الخطورة تطرق إلى عدد من طلبة العلم للأسف الشديد، وهو أن يُحجر من أن تطرق إليك عقيدة شارح الحديث أو مفسر الآية أو المصنف في كتب أصول الفقه أو في كتب الفقه وأنت لا تدري، مثلما قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-، قال: هذا القول تطرق إلى الفقهاء من الجهمي إلى الفقهاء المتأخرين، وليس إلى كلهم قطعًا إنما إلى بعضهم، من الجهمية الإناث أن بعض من ألف كان من الجهمية وأدخل هذا في كتابه، فتطرق من خلال شروح الحديث إذا كان شارح الحديث جهميًا، فإنه سيشرح الحديث بناء على فهمه هو، فيأتي طالب العلم الذي اهتم مثلاً بالحديث من جهة أنواعه والرجال ونحوه، ولم يضبط مسألة العقيدة فتجد طلبة علمٍ من

أهل السنة ينقلون مقولات الجهمية وهم لا يدرون؛ لأنه لا يدري أن الشارح يقول بقول الجهمية، سواء الجهمية الذكور كما سماهم شيخ الإسلام، أو الإناث وهم الفروع كالأشعرية والماتريدية، فينبغي أن يُعلم ويفهم أمر الإيمان، وهكذا أمر القدر وأمر الصفات؛ لأن الخطر فيها كبير فإن لم تفهم حقيقة قول أهل السنة وقرأت في قول هؤلاء الذين صنفوا مثل هذه المصنفات ولم تدرِ عقيدته وهذا خطر كبير عليك، هذه الشروح وهذه التفاسير نافعة، استفادوا منها بلا شك، لكن عليك أن تعرف الاعتقاد أولاً وتضبطه.

تجد أن الذي يضبط الاعتقاد إذا مر به شرح الحديث وفيه تأويل صفة قال هذا من التجهم، إذا مر به تفسير آية عند الرازي، عند البيضاوي، عند فلان، عند فلان، قال: هذا من إرجائهم، يعني من المرجئة من يقول هذا؛ لأنه يعرف الإرجاء ويعرف التجهم، ويعرف سبيل الخوارج، فيكون عنده حصانة، أما أن يقتحم هذه الكتب، وهذه المطولات هو لا يدري بمثل هذه التفاصيل لاشك أن هذا خطأ، ويتطرق إليه ونبه عليه الشيخ محمد بن عثيمين، طلبة العلم لا يهتموا بمسائل العقيدة ويضبطوها ويهتموا بجوانب أخرى في الفقه والأصول أو نحوها ويكون عندهم هذا الخلل والتفصيل في الأصل وهو الاعتقاد، مع أنه سني وعلى السنة وينتسب للسلف ولا يشك في أن قول السلف هو الصحيح، تدخل عليه أقوال ولا يشعر، فلهذا مقولة المرجئة دخلت على بعض الناس وبعضهم دخلت عليهم كتب الشروح، شروح الحديث بالذات، فصاروا ينقلون شروح الحديث وتفاسير الآيات ولا يدرون أن الشارح والمفسر من القائلين بقول المرجئة، فخفيت عليهم هذه، ولهذا أحببنا أن يُعرف الإرجاء.

الإرجاء أصله التأخير، يعني: تأخير العمل، فلما أخروا العمل منهم كأبي حنيفة -عفا الله عنه وغفر الله له- من قال: إن الإيمان، وهكذا مرجئة الفقهاء، شيخه محمد بن سليمان وهؤلاء خير المرجئة، أفضل المرجئة، يعني هم أهل علم ومع ذلك من أحسن ما يجاب به عن أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- أنه لما ناقشه حمّاد بن زيد -رحمه الله تعالى- في حديث: فَأَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْهِجْرَةُ»، قَالَ: وَمَا الْهِجْرَةُ؟ قَالَ: «أَنْ تَهْجُرَ السُّوءَ»، قَالَ: فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ»(٢٥٣) قال حمّاد لأبي حنيفة، ألا تُراه جعل الهجرة والجهاد من الإيمان؟ يعني: وهما من العمل، فسكت أبو حنيفة -رحمه الله تعالى-، فقال بعض أصحابه:

(٢٥٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٨/ ٢٥٢).

أجبه يا أبا حنيفة، قال تريدني أن أجيبه ويحدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! أتريد أن أرد على الحديث؟! سأسكت، هذا يدل على ورعه -رحمه الله تعالى- وعلى تقواه، فالقول بأن الإيمان هو الاعتقاد والنطق فقط هذا قول مرجئة الفقهاء، جعلوا الإيمان متعلقًا بالقلب فقط بأن يقول هو المعرفة أو هو التصديق، هذا قول الغلاة، القول بأنه المعرفة قول الجهم بن صفوان، والقول بأنه مجرد التصديق قول الأشعرية والماتريدية.

قال: بأن الإيمان هو نطق اللسان فقط، فإذا نطق بلسانه فهو كامل الإيمان، وأغفلوا حتى اعتقاد القلب؛ إذًا اتفقت جميع المرجئة على إخراج العمل من الإيمان، قلنا أن هذا انعكس انعكاسًا شديدًا عليهم في مسألة الكفر.

وأقر الكشميري وهو من أحسن من فهم هذا من المرجئة المتأخرين، أقر بخطورة مقولة المرجئة، قال: إن عندنا إشكالاً يرد علينا، ما هو؟ قال: إن قلنا أن رمي المصحف في القاذورات وسب الله ورسوله ليس كفرًا فقد خالفنا إجماع الأمة، وإن قلنا أنه كفر أسقطنا قولنا في الإيمان أنه تصديق، لماذا؟ لأنه يقول: الإيمان هو التصديق والكفر هو الجحود هكذا هم فسروا، وبناء عليه: قالوا لا يخرج من الإيمان إلا من الطريق الذي دخل به، دخل الإيمان من ماذا؟ قالوا: من قلبه، فلا يُخرج إلا من قلبه، فجاءت مسألة سب الله وسب رسول الله، هي باللسان، قال: عندنا إشكال الآن، إن قلنا إنها كفرٌ فمعنى ذلك أن الكفر إذا تطرق إلى العبد من جهة لسانه فمعنى ذلك أن للسان علاقةً بالإيمان، يقول: فإن تطلبوا قولنا أن الإيمان هو التصديق، وصدق، وإن قلنا إن هذه الأعمال الخبيثة كرمي المصحف في القاذورات وسب الله وسب رسول الله ليس كفرًا قال: هذا إجماع أمة محمد، إجماع الصحابة والتابعين، معلوم أنه كفر، قال: فهذه ورطة، كأنه يعبر عنها، هذه مشكلة وهي في الحقيقة ورطة للمرجئة، ولهذا الإيمان: "قول باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح".

قال الشافعي -رحمه الله تعالى- فيما نقله شيخ الإسلام: إن هذا إجماع السلف من الصحابة والتابعين، قال: لا يجزئ واحد عن الآخر، فلو أن إنسانًا نطق بلسانه واعتقد بقلبه ولم يعمل نهائيًا، يقول أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: بإجماع الصحابة والتابعين لا يكون مؤمنًا، هذا المعروف، لأنك الآن تقول:

الإيمان قول واعتقاد وعمل، نقول لك: إذا لم ينطق متعمدًا، نقول: يكفر، إذا كان اعتقاده اعتقاد المنافقين، قال: وعمل، لكن هو في الباطن كاذب منافق، تقول: لا ينفعه، فإذا قال واعتقد ولم يعمل لابد أن تقول إنه كافر، إذا ترك العمل بالكلية، لم؟ لأنك تقول قول واعتقاد وعمل، إن ترك القول كفر، إن ترك الاعتقاد كفر، فإذا ترك العمل، إذا قلت لا يكفر عدت إلى قول المرجئة الفقهاء وإن كنت لا تريد هذا، يلزمك أن تكون عائدًا إليه، لأن مرجئة الفقهاء ماذا قالوا؟

قالوا: إذا ترك قول اللسان كفر، وإذا ترك اعتقاد القلب كفر، وإذا ترك العمل ما يكفر، قلنا: لماذا؟ قالوا: لأنا نقول: العمل لا علاقة له بالإيمان، وبالتالي لا علاقة له بالكفر، هذا التقرير ينضبط مع قول مرجئة الفقهاء، أما أن يأتي شخص ويقول: الإيمان قول واعتقاد وعمل، إن ترك القول كفر، وإن ترك الاعتقاد كفر، وإن ترك العمل لا يكفر؟! هذا ركب قولين، ركب قول لأهل السنة وقول المرجئة، وهو لا يشعر.

وكان شيخنا الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى- يغضب كثيرًا إذا استدل بعض طلبة العلم عليه بحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في أحاديث الشفاعة أنه يُخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط، فكان -رحمه الله تعالى- يسائل السائل هو نفسه، يقول: إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ولم يقل أشهد أن محمد رسول الله يكفر أو لا يكفر؟ قال: بلى، يكفر.

طيب الأحاديث ماذا وردت؟ «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»(٢٥٤) أليس كذلك؟ ما جاء في الرواية: «مَنْ لَقِيَ اللهَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ دَخَلَ الجَنَّةَ»(٢٥٥) فتأخذ رواية وتقول هذه الرواية دالة على أن من ترك العمل بالكلية نهائيًا، لم يسجد لله سجدة حياته كلها، أنه إذا ترك العمل على هذا النحو فإنه يكون مسلمًا؟! ما ضبط قول المرجئة ولا قول أهل السنة في هذه الحال.

فقال -رحمه الله تعالى-: تضم الأحاديث، ما يأتي إنسان يأخذ حديثًا ويترك بقية النصوص الأخرى، ألم يبين الله عز وجل أمر الصلاة، وتأتينا في الأحاديث الآتية إن شاء الله: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ

(٢٥٤)أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز- باب في التلقين (٣١١٦). وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٢٥٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم (٣٤٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٢٨).

تَرْكُ الصَّلَاةِ»[٢٥٦] ونحوها، كيف يقال أن ترك العمل بالكلية يكون معه مؤمنًا؟! هذا كلام باطل وحتى أهل النار.

إذا دخل أهل النار النار، ودخل من ضمنهم الموحدون، فإن الله حرَّم على النار أن تأكل من المصلين مواضع السجود؛ لأنهم أهل صلاة، ولهذا ماذا يُسمى أهل الإسلام؟ يُسمون أهل الصلاة، لابد أن يكون عندهم شيء من العمل، أما ألا يكون عنده عمل نهائيًا، ثم نقول: إنه مؤمن، ونقول نحن أهل السنة الإيمان عندنا قول واعتقاد وعمل، هذا تناقض، إما أن تقول أنه لا يؤثر العمل فتكون مرجئًا، وإما أن تقول الإيمان قول واعتقاد وعمل، سيكون للعمل تأثير، كما أن القول إذا تُرك يكون له تأثير، والاعتقاد إذا تُرك يكون له تأثير، أما أن تركب المذاهب هكذا، فهذا مثلما قلت من تداخل المذاهب ومن تداخل من لم يحرر المسألة تداخل كلام الشراح عليه، شروح الحديث نافعة نفعًا عظيمًا جدًا، لكن عليك أن تعي وتضبط مسائل الاعتقاد قبلها، أما أن تخوض في مسائل شروح الأحاديث وتفاسير الآيات على يد من لم يحرر المسألة التحرير الشرعي السليم على طريقة أهل السنة ثم تدخل عليك هذه الإشكالات ورأيناها في رسائل دكتوراة ورسائل ماجستير، ليس فئة خاصة بآحاد من طلبة العلم، أناسًا تتعجب كيف يكتب هؤلاء!

وإذا أوقفتهم وسألتهم، قلت: أنت لا تقر بالصفات؟ يقول: أعوذ بالله، أنا من أهل السنة كيف لا أقر بالصفات؟! تعرف النقل الذي نقلته هذا، عن الجرجاني أو عن غيره حين تقبل صفة دون الوصف، معناه أنه يقبل الصفات الذاتية دون الاختيارية، تقول: معاذ الله، أنا أقول بهذا؟! هذا الآن نقلته في كتابك، لأنكم تنقلون مالا تعلمون، فينبغي أن يلاحظ هذا ويُتفطن غاية التفطن.

من أهم الأمور أيضًا ضبط مسائل الاعتقاد، يأتي طلبة علم موفقون إن شاء الله تعالى يكونون دقيقين جدًا في ضبط مسائل مصطلح الحديث، ويمضون أوقاتًا طويلة في ضبطها وخلاف ابن الصلاح مع العراقي مع ابن حجر، مع فلان مع فلان، بعض الأحيان لا يستحضرون معنى لا إله إلا الله، هذا مشكل، علم المصطلح علم آلة، أما علم الاعتقاد فهو علم أصل، فينبغي أن يلاحظ هذا الأمر.

(٢٥٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٢).

أطلت في هذا الموضوع لأنه إذا أتتنا بعض هذه المسائل من الإرجاء ونحوها لابد أن نعرفها خاصة إذا كانت مداخلة على الناس، ثم ينبغي أن نعرف شيئًا هو أن من بدع المتأخرين العجيبة الآن أن هذه المسائل المرجئة، الخوارج صارت للأسف الشديد نوعًا من اللعب، كل من أراد أن يسقط شخصًا قال: أنت مرجئ، ويقول الذي أسقط أنت خارج.

يا إخوة المسألة ليست بعيدًا، إذا قلت أنه خارجي وليس بخارجي، الكلام خطير جدًا؛ لأن الخارجي ما حكمه شرعًا؟ حكمه القتل، قال صلى الله عليه وسلم : «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتلا»(٢٥٧) أنت الآن تشيط بدمه بهذه الطريقة، يقول: إنه خارجي، إذا رد وقال إنه مرجئ، الإرجاء خطير جدًا كما نرى، حتى قال بعض السلف إني لأخشى على هذه الأمة من المرجئة أشد خشيةً عليهم من الأزارقة، الأزارقة من غلاة الخوارج، كانوا يقتلون حتى الأطفال، لماذا؟ لأن الإرجاء يدخل على الناس ولا يشعرون به، وتجد عامة الناس يحبون هذا الكلام، أنت تصلي الفجر وتتقي الله، وكذا، الله غفور رحيم، تشدد، نحن أبناء فطرة، هذا نوع من الإرجاء، تخوين العمل والتسهيل في أمر العلم، لا تشرب الخمر، لا ترابي، تقول: لا تشدد، نحن نفهم معنى التوحيد، هذه مقولة المرجئة دخلت على الناس، لهذا خشي السلف عليهم، فإذا قلت أنه مرجئ فقد ضربته بتهمة كبيرة، وإذا قال لك خارجي ضربك بتهمة كبيرة.

ثم إن اللعب بهذه الطريقة يجعلون الخارجي الحقيقي إذا اتهم بأنه خارجي الناس صارت تسمع الخارجي في خطب جمعة ولأهل علم ولطلاب علم ولأناس صالحين فخفت في الناس كلمة خارجي، بسبب أنه يطرقها على كل أحد، هذا خلل، خلل كبير، يجب أن نعرف أن الرافضي، خارجي، جهمي، معتزلي، أنك الآن ضربته ضربةً شديدةً جدًا في صلته بالسنة وفي أصل اعتقاده، فلا يتلاعب بهذا، وتتقاذف تقاذف الصبيان، يجب إذا أُطلقت أن تُطلق إطلاقًا علميًا سليمًا على شخص يحدد ما وجه كونه خارجيًا؟ ما وجه كونه مرجئيًا؟ ما وجه كونه جهميًا؟ صارت الأمور لعبة.

(٢٥٧) أخرجه البخاري في كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١١)، ومسلم في كتاب الزكاة - باب التحريض على قتل الخوارج (١٠٦٦) عن علي رضي الله عنه.

فالحاصل: أن الإرجاء على ما ذكرنا لك.

لاحظ أبا داود -رحمه الله تعالى- من فقهه وعلمه قال: (بَابٌ فِي رَدِّ الْإِرْجَاءِ).

المعتاد هذه الأحاديث أين تُذكر أيها الإخوة؟ باب في الإيمان أو في حقيقة الإيمان، هو يقول: سأروي الأحاديث التي في الإيمان وستعرف من خلالها القول الحق في الإيمان، فإذا عرفت القول الحق في الإيمان صارت ردًا على الإرجاء، هذا نوع من الدقة في العنوان (بَابٌ فِي رَدِّ الْإِرْجَاءِ)، كيف يُرد الإرجاء؟ بالنصوص الصحيحة الثابتة.

بدأها -رحمه الله تعالى- بالحديث الجامع، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ»(٢٥٨) والظاهر أن صواب الرواية وهي التي جزم بها البخاري: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً»(٢٥٩) أي: أنه أجزأ الشعبة الخصلة، فهو ليس شيئًا واحدًا، لأن المرجئة ماذا تقول؟ تقول: الإيمان شيء واحد في القلب، إما أن يكون ثابتًا فيكون مثل إيمان جبريل وميكائيل، وإما أن يرتفع فيكون الإنسان كافرًا وليس شعبًا، إذا قيل أنها شُعب سقط قول المرجئة مباشرة.

قال صلى الله عليه وسلم : «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا» وفي لفظٍ: «أعلاها، قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ» وفي الرواية الأخرى: «وأدناها إماطة الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(٢٦٠).

ما مزية هذا الحديث؟

مزية هذا الحديث أنه شاهد لقول أهل السنة أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، هنا يقول صلى الله عليه وسلم : «أَفْضَلُهَا أو أعلاها قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فدل على أن الإيمان، يقول: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً» هذه الشعب على النحو الآتي:

منها ما هو قولي، ومنها ما هو قلبي، ومنها ما هو من الجوارح، «أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذى» تأخذ الأذى وتزيله بيدك.

---

(٢٥٨) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان عدد شُعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥).

(٢٥٩) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان عدد شُعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥).

(٢٦٠) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥).

«وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(٢٦١) ومعلوم أن الحياء في القلب، فهذا دل على مقولة أهل السنة، والأدلة لأهل السنة والحمد لله كثيرة لكن هذا الحديث جمعها، مزية هذا الحديث أنه جمعها.

في حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، ثم قَالَ لهم: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟» في البخاري: أن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ثم فسره لهم، يعني: فسر لهم الإيمان، ثم فسره يعني أن هذا تعريف للإيمان، ما الإيمان؟قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهَّ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمُغْنَمِ»(٢٦٢) هذا الحديث يُعد من أكبر أصول أهل السنة وأدلتهم، لماذا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أدخل في تعريف الإيمان الأعمال، أدخل الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة والزكاة وأدخل أداء الخمس، «وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمُغْنَمِ»(٢٦٣) هذه كلها أعمال ومع ذلك أدخلها صلى الله عليه وسلم في الإيمان.

يقول ابن عباس في حديث وفد عبد قيس: (ثم فسره لهم) فسر لهم الإيمان، قال: آمركم بالإيمان بالله، ثم قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟» هذا تفسير محمد صلى الله عليه وسلم أدخل الأعمال في الإيمان، فلهذا هذا الحديث من الأصول الكبار الدالة على أن العمل من الإيمان، وفيه -كما قال أبو داود- رد قول المرجئة، وهكذا الحديث السابق: «أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا» إلى آخره، فيه رد لقول المرجئة، وهو الذي قال: (بَابٌ فِي رَدِّ الْإِرْجَاءِ).

في قوله صلى الله عليه وسلم : «بَيْنَ الْعَبْدِ، وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»(٢٦٤) الحديث صحيح، وكذلك الأحاديث السابقة، فيه رد أيضًا على قول المرجئة؛ لأنهم يقولون بعدم دخول العمل في حقيقة الإيمان، الصلاة عمل، كفر تاركها، فكيف لا يكون للعمل تأثير في الإيمان؟ فكما أن الإيمان يكون بأن تفعل وتقول وتعتقد، فالكفر يكون بأن تترك الفعل، فلما ترك الصلاة صار بها كافرًا.

(٢٦١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥).

(٢٦٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة- باب قول الله تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (٥٢٣)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (١٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢٦٣) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة- باب قول الله تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (٥٢٣)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (١٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢٦٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٢).

واعلم الفتوى بأن الكفر بترك الصلاة هو القول الصحيح، الذي لا يُعلم أحدٌ من الصحابة خالف فيه نهائيًا، وهو الذي نقله عبد الله بن شقيق العقيلي -رحمه الله تعالى- عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: لم يكن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ إلا الصلاة، هذا فيما يتعلق بالصحابة.

أما فيما يتعلق بكلام أهل العلم: فإن هنا خطأً شائعًا جدًا بنسبة هذا القول لأحمد بن حنبل وحده، وهذا خطأ كبير للغاية في النسبة، هناك أخطاء في نسبة الأقوال توجد تارةً في كتب الفقه، تارةً تكون شائعة، القول بكفر تارك الصلاة هو قول جمهور المحدثين، من الذي قال أنه قول جمهور المحدثين؟ قاله الإمام الجليل محمد بن نصر المروزي صاحب كتاب "تعظيم قدر الصلاة" هو من أنفس وأنفع الكتب -رحمه الله تعالى-، مع أنه في "تعظيم قدر الصلاة" إلا أنه تطرق في الإيمان ومسائله والرد على المرجئة ردودًا عظيمةً جدًا في الكتاب هذا.

القول بأنه قول جمهور المحدثين حكاه محمد بن نصر، وإذا حكاه محمد بن نصر، ما مزية محمد بن نصر؟ محمد بن نصر اعتنى عنايةً خاصة بتتبع الأقوال، قالوا: كان أعلم الناس بأقوال الصحابة والتابعين.

بعض أهل العلم يقول: لديه نوع من التدقيق في جانب من الجوانب، هو دقق -رحمه الله تعالى- في حكاية الأقوال، واختار -رحمه الله تعالى- في هذا الكتاب من الشافعية هو، اختار -رحمه الله تعالى- أن تارك الصلاة كافر، ونقل آثار مهمة جدًا عن الصحابة في كفر تارك الصلاة، فالقول بأن هذا قول أحمد وخالفه العلماء هذا قول غير صحيح، هذه حكاية خاطئة، لأن تكفير تارك الصلاة قبل أحمد وقبل الشافعي هو قول جماهير المحدثين في السابق، ثم قال أحمد بقول الجمهور من المحدثين، فترك الصلاة لا شك أنه كفر.

هذا القول بتكفير تارك الصلاة فيه رد على المرجئة الذين يقولون بأن العمل ليس من الإيمان؛ إذًا لماذا كفر تارك الصلاة؟

الباب الذي بعده: (بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ).

الأدلة ولله الحمد كثيرة جدًا، وذكرها الله في كتابه وذكرنا بعضًا منها، وبوّب عليها البخاري -رحمه الله تعالى- في كتاب "الإيمان" بابًا جمع فيه عددًا من الآيات.

نذكر هنا شيئًا مما يتعلق بكون الإيمان يزيد وينقص، المرجئة تقول: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ضد قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾، لماذا؟ لأنهم حينما قرروا أن الإيمان مرتبط بالقلب قالوا: إنه لا يزيد ولا ينقص، قالوا: بل يكون في نفس مقدار إيمان جبريل وميكائيل وإلا فإنه يكون كفرًا، إما أن يوجد كله وإما أن يرتفع كله، أما أن ينقص، قالوا: لا، لا ينقص، في نقصانه كفرٌ، وزيادته غير واردة بتاتًا عندهم، مع صراحة الآيات الجلية البيّنة في كتاب الله تعالى في زيادة الإيمان، والشيء الذي يزداد ماذا كان قبل الزيادة؟ كان ناقصًا، الشيء -كما نبه البخاري وغيره- إذا قلت إنه زاد، فأنت إذا زاد إيمانك وأنت ساجد لله عز وجل في العشر الأخيرة في الثلث الأخير من الليل، تجد من رقة القلب والإقبال على الإيمان شيئًا كثيرًا لا تجده الآن، إذًا أنت الآن في حال من الإيمان إذا جاء رمضان زاد، وزاد رمضان لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢٦٥)؛ لأن الصيام من أسباب التقوى، فلما زادت التقوى عندك زاد الإيمان، إذًا قبل رمضان كنت مؤمنًا، لكن كان عندك نقص، فجاء رمضان فزاد الإيمان، وهكذا مواضع أخرى.

لهذا قالوا: إن الرجل يدرك من نفسه، الزيادة والنقصان من النفس، فيجد أنه اليوم أكثر إيمانًا وأزيد إيمانًا من أمس، لهذا تجد الإنسان ينشرح وينفتح للقراءة، للصدقة، للصلاة، لحب الخير، للعفو عن أناس ربما كان بينه وبينهم خصومة وكان يتأذى ويرفض، فيأتي يوم من الأيام ويسمع موعظة أو نحوه، فيعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه، ويتصدق، هذا إيمان، معنى ذلك: أن الشيء القابل للزيادة كان قبل الزيادة ناقصًا.

حديث في قول النبي صلى الله عليه وسلم للنساء: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَلَا دِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ»(٢٦٦) وأخبر أن نقصان دينها هو بأنها إذا حاضت لم تصلي ولم تصم.

---

(٢٦٥) البقرة: ١٨٣.

(٢٦٦) أخرجه البخاري في كتاب الحيض- باب ترك الحائض الصوم (٣٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات (٨٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قوله: نقصان الدين هنا يشكل كثيرًا على المرجئة، لأننا إذا قلنا لهم هل المرأة والرجل سواء في العقل؟ قالوا: لا، المرأة أنقص في عقلها، لا تكن مثل الرجل، والدين؟ النبي صلى الله عليه وسلم نص على العق والدين معًا، لاشك أن الدين ينقص، ونقصان الدين هذا ما يقول أهل السنة الزيادة والنقصان على قول المرجئة بعدم زيادته ولا نقصانه.

الحديث الذي بعده: أن الله تعالى لما أمر بالتوجه إلى بيت الكعبة وترك القبلة الأولى التي كانت إلى بيت المقدس، تساءل الصحابة عن من مات من إخوانهم ممن كانوا يصلون إلى بيت المقدس، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ما المراد بالإيمان؟ المراد بالإيمان هو الصلاة قطعًا، معروف أن المراد الصلاة، ذكر البخاري والمفسرون، يعني: أن الله لم يضيع صلاتكم إلى بيت المقدس، هذا رد على المرجئة من جهة كون الصلاة سُميت إيمانًا، فلولا أن العمل من الإيمان لما أُطلق على الصلاة إيمان.

وهكذا نصوص كثيرة جدًا أُطلق عليها أنها إيمان: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابا»(٢٦٧)، «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا»(٢٦٨)، كل هذه أعمال وأُطلق عليها إيمان، وهكذا اتباع الجنائز إيمانًا واحتسابًا وهي أعمال، فأُطلق على الأعمال إيمان، فكيف لا يكون العمل في الإيمان؟! وبالتالي لابد أن يتناقص ويزيد ويتفاوت الناس في مثل هذا.

هكذا قوله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ»(٢٦٩) التعبير بالاستكمال يدل على الزيادة، وأن الذي لا يستكمل الإيمان يكون عنده نقصًا، إذًا فقوله: «فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» من أدلة كون الإيمان يزيد ويكون كاملاً وينقص ويكون ضعيفًا، والناس متفاوتون تفاوتًا عظيمًا في أمر الحب في الله والبغض في الله، والمنع لله، والإعطاء لله، هذا لاشك أن الناس يتفاوتون فيه، وإذا تفاوتوا فيه فإنهم سيتفاوتون قطعًا في درجة إيمانهم.

---

(٢٦٧) أخرجه البخاري في كتاب الصوم- باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا (١٩٠١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين- باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (٧٦٠).

(٢٦٨) أخرجه البخاري في كتاب الصوم- باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا (١٩٠١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين- باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (٧٦٠).

(٢٦٩) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٢١)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».

ومنه الحديث هذا: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٢٧٠) أهل الإيمان متفاوتون في أخلاقهم، فأحسنهم خلقًا هو أكملهم وأعلاهم إيمانًا، يعني: هو أزيدهم إيمانًا، وإذا نقص من خلقهم نقص من إيمانهم قطعًا، لأن قوله:

«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ» أكمل اسم تفضيل على وزن فعل، معناه: سمة تفاوتًا وتفاضلًا، وكلما كان الإنسان أعظم في خلقه كان أعظم في إيمانه، وأزيد في إيمانه.

الحديث الذي بعده فيه: أن سعدًا رضي الله عنه لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمًا فأعطى قومًا: (أَعْطَى رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا) يرى سعد أنه أفضلهم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) الجزم بالإيمان هكذا فيه تزكية كبيرة، ما الذي يظهر لك الآن؟ الذي يظهر: هناك الإسلام، ومن أهل الصلاة والزكاة والصوم والحج وشهد الشهادتين فتشهد له بهذا، أما تزكيته بأنه مؤمن فأراد النبي صلى الله عليه وسلم ألا يزكيه هذه التزكية، فلما قال: (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) تركته وهو مؤمن، قالصلى الله عليه وسلم : «أَوْ مُسْلِمٌ»(٢٧١) يقول سعد فلم أصبر، أعاد الكلمة: يا رسول الله أعطيت فلانًا وفلانًا وتركت فلانًا وهو مؤمن، قال صلى الله عليه وسلم : «أَوْ مُسْلِمٌ» ثلاث مرات يكرره صلى الله عليه وسلم، فيه تنبيه وفيه دلالة أيضًا على أن معنى الإيمان ومعنى الإسلام ينبغي أن يُضبطا بالآتي:

الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، يعني في معناهما، وإذا افترقا اجتمعا في معناهما، ما معنى هذا الكلام؟

يعني: إذا ذكرنا الإيمان والإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾(٢٧٢)، وفي سؤال جبريل: «أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ» ثم قال: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ»(٢٧٣) يكون

(٢٧٠) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨٢)، والترمذي في «جامعه»: كتاب الرضاع- باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥٠،٤٧٢،٥٢٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥/ ٢١٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٩٢٦)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٦٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٩ ابن بلبان)، (٤١٧٦ ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٧١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه (١٥٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢٧٢) الأحزاب: ٣٥.

المقصود بالإيمان الأعمال الباطنة، والمقصود بالإسلام الأعمال الظاهرة، فإذا أُطلق الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، فنقول: أبو بكر رضي الله عنه مسلم، وهو مؤمن في نفس الوقت قطعًا، بل هو محسن عليه رضوان الله، فيصح أن نقول: أن أبا بكر مسلم، قطعًا مسلم، لكن ليس معنى أنه مسلم أنه أسلم في الظاهر، لا، إنما هو مسلم وفي الوقت نفسه مؤمن.

فإذا قلنا الصحابي الجليل عمر رضي الله عنه مؤمن، معلوم أنه لا يقال أنه مؤمن إلا إذا كان مسلمًا، فالآن نقول هذا الرجل مسلم لكن ليس عنده أي إيمان، هذا محال هذا، لابد من قدرٍ من الإيمان يصح به إسلامه، ولابد من قدرٍ من الإسلام -اللي هي الأعمال الظاهرة-يحقق به الإيمان، لابد من هذا؛ ولهذا قالوا: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فإذا قلنا الإيمان والإسلام في موضعٍ واحد كان المقصود بالإيمان الأعمال الباطنة والمقصود بالإسلام الأعمال الظاهرة، أما إذا أُفرد الإيمان وحده دخل فيه الإسلام، وإذا أُرد الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، ما الذي يوضح لك هذا أكثر إن شاء الله؟ يوضح لك لفظ الفقير والمسكين، لاحظ الآية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾(٢٧٤) جعلهم قسمين، قالوا: الفقير على وزن الفعيل، كأن فقار دهره قد كُثر من شدة الحاجة، المسكين هو على وزن المفعيل قد لزم السكينة من حاجة، ما فرق الفقير عن المسكين؟

الفقير هو من لا يجد شيئًا، يعني: المعدم ليس عنده شيء.

والمسكين عنده لكن على قلةٍ، قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾(٢٧٥)، هؤلاء المساكين وعندهم سفينة ويعملون، وسماهم الله تعالى مساكين، إذًا هم صنفان حتى في الزكاة.

انظر قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾(٢٧٦) لو أنك أتيت إلى أناس معدمين شديدي الفقر، ربما كانوا على وشك الموت، هل نقول: لا تعطي هؤلاء لأنهم فقراء وليسوا مساكين، أو نقول:

---

(٢٧٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٩).

(٢٧٤) التوبة: ٦٠.

(٢٧٥) الكهف: ٧٩.

(٢٧٦) المائدة: ٨٩.

أعطهم؟ نقول: أعطهم، لماذا؟ لأن الفقراء إذا أُفردوا صح أنهم مساكين، والمساكين إذا أُفرد اسم المسكين صحّ أنه فقير، مثلما قلنا في الإسلام والإيمان، فقوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ ليس المقصود أن تقول هؤلاء سيكادون أن يموتوا جوعًا شديدي الفقر جدًا معدمين هؤلاء لا يدخلون في الكفارة، أنا سأبحث عن من هو أحسن حالاً منهم، هذا غير صحيح؛ لأن المسكين إذا أُفرد دخل فيه الفقير، وإذا أُفرد الفقير دخل فيه المسكين، فإذا اجتمعا صار الفقير هو المعدم شديد الحاجة الذي ليس عنده شيء مطلقًا، والمسكين هو من عنده حاجة على شحٍ وصعوبةٍ في عيشه، إذًا إذا اجتمع الفقير والمسكين افترقا معناهما، وإذا افترقا قيل الفقير دخل فيه المسكين، وإذا قيل المسكين دخل فيه الفقير، كذلك موضوع الإسلام والإيمان على ما شرح أهل العلم -رحمهم الله- فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يشهد سعد بالظاهر وأن يترك الشهادة بالأمر الباطن الذي لا يعلمه إلا الله.

ثم أخبره صلى الله عليه وسلم بالسبب لماذا ترك ذاك الرجل وأعطى أولئك، أعطى أولئك ليتألفهم على الإسلام، خشية أن يكبوا على وجوههم في النار، أما هذا الذي تركه فتركه صلى الله عليه وسلم لأنه يكله إلى ما في قلبه من الخير والإيمان، لأنه إذا لم يُعطَ فهو مؤمنٌ من أهل الإيمان في القول فعنده ثبات، إن أُعطي حمد الله، وإن لم يُعطَ فإنه يصبر ويعلم أن دين الله عز وجل أعزٌّ وأغلى شيء عنده، ولا يمكن أن ينتكس، يقول: ما أعطاني رسول الله سأرتد، الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن ذلك الرجل خيرٌ من الذين أعطى، ولهذا في الحديث بعده بيّن هذا -عليه الصلاة والسلام-: «إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ لَا أُعْطِيهِ شَيْئًا مَخَافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ»(٢٧٧)، يعني: لو لم يعطَ من كان عندهم ضعف في الإيمان، فيُعطون ليتألفوا.

في هذا في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ هذه الآية في الأعراب، ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ لأنهم قالوا آمنا وذكوا أنفسهم، قال تعالى: ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ فدّل على أن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، فيشهد إنسان بنفسه للإسلام، وإذا قيل هل أنت مؤمن؟ كما تقدم يقول: إن

(٢٧٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه (١٥٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

شاء الله، لا يزكي نفسه، وإن كان يعلم لنفسه إيمان؛ ولهذا قال الزهري: "نَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ الْكَلِمَةُ" كلمة يعني: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، "وَالْإِيمَانَ الْعَمَلُ" لابد في الإيمان العمل، لابد أن تعمل، أما تقول الكلمة وتترك عنك أي عمل فما حققت بهذه الحال هذه الكلمة.

الحديث الذي بعده ذكرناه، فهنا جاءت إطلاقات شرعية:

أطلق الشرع على بعض المعاصي كفرًا، مع أن المعاصي التي لا يستحلها صاحبها هي بإجماع السنة ليست كفرًا، ومن شعارات الخوارج المعروفة: إذا قلنا يا إخوة "من شعارات الخوارج" ننتبه إلى مسألة مهمة جدًا في الخوارج، إذا قلنا من شعارات الخوارج التكفير بترك الكبيرة، ليس معناه أنه إذا لم يكفر بالكبيرة لا يكون خارجيًا، لا، أصل الخوارج مم؟ من قوله صلى الله عليه وسلم : «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ»(٢٧٨) أصل الخوارج من خروجهم على ولاة الأمور، ثم المتأخرون قد لا يقولون مثلاً بتكفير صاحب الكبيرة، والمتقدمون يقولون بتكفيره، فأصل كلمة الخوارج ليست مربوطة فقط بموضوع الكبيرة حتى يقال: إن كفَّر فهو خارجي، وإن لم يكفر فهو ليس بخارجي، لا، المسألة أدق بكثير ويأتي إن شاء الله الكلام عليها، ضبط معنى كلمة الخارجي.

سُمي خارجيًا لأنه خرج على جماعة المسلمين وإمامهم، ثم قد يتغير اعتقاده في الكبيرة، هذا أمر وارد، وحتى قول الخوارج لعل الله ييسر ونشرحه إن شاء الله عند الكلام عليه، حتى قول الخوارج في الكبيرة متفاوت، لكن من شعاراتهم المشهورة المعروفة التكفير بالكبيرة، فاستدلوا بمثل هذه الأحاديث، أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق على بعض المعاصي كفرًا، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(٢٧٩) الكفر والشرك والفسق والعصيان والنفاق على نوعين اثنين:

منها ما هو أكبر، ومنها ما هو أصغر، فإذا أطلق الشرع انتبه، أطلق الشرع هذا الاصطلاح على أيهما، هل أطلقه على الكفر المخرج من الملة؟ أو أطلقه على الكفر الذي لا يخرج من الملة؟ هذا يحتاج إلى علم.

---

(٢٧٨) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامة النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥).

(٢٧٩) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب حجة الوداع (٤٤٠٥)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارًا» (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

ابن القيم -رحمه الله تعالى- وشيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- اهتموا جدًا بالجانب هذا، واهتم غيرهم من أهل العلم؛ لأن عدم ربط المسألة خطير للغاية، أن تأتي إلى نصوص فتحمل النص الذي فيه الكفر الأصغر على أن المراد به الأكبر هذا خطير للغاية، فقد تكفر مسلمًا في هذه الحالة، ونعطيك أنموذجًا:

هذا ذكره الماوردي الشافعي، الشافعي -رحمه الله تعالى- يرى عدم انتظار الإمام للمأموم إذا دخل، إذا كان الإمام راكعًا وسمع صوت المأموم يرى عدم انتظاره، ثم قال -رحمه الله تعالى-: "وانتظاره شركٌ" أكبر أو أصغر؟ أصغر قطعًا.

يقول الماوردي: فظن بعض أصحاب الشافعي أن مراد الشافعي بالشرك هنا الشرك الأكبر، فأفتى بكفر الإمام إذا انتظر أحدًا في الصلاة، وأنه حلال الدم، لاحظ الخطورة! إذا فهمت النص الوارد في كفرٍ أصغر على أن المراد به الكفر الأكبر كفّرته واستحللت دمه، وهذا وقع من الفقهاء، فكيف بأناسٍ ما فتحوا كتابًا فقهيًا؟!

الحاصل: أن الأمر يجب أن يُضبط، الشرع يطلق الكفر تارةً على الكفر الأصغر، مثل قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٢٨٠] قطعًا هذا كفر أكبر، وقد يطلقه النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو كفر أصغر بإجماع أهل السنة، في قوله صلى الله عليه وسلم: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[٢٨١] لاشك أن الكفر هنا أصغر بإجماع أهل السنة وبدلالات القرآن الكثيرة، دلالات النصوص كثيرة:

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٢٨٢] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٢٨٣]، فبيّن أن القتال يقع بين المؤمنين، وأنهم مع قتالهم أنهم أخوان، وهكذا

---

(٢٨٠) المائدة: ١٧.

(٢٨١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (٦٤)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢٨٢) الحجرات: ٩.

(٢٨٣) الحجرات: ١٠.

لما ذكر الله قتل العمد متعمدًا، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾(٢٨٤) فسمى القاتل أو المقتول، الذي يعفو قطعًا ورثة الدم، سماهم إخوة، مع وجود هذه الكبيرة وهي كبيرة القتل، وهي أعظم الكبائر بعد الشرك بالله عز وجل، ومع ذلك فهم إخوة مؤمنون، ولا يمكن أن يقال بأنهم كفار.

إذًا قوله: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا(٢٨٥) لا يُقصد به أن يخرجوا من الملة، وإنما هنا الكفر الأصغر؛ لأن الشأن أن يكون سيف المسلمين مسلولًا على الكفار، هذا هو الشأن، أما إذا سل المسلمون سيوفهم على بعضهم فهذا لاشك أنه خلل عظيم وسمى الشرع هذا النوع كفرًا باعتبار أنه من المعاصي القبيحة.

قال صلى الله عليه وسلم : «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلًا مُسْلِمًا: فَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَإِلَّا كَانَ هُوَ الْكَافِرُ»(٢٨٦) إذا أكفر، قال: أنت كافر، نظرنا فإذا هذا الرجل من المسلمين ليس بكافر، إن التكفير يعود إلى من كفَّر، يعود إلى نفس الذي كفر مثل اللعن، إذا لعن أحدًا فإن اللعنة -نعوذ بالله- تصعد إلى السماء، فتوصد دونها أبواب السماء، ثم تتجه إلى من لُعن، فإن وجدت مساغًا في هذا الذي لُعن كان مستحقًا، وإلا رجعت إلى الذي ألقاها، تلقي كلمة كفر، هذه الكلمة لابد أن يكون لها تأثير:

إما أن يكون الذي كفرته كافر حقًا، كأن تكفر عباد القبور، والذابحين لغير الله عز وجل، واليهود والنصارى، ونحوهم، نعم هذا تفكير في محله.

إذا كفرت رجلاً مسلمًا حتى لو كان رجلاً عاصيًا، فإن هذا التكفير يعود إليك أنت، وليس معنى هذا أن من كفر أحدًا وليس مستحقًا أنه يرتد، لا، ليس هذا هو المقصود وإنما يعود له كلمته مثل اللعن، إذا لعن ولم تجد مساغًا رجعت إليه لعنته، هذا يدل على خطورة الكلام، ينبغي الضبط ضبط الكلام، الألفاظ الشرعية، خاصة الأحكام أنه كافر، أنه منافق، أنه فاسق، خطيرة جدًا الأحكام الشرعية هذه أن تُضبط.

---

(٢٨٤) البقرة: ١٧٨.

(٢٨٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب حجة الوداع (٤٤٠٥)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارًا» (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢٨٦) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب من كفَّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٦١٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (٦٠)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بلفظ «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ».

وهكذا الحديث بعده: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٢٨٧) يعني: شتم في خصومته ورمى بالأشياء القبيحة.

سبحان الله! ها النوع أطلق عليه الشرع النفاق لخبثه وصعوبة التعامل معه، لو تتصور هذا الرجل كاذبٌ في حديثه، مخلف لوعوده، غادر لعهوده، فاجر في خصومته، يصعب جدًا التعامل مع هذا الإنسان، لهذا إذا اجتمعت هذه فهو منافق خالص، وليس معنى أنها إذا اجتمعت فيه أنه كان منافقًا خالصًا أيضًا يكون كافرًا، لكن قال أهل العلم: إذا اجتمعت هذه الخصال في إنسان فقد ينتقل إلى النفاق الأكبر، قد تحمله إلى النفاق الأكبر، وإذا وُجدت فيه خصلة واحدة أو خلة واحدة منهن كان فيه خلة من النفاق.

وهذا مثلما قلنا: نحن نقول الإيمان شعب، كذلك النفاق شُعب، من شعب النفاق أن تحدث فتكذب، ما تكون منافقًا مثل عبد الله بن أبي بن أبي سلول، لا، لكن تكون فيك خصلة نفاق، وهكذا الكفر شعب، منها شعبة أن تقتل مسلمًا، سماها النبي صلى الله عليه وسلم كفرًا، قال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(٢٨٨)، «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٢٨٩) شعبة، ليس كل من وُجدت فيه شعبة من شعب الكفر يكون كافرًا، وليست كل من وجدت فيه شعبة من شعب النفاق يكون منافقًا، كما أنه ليس من وُجدت فيه شعبة من شعب الإيمان وهو من الكفار يكون مؤمنًا.

فعلى سبيل المثال: من شعب الإيمان «إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»(٢٩٠) هذه شعبة، فلو جاء كافر من اليهود أو من النصارى أو غيرهم وأماط الأذى عن الطريق، هل يكون مؤمنًا؟ لا قطعًا لا يكون مؤمنًا، لكن هذه الخصلة هي خصلة من خصال الإيمان، وهكذا لو كان فيه حياء، رجل من اليهود والنصارى فيه

(٢٨٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب علامة المنافق (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان خصال المنافق (٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢٨٨) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب حجة الوداع (٤٤٠٥)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارًا» (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢٨٩) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (٦٤)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢٩٠) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥).

حياء يستحي، هذه الخصلة من خصال الإيمان، لكن هل تنفعه؟ لا تنفعه إلا إذا أسسها على الشهادتين ودخل في الإسلام فتنفعه الأعمال، أما دون ذلك فقد يوجد منهم أناس فيهم رحمة وشفقة للأيتام وللفقراء وللضعفاء، وفيهم عطف ورقة إنسانية عالية، توجد في البشر عادةً، من رحمة الفقير واليتيم والأرامل، يقول: هذه لا تنفعهم، وإنما يعطون بها أجرًا في الدنيا كما ثبت في الحديث، يعطون بها طُعمةً في الدنيا، أما أن تنفعهم، لا تنفعهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾(٢٩١).

إذًا هذه الخصال ينبغي أن تُعرف، فلا تقل إنسان كذب أنت منافق إذًا أنت كافر، تقع في مقولات الخوارج، فيكون فيه شعبة من شعب النفاق، وليس بالضرورة أن يكون منافقًا خالصًا.

ولهذا أيضًا نفس الشيء شُعب الجاهلية، يكون في الإنسان شعبة من شعب الجاهلية كأن يكون صاحب فخر بحسب وطعن في أنساب الناس ونحو ذلك، نقول: هذه شعبة من شعب الجاهلية؛ ولها لما قال أبو ذر رضي الله عنه لبلال رضي الله عنه : (يا ابن السوداء) قال صلى الله عليه وسلم : «عَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ»(٢٩٢) ما علاقة أمه بمناقشة بينك وبينه، هذا مراد النبي صلى الله عليه وسلم، ما الذي يدخل الأمهات، ما علاقة الأم والأب بالخصام؟ هذه من طريقة أهل الجاهلية، «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»(٢٩٣) قال: يا رسول الله، أعلى هذا السن مني؟ أبو ذر قديم الإسلام، رجل كبير، قال: «نعم» فإذا كانت هذه الخصال توجد في أحد من المؤمنين، أبو ذر ماذا فعل؟ وضع خده على الأرض رضي الله عنه، وحلف على بلال أن يطأ خده، يعني: حتى يخرج الجاهلية من نفسه، لأنه علم أن هذه خصلة من خصال الجاهلية رضي الله عنه وأصحاب محمد أجمعين.

---

(٢٩١) الفرقان: ٢٣.

(٢٩٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب ما ينهى عن السباب واللعن (٦٠٥٠)، ومسلم في كتاب الأيمان- باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس (١٦٦١).

(٢٩٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب ما ينهى عن السباب واللعن (٦٠٥٠)، ومسلم في كتاب الأيمان- باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس (١٦٦١).

الحاصل: أن ضبط هذه المسألة أيها الإخوة على طريقة أهل السنة مهمة للغاية، حتى لا تكفر من لا يكفر، وأيضًا لا تحكم بالإيمان لمن ليس من أهل الإيمان، لا، الأمور تحتاج إلى علمٍ وضبط على طريقة أهل السنة، ومنها هذا الحديث:

«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(٢٩٤) لاحظوا القيد، ما قال يزني الزاني وهو كافر، قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي» نسأل الله العافية، يعني حين عمله القذر القبيح وهو الزنا.

«وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا»(٢٩٥) قوله: «حِينَ» قيد، فإذا انتهى من زناه أو شربه -نسأل الله العافية- أو سرقته يكفر؟ لا، انظر الحديث بعده:

«إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ» يعني: كأنه سحابة، «فَإِذَا انْقَطَعَ» وكفَّ من الزنا « رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»(٢٩٦) فهذا يدل على أن الزنا ليس كفرًا، وعلى أن هذه الكبائر لا تكون كفرًا، لكن كما جاء في بعض الآثار: (الإيمان نَدِه) نظيف، ما يجتمع زنا وإيمان، لا يجتمعان، بدأ في الزنا يرتفع الإيمان؛ لأن الإيمان نظيف ما يكون مع الزنا، مع السرقة، فإذا كفَّ عن هذه القذارة وانتهى، انتهت هذه المعصية عاد إليه إيمانه، هذا يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : «حِينَ يَزْنِي»(٢٩٧).

ضبط هذه المسائل مهم جدًا؛ لأن الخوارج وأمثالهم لما قرءوا مثل هذه النصوص، قالوا: هذا دليل على الكفر، أرأيتم؟ هو كافر، فليس الأمر كذلك، يجب أن تُضبط وتُعرف هذه المسائل على فهم الصحابة والتابعين -رضي الله تعالى عنهم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(٢٩٤) أخرجه البخاري في كتاب الحدود- باب إثم الزناة (٦٨١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٩٥) أخرجه البخاري في كتاب الحدود- باب إثم الزناة (٦٨١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٩٦) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان - باب لايزني الزاني وهو مؤمن (٢٨٣٤).

(٢٩٧) أخرجه البخاري في كتاب الحدود- باب إثم الزناة (٦٨١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: -

(المتن)

باب في القدر

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»(٢٩٨).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ أمة مجوس، وَمَجُوسِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ. مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جِنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ»(٢٩٩).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ جَاءَ مِنْهُمُ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ»(٣٠٠)، زاد في حديث يحي «وَغَيْرُ ذَلِكَ» والإخبار في حديث يزيد.

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقيع الغرقد، فجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ومعه مخفرة فجعل ينكش بالمخفرة في الأرض ثم رفع رأسه فقال «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟، أي أنه ما دام أنه ما من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة أو مقعده من النار، ألا

(٢٩٨) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩١)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٣)، وفيه: انقطاعٌ بين سلمة بن دينار، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٢).

(٢٩٩) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٢)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٤٠٦)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤٣٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٣)، وفيه: أولًا: عمر بن عبد الله مولى غفرة، قال المزي في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٤٢١): «وقال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين: ضعيف .وكذلك قال النسائي، وقال عيسى بن يونس: قلت لعمر مولى غفرة: سمعت من ابن عباس؟ فقال: أدركت زمانه .وقال أبو حاتم بن حبان: يقلب الأخبار، لا يحتج به»، ثانيًا: فيه: رجلٌ لم يُسم.

(٣٠٠) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٣)، والترمذي في «جامعه»: كتاب تفسير القرآن (٢٩٥٥)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٩١٨١ ابن بلبان).

نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ». وفي رواية: «فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَ الله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾(٣٠١)»(٣٠٢).

وعن يحي بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر معبد الجهمي، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق الله لنا عبد الله بن عمر داخل في المسجد، فاجتنبته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيفيء الكلام إليه، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتبقرون العلم، يزعمون أن لا قدر والأمر أنف، فقال له: إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريء منهم وهم برءاء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهب فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال حدثني عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه آثر السفر ولا نعرفه، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْإِسْلَامُ أَنَّ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قال: فأخبرني عن الساعة قال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ

(٣٠١) الليل: ٤-١٠.

(٣٠٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير- باب فسنيسره للعسرى (٤٩٤٩)، ومسلم في كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧).

رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(٣٠٣).

عن يحي بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن قالا: لقينا عبد الله بن عمر، فذكرنا له القدر وما يقولون فيه، فذكر نحوه زاد قال: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ أَوْ مُزَيْنَةَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، فِيمَ الْعَمَلُ ؟ أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلا أَوْ مَضَى أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الآنَ ؟ قَالَ : «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلا وَمَضَى» قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ أَوْ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، فَفِيمَ أَعْمَلُ ؟ قال«إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»(٣٠٤).

وعن سليمان بن بريدة عن بن يعمر بهذا الحديث يزيد وينقص، قال: فما الإسلام، قال: «إِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَالِاغْتِسَالُ مِنَ الجَنَابَةِ»(٣٠٥).

قال أبو داوود علقمة عن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهم قالا: «كَانَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيْ أَصْحَابِهِ ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ ، فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ ، قَالَ : فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنْبَتَيْهِ ، وَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا الْخَبَرِ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ فَذَكَرَ هَيْئَتَهُ حَتَّى سَلَّمَ مِنْ طَرَفِ السِّمَاطِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ : فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣٠٦).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ خَالِدٍ الْحِمْصِيِّ، عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللهَّ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِّ مَا قَبِلَهُ اللهُّ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ

(٣٠٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان- باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٨).

(٣٠٤) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٦).

(٣٠٥) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٧).

(٣٠٦) أخرجه أبو داود في «سننه»: كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي الْقَدَرِ (٤٦٩٨)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٥٨٤٣).

مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»(٣٠٧)، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ.

حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُسَافِرٍ الْهُذَلِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ، عَنْ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(٣٠٨).

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، ح وحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمَعْنَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعَ طَاوُسًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ، مُوسَى»(٣٠٩) قَالَ: أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ طَاوُسٍ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مُوسَى قَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا وَنَفْسَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللهُ آدَمَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: أَنْتَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي

---

(٣٠٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٢)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٩)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب في القدر (٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٣٠٨) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي في كتاب القدر- باب ما جاء في الرضا بالقضاء (٢١٥٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٨).

(٣٠٩) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب وفاة موسى وذكره بعد (٣٤٠٩)، ومسلم في كتاب القدر- باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٢).

كَلَّمَكَ اللهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَمَا وَجَدْتَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللهِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فِيمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ سَبَقَ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلِي؟» قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»(٣١٠).

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أُنَيْسَةَ، أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، أَخْبَرَهُ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾(٣١١) قَالَ: قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ الْآيَةَ فَقَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»(٣١٢)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ جُعْثُمٍ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَحَدِيثُ مَالِكٍ أَتَمُّ

حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَقَبَةَ بْنِ مَصْقَلَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»(٣١٣)

---

(٣١٠) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْقَدَرِ (٤٧٠٢).

(٣١١) الأعراف: ١٧٢.

(٣١٢) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٧٠٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» (١١١٩٠)، والترمذي في «جامعه»: كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة الأعراف (٣٠٧٥)، ومالك في «موطئه» (١٦٦١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٠٦٦ ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٩٣،٣٥٤)، وفيه: انقطاعٌ بين مسلم بن يسار الجهني، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣١٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٦١).

حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾(٣١٤) «وَكَانَ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا»(٣١٥)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبْصَرَ ـ الْخَضِرُ ـ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَتَنَاوَلَ رَأْسَهُ فَقَلَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾(٣١٦) الْآيَةَ»(٣١٧)

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، ح وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ الْمَعْنَى وَاحِدٌ وَالْإِخْبَارُ، فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيُكْتَبُ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»(٣١٨).

---

(٣١٤) الكهف: ٨٠.

(٣١٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٥/ ٥٢)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْقَدَرِ (٤٧٠٦)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الكَهْفِ (٣١٥٠).

(٣١٦) الكهف: ٧٤.

(٣١٧) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْقَدَرِ (٤٧٠٧).

(٣١٨) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق- باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٣).

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ الرِّشْكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(٣١٩)

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَيْمُونٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ»(٣٢٠).

(الشرح)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

مسألة القدر من أعظم المسائل وأجلها التي ينبغي أن تُضبط وتُعرف بدلائلها وبتقرير أهل السنة لها، ورد الباطل الذي لأهل الباطل فيها.

نذكر في مقدمة هذا أنواع النصوص الواردة في القدر، وهذا نحب أن نذكره حتى يكون بمثابة التلخيص لما يتعلق بالنصوص الواردة في القدر:

يقال إن النصوص الواردة في القدر على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: إثبات ما يتعلق بالرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وذلك بإثبات أمورٍ أربعة:

- أول هذه الأمور الأربعة: إثبات أن الله علم كل شيء جملةً وتفصيلاً.
- ثاني هذه الأمور الأربعة: أن الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

---

(٣١٩) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن - باب فسنيسره للعسرى (٤٩٤٩).

(٣٢٠) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٧١٠)، وباب ذراري المشركين (٤٧٢٠)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٩ ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٤)، وفيه: حكيم بن شريك الهذلي، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (١٤٧٥): «مجهول».

- ثالث هذه الأمور: أنه ما من شيء يكون في هذا الكون إلا بمشيئة الله عز وجل فلا تقع تحريكة ولا تسكينة إلا بمشيئة الله عز وجل.
- الرابع: أن الله عز وجل هو الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد ولأكسابهم ولأعمالهم، وهو الخالق لكل شيء -سُبْحَانَه وَتَعَالَى.

وتفاصيل هذه المراتب والكلام عليها وبيان أدلتها تجده مستوفى في الكتاب العظيم الذي صنفه الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- "شفاء العليل" هذا الكتاب من أنفس ما صُنف في هذه الموضوع "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل".

نقول: هذا القسم الأول فيه هذه الأمور الأربعة.

القسم الثاني: إثبات ما يتعلق بالعبد، والذي يتعلق بالعبد هو مسئوليته عن ما يكون بمشيئته واستطاعته، فلا نقول للعبد مادامت الأمور قد كُتبت وعُلمت قد شاءها الله وفُرغ منها فما موقعي أنا؟ يقال: لا، أنت تثبت تلك الأمور المتعلقة بالله، ولا ينفي ذلك أن تثبت الأمور المتعلقة بك أنت، فأنت لك مشيئة ولك استطاعة، بهذه المشيئة والاستطاعة تؤاخذ، ألا ترى أنك إذا لم يكن عندك استطاعة لم تؤاخذ في الدنيا ولا في الآخرة، فإذا لم يكن عند العبد استطاعة لم يؤاخذ، فدل على أن للعبد مشيئة واستطاعة بها يؤاخذ أو يجازى ويرفع مقامه عند الله تعالى لأن له مشيئة واستطاعة.

القسم الثالث: النهي عن الجدال والخوض الباطل في القدر، وأدلة هذا كثيرة قد يطول بنا المقام في بيانها، لكن إذا عرفت هذه الأقسام الثلاثة عرفت أن القدر جاءت تفاصيل نصوصه فيما ذكرناه، فنصوص تثبت ما لله عز وجل، ولا ينفي ذلك أن يكون للعبد مسئولية، فليس له أن يقول، أن يترك ما أوجب الله وأن يفعل ما حرم الله معتمدًا على أن ذلك مما كتبه الله، فللعبد مسئولية، والعبد بإجماع أهل السنة له نوعان من أنواع الأفعال:

النوع الأول: الأفعال الاختيارية، مثل مجيئنا اليوم إلى المسجد، موضع في الأرض، في بلد محدد في ساعة معينة، جميعًا أتينا إلى هنا، هذا فعل اختياري.

النوع الثاني: الأفعال غير الاختيارية، ويمثلون لها بحركة المرتعش الذي يستمر يداه أو ربما جسمه بأثره يرتعش، إن قيل له: أوقف هذه الحركة واخشع في صلعتك، يقول: لا أستطيع وهو صادق؛ لأنها حركة غير اختيارية، فالفعل غير الاختياري فلا حيلة فيه، إنما يحاسب العبد بأفعاله الاختيارية.

تأتي النصوص إن شاء الله عز وجل ونبين كلامًا فيها؛ لأن القدر ينبغي أن يضبط أمره، فضل فيه طائفتان، هما طائفة القدرية وهم نوعان:

الأوائل الذين أدركهم الصحابة ويأتي ذكرهم في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- وهؤلاء ينفون جميع ما يتعلق بالله، فيزعمون أن الله تعالى تقع الأمور وهو لم يعلمها ولم يكتبها ولم يشأها ولم يخلقها، وقد أجمع أهل السنة على أن هؤلاء يكفرون، أجمع الصحابة، وأجمع التابعون، وأجمع أهل السنة على أن هذا النوع من القدرية كفار، أن من نفى علم الله تعالى فهو كافر.

خلفت القدرية هؤلاء المعتزلة، فأثبتت مرتبتين من مراتب القدر هما العلم والكتابة، ونفت المرتبتين الأخريتين، وهما المشيئة والخلق، وهم محجوجون جميعًا بهذه النصوص وكلامهم يضرب بعضه بعضًا.

ضد القدرية الجبرية، وهم الذين يزعمون أن العبد أصلاً ليس له فعل، وليس له اختيار، وإنما هذا فعل الله واختياره، وهم طائفتان:

الطائفة الأولى: طائفة الجبرية الغلاة أتباع جهم بن صفوان، وهم يزعمون أن العبد ليس له أصلًا أي استطاعة، وإنما هو بمثابة الريشة في مهب الريح.

النوع الثاني من الجبرية: الأشعرية، وهم الذين يقولون: إن للعبد استطاعةً لكنها غير مؤثرة في الفعل، يعود قولهم إلى قول الأوائل، لأنه إذا كان له استطاعة وهي غير مؤثرة لم يكن هناك فائدة من إثبات الاستطاعة.

وسلَّم الله تعالى أهل السنة فأثبتوا ما لله وأثبتوا ما للعبد، ولم يكن عنده بحمد الله عز وجل أي تناقض؛ ولهذا تأتي النصوص عند أهل السنة فيوجهونها التوجيه السليم، ما يتعلق بالرب لا يناقض ما يتعلق بالعبد بتاتًا، وتأتيك إرثاءات رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه في هذا، لكن الناس إذا تركوا هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم فلا تسأل عن ضلالتهم.

ما داء وبلاء القدرية؟

أنهم ركزوا على ما يتعلق بالعبد، وقالوا إن الأمور كلها عند العبد، حتى قالوا: إن العبد هو الذي يخلق فعله دون الله، والله لا يخلق الفعل، وإنما الذي يخلق العبد، لماذا؟ لأنهم ركزوا على القسم الثاني وأغفلوا القسم الأول، نحن قلنا ثلاثة أقسام:

إثبات ما يتعلق بالرب، هذا الأول.

الثاني: إثبات ما يتعلق بالعبد.

الجبرية ما بلاؤهم؟

ركزوا على القسم المتعلق بالرب، قالوا: الله عز وجل هو الذي علم وكتب وشاء ويخلق؛ إذًا العبد ليس له أي اختيار، لاشك أن هذا من ضرب القرآن بعضه ببعض، قد غضب صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا لما تناقش بعض الصحابة -رضي الله عنهم- بهذه الطريقة.

روى اللالكائي وأحمد وغيرهما، واللفظ هذا للالكائي: أن الصحابة مرة كانوا في مجلسٍ فذكروا القدر، فصار هَذَا يَنْزِعُ آيَةً وَهَذَا يَنْزِعُ آيَةً فَكَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ - أَوْ - بِهَذَا وُكِّلْتُمْ» - زَادَ أَسَدٌ فِي حَدِيثِهِ -: «أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، انْظُرُوا إِلَى مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»(٣٢١).

بضربهم الكتب بعضها ببعض، يعني أن تتصور أن القدر فيه آيات متناقضة، معنى ذلك أنك تضرب القرآن بعضه ببعض، إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا، بل ليصدق بعضه بعضًا، هذا لمن فقهه وعلمه، لأنه يعلم أن هذا القسم المتعلق بالرب لا يناقض القسم المتعلق بالعبد، فما عرفتم فاعملوا به، وما جهلتم ردوه إلى عالمه، -جَلَّ وَعَلَا- فامتنع الصحابة بعدها أبدًا عن أي مناقشةٍ بهذه الطريقة، وهذا من الفروق العظيمة بين الصحابة وبين المخالفين:

الصحابة تكفيهم كلمة، بل تكفيهم إشارة، يُنهوا عن الخصام فيكفون.

(٣٢١) أخرجه أحمد في "مسنده" (١١ / ٤٣٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤ / ٦٩٣).

أما غيرهم فتورد عليهم النصوص من القرآن ومن السنة وإذا كانوا من أهـل هـذه الفـرق الضـالة لا يستفيدون.

بدء -رحمه الله تعالى- بالحديث المشهور: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»(٣٢٢) خـبر عنـه -عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّلَامُ-، أخبر بغيب، النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن القدرية وأخبر عن الخوارج، وأخبر عن عـدد من المخالفين الذين يكونون بعده، لماذا سمى القدرية بالمجوس؟ لأن المجوس يزعمون أن هنـاك خـالقين اثنين: خالقًا يخلق الخير، وخالقًا يخلق الشر؛ القدرية قالوا نفس القول، قالوا: إن العبد أفعاله خبيثة، فالله لا يخلق للعبد أفعاله، وإنما العبد هو الذي يخلق الأفعال مستقلةً عن الله تعالى، فينشئها العبـد والله لم ينشـئها، ويوقع العبد في ملك الله والله لم يشأها، ويخلقها العبد مستقلًا بها، فلا يكون لله عـز وجـل فيهـا أي مشـيئة فتقع في ملكوت الله تعالى، فكأن الأمور بهذه الطريقة تقع قصرًا على الله، هذا القول قالوه بزعمهم ينزهون الله، مثلما قال المجوس تمامًا، المجوس قالوا: الخالق الذي يخلق الخير يتنـزه عـن أن يخلـق الشرـ؛ إذًا هنـاك خالق يخلق الشر وهو الخبيث الشرير عندهم، وهو خالق خيرٌ هو الذي يخلق الخير.

فقال صلى الله عليه وسلم: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»؛ لأنهم أثبتوا مع الله خالقًا، هـذا وجـه كـونهم مجوسًا.

ثم ذكر هجرهم حكمين من هجرهم: «إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ» إذا مرض أحدهم فـلا يعـاد، «وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»(٣٢٣) أي: فلا تشهدوا جنائزهم.

الحديث الذي بعده: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِـنْ جَمِيـعِ الْأَرْضِ»(٣٢٤) يعنـي القبضـة التي خُلق منها آدم من تراب الأرض جعلها الله تعالى من جميع الأرض؛ فلهذا جاءت ذريـة آدم عـلى قـدر الأرض نفسها، فالأرض فيها الأحمر والأبيض والأسود، وفيها السـهل وفيهـا الحـزن والصـعب، وفيهـا

---

(٣٢٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩١)، والحاكم في «المستدرك عـلى الصـحيحين» (١/ ١٥٩)، والبيهقـي في «السـنن الكـبرى» (١٠/ ٢٠٣)، وفيه: انقطاعٌ بين سلمة بن دينار، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٢).

(٣٢٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩١)، والحاكم في «المستدرك عـلى الصـحيحين» (١/ ١٥٩)، والبيهقـي في «السـنن الكـبرى» (١٠/ ٢٠٣)، وفيه: انقطاعٌ بين سلمة بن دينار، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٢).

(٣٢٤) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٣)، والترمذي في «جامعـه»: كتـاب تفسـير القـرآن (٢٩٥٥)، وأحمـد في «مسـنده» (٤/ ٤٠٠،٤٠٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٩١٨١ ابن بلبان).

الخبيث الأرض الخبيثة، والأرض الطيبة، فجاء بنو آدم كذلك، وهذا من دلائل كون القدر سابقًا، فخُلق بنو آدم على هذه الخلقة؛ لأن الله جعل القبضة التي قبضها من الأرض من جميع الأرض، والأرض متفاوتة ومتغيرة.

الحديث الذي بعده فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان وصحابته الكرام في جنازة ببقيع الغرقد، وهو الموجود يدفن فيه المدينة موتاهم، فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه مغفرة، والمغفرة هي عود أو عصا فجعل ينكث أي: يخط خطًا بعد خط، وهذا فعل المهموم المفكر، ثم رفع رأسه فقال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ»(٣٢٥) ما من نفسٍ منفوسة إلا كتب الله مكانها من النار أو من الجنة، إلا قد كُتبت شقية أو سعيدة، يعني: أن كتاب آجال العباد وأعمالهم ومصيرهم في الآخرة قد فُرغ منه.

فقال رجل من القوم: يا نبي الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ يعني: مادامت الأمور قد كُتبت والمصير قد عُلم، لماذا لا نترك العمل الآن في الدنيا ونقول: الله قد كتب هذا حين سبق وسنراه إذا وردنا عليه في القيامة، فمن كان من أهل السعادة فليكونن إلى السعادة، يعني إذا الله كتب له في اهل الجنة سيكون إلى الجنة، ومن كان من أهل الشقوة ليكونن إلى الشقوة، فقال صلى الله عليه وسلم: «اعْمَلُوا»(٣٢٦) هذا أقوى وأعظم جواب يُرد به على المحتج على القدر، لا يمكن أن تجد أي جواب أقوى من جواب محمد صلى الله عليه وسلم، أول ما يجاب به من يحتج على القدر أن يقال النبي صلى الله عليه وسلم قد عُرض عليه قولك فأبى أن يُترك العمل، وقال: «اعْمَلُوا» ثم بيّن حقيقة الأمر.

«فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»(٣٢٧) يعني: أن كل أحد ييسره الله تعالى للعمل الذي يوصله إلى الدار التي يكون إليها، «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلسَّعَادَةِ» وفي لفظ آخر: «لِعَمَلِ أهل السعادة، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلشَّقَاوَةِ» وفي اللفظ الآخر: «لِعَمَلِ أهل الشَّقَاوَةِ»(٣٢٨).

---

(٣٢٥) أخرجه البخاري في كتاب القدر- باب {وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} (٦٦٠٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧).

(٣٢٦) أخرجه البخاري في كتاب القدر- باب {وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} (٦٦٠٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧).

(٣٢٧) أخرجه البخاري في كتاب القدر- باب {وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} (٦٦٠٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧).

قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، قرأ مُبينًا كلامه بالآيات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أين سيذهب هذا؟ بوعد الله الذي لا يتخلف: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ هذه أعمال توصل بإذن الله تعالى إلى اليسرى بعد فضل الله ومنته، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أين سيذهب؟ إلى جهنم وبئس المصير، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فيعمل العبد الأعمال هذه الصالحة فيُيسر لدخول الجنة، وضده من يعمل بالأعمال الخبيثة فيكون إلى النار.

ومن فضل الله ومنته وعظيم رحمته أن العموم الأغلب ممن يعملوا العمل على السنة ويثبت أنه يموت على خاتمةٍ حسنة؛ لأن الله يُيسره لعمل أهل السعادة فيقبضه -كما سيأتينا- على عمل أهل السعادة فيكون من أهل السعادة، فضلاً من الله ونعمة.

كون الإنسان ينحرف ويزيغ هذا وضع آخر، كونه يكون في قلبه شيء لا يدركه الناس، وفيه خبيثة من ابتغاء الناس أو مراءاتهم أو خبيئة عمل يغتر به ويترفع به، هذه أمور يعلمها الله عز وجل، وكون الله عز وجل يعاقبه على أمرٍ لم يظهر لنا، نحن لا يظهر لنا إلا الظاهر، والخبيئة عند الله عز وجل، لكن ولله الحمد: العموم الأغلب من يلزم السنة ويثبت يُقبض على السنة، لكن إن انحرف -نسأل الله العفية والسلامة- وكان له نوع من الاغترار بنفسه أو نوع من المراءاة والمصانعة للناس، فهذه أمور يعلمها الله في نفسه فيهلكه الله عز وجل بها فتكون هذه الخبيئة سبب من أسباب هلاكه.

الحديث الذي بعده الحديث الطويل، أول ما خرج القدر في البصرة كان على يد مجوسي يُدعى "سيساويه" ونصراني يُدعى سوسن تنّصر ادعى الإسلام ثم رجع إلى نصرانيته، فأخذ عنه هذا الشقي معبد الجهني -والعياذ بالله- أخذ عن مجوسي ونصراني مقولة القدر، وهو من القدرية الأوائل الذين ينفون جميع مراتب القدر، فقال يحيى بن يعمر لما وجد عبد الله بن عمر: إنه قد ظهر قبل ناسٌ يقرءون القرآن ويتفقرون وفي اللفظ الآخر: يتقفّرون في العلم، يعني: عندهم نوع من التتبع والاستقصاء الشديد الزائد في تتبع العلم، ثم قال: "يزعمون أن لا قدر" وهذا من تكلفهم.

---

(٣٢٨) أخرجه البخاري في كتاب التفسير- باب فسنيسره للعسرى (٤٩٤٩)، ومسلم في كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧).

"والأمر أنف" أي: مستأنف جديد، لم يجرِ به علم سابق، أول ما بدأ ابن عمر: أن طلب منهم، من يحيى أن يبلغ أولئك الأشقياء رسالة منه، إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وهم وبراء منهي، فهذا يدل على شدة فظاعة بدعة القدرية، يعني: القدرية الأوائل يكفرون، لهذا قتل عليها معبد الجهني وغيلان الدمشقي على هذه المقولة.

ثم قال: "والذي يحلف به عبد الله بن عمر" يعني: الله عز وجل، "لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا فأنفقه ما قبله الله منه" إن الله لا يقبل من أهل الكفر، "حتى يؤمن بالقدر" ثم ذكر الحديث الطويل المعروف:

أن جبريل أتى وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، وعن الإيمان وعن الإحسان، الشاهد منه قوله في الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(٣٢٩)، في اللفظ الآخر: «خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ الله تعَالَى»(٣٣٠) كل القدر قد قدره الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- والحديث مشهور ومعروف.

الحديث الذي بعده أيضًا في نفس، حديث يحيى بن معمر، لكن فيه زيادة: أن رجلاً من مُزَيْنَةَ لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، فِيمَ نَعْمَلْ؟ يعني: نحن الآن في هذه الدنيا، "أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلا أَوْ مَضَى" أو كُتب علينا في السابق قد كتبه الله، " أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الآنَ ؟ قَالَ : «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلا وَمَضَى» قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ أَوْ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، فَفِيمَ أَعْمَلُ ؟ قال«إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»(٣٣١).

وهذا يدل على أن العمل هو الذي ينبغي أن يهتم به المؤمن، أما المصير الأُخروي فليس لك ولا لي ولا لأحد، مصيرك هو عند الله عز وجل، إحنا بين شيئين: غيب قد مضى، ما ندري ما كتب الله فيه، وغيب مستقبل في الآخرة، ما ندري إلى أي شيء نصير، وبينهما قد أنزل الله الكتب وأرسل الرسل وأمرنا بالعمل.

---

(٣٢٩) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان- باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٨).

(٣٣٠) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١١١).

(٣٣١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣١٦).

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(٣٣٢) فينشغل بالعمل، يأتي الشيطان العبد فيزيغه عن العمل ويجعله يدخل فيما لا معنى لدخوله فيه، الذي مضى ما تدري ما كتب الله لك، هل تستطيع أن تطلع على اللوح المحفوظ، وتقول:أن الله كتب لي كذا؟ لا تستطيع، هل تستطيع أن تطلع على منزلتك في الآخرة فتدري أنت في الجنة أو في النار؟ لا تستطيع، الله أمرك بالعمل، أرسل الرسل، أنزل الكتب، شرّع الشرائع، شرع الجهاد، وأمرك أن تعمل، وأخبرك نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم الذي هو بالمؤمنين رءوف رحيم، أن عليك أن عمل وأنك إذا عملت بعمل أهل السعادة وثبت عليه فإنك تُقبض عليه فتكون إلى دار السعادة، ماذا تريد أكثر من هذا؟ هذا الذي بمقدورك، فاحرص واسأل الله وأكثر من سؤاله:

اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فيعينك الله، لأنك وحدك ليس لك قوة إلا بالله عز وجل، هذا هو الذي ينفع، أما ما سواه فهو من وسائل الشيطان وإغوائه وإبعاده العبد عن الطريق السوي الذي به نجاته.

الحديث الذي بعده حديث أبي ذر وأبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس بين ظهري أصحابه، أي: وسطهم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو؟ لأنه ما كان يتميز صلى الله عليه وسلم بشيء يميزه، بل هو كغيره من الناس صلى الله عليه وسلم، فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يبنوا له دكانًا، أي: دُكة، فيتميز بها، فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنْبَتَيْهِ أي: بجانبيه صلى الله عليه وسلم، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ فَذَكَرَ هَيْئَتَهُ حَتَّى سَلَّمَ مِنْ طَرَفِ السِّمَاطِ، أي: الجماعة الذين كانوا جلوسًا.

الحديث الذي بعده فيه فائدة كبيرة جدًا لطلبة العلم، لا في موضوع القدر فقط، بل في مسائل العلم.

ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ -رحمه الله تعالى- من التابعين، وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، يعني: وقع في نفسه شبهة عرضة له في مسألة القدر، ماذا فعل ابن الديلمي؟ ذهب العلماء، لم يذهب إلى شبابٍ أغراب، أو إلى أناس مثله في نفس السن وفي نفس الدرجة من العلم ليسألهم، وإنما ذهب إلى أهل العلم، من هم أهل العلم؟

(٣٣٢) الملك: ١-٢.

الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَر، فأتى على أُبي فقال: فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي.

أُبيّ العالم الصحابي فطن مباشرةً وفهم شبهته، عرف أن الشيطان أوقع في قلبه الشبهة التي يوقعها دومًا في قلوب الناس، من أن الشيطان يريد أن يصور للناس أن القدر بالوضع الذي هم يؤمنون به يتضمن أن الله قد ظلم، عرف أن هذا مراده، الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة، وهو أعظم وأجل وأرفع من أن يظلم -سُبْحَانَه وَتَعَالَى-.

الظلم أيها الإخوة وإن كان من قوي لضعيف إلا أن فيه دلالة على ضعف القوي؛ لأن هذا القوي لم يظلم هذا الضعيف إلا لأنه لم يجد حيلة ولم يتمكن إلا أن يتسلط عليه ويظلمه، أما الربّ تعالى إذا أراد شيئًا كان، والعباد أضعف وأحقر من أن يكونوا في موضعٍ يحتاج رب العالمين إلى أن يظلمهم، ولهذا حرّم الله على نفسه الظلم، لأن الله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كُن فيكون، فإذا أراد الشيء كان، -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- فعلم أُبي أن الشيطان قد قذف في قلبه أن القدر فيه نوع من إثبات الظلم لله عز وجل.

فأول ما بدأه قال له: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ»(٣٣٣)، "وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ" وذلك أن أهل السموات والأرض هم عبيده -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- يتصرف فيهم كيف شاء، ومع ذلك فإن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من فضله ومنته وكرمه وإحسانه لا يعاقب إلا المستحق الذي يعمل العمل ويخالف ما جاءت به دلالات الكتاب والسنة فيعاقبه الله عز وجل على هذا الفعل.

ثم قال له: "وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ"(٣٣٤) الشيء الذي حصل لك يستحيل ألا يحصل، والشيء الذي فاتك ولم يحصل لك يستحيل أن يحصل لك.

---

(٣٣٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٢)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٩)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب في القدر (٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٣٣٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٢)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٩)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب في القدر (٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

"وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ"(٣٣٥) وهذا فيه الدلالة الجلية على عظم شأن الإيمان بالقدر، والضرب بكل شبهةٍ يلقيها شياطين الإنس والجن، الضرب بها عرض الحائط، الله عز وجل أعدل وأعظم من أن يظلم -سُبْحَانَه وَتَعَالَى-، وكل ما يلقيه هؤلاء الزائغون من شياطين الإنس ممن تلقوا عن شياطين الجن فهي شبه داحضة باطلة، وبه يُعلم عظم شأن الإيمان بالقدر وفق ما حدده الشرع على ما شرحناه لك في أول الكلام على أقسام النصوص الواردة في القدر، فإن لم يفعل العبد ذلك فإنه يهلك، لأن الله لا يقبل منه عملًا، وهو موعود بدخول جهنَّم وبئس المصير على هذا الفعل.

يقول: "ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ"(٣٣٦) على أي شيء يدل هذا؟ على وحدة الاعتقاد عند الصحابة رضي الله عنهم، لهذا تطابقت أجوبتهم.

ولاحظ أن ابن الديلمي انتقل من عالمٍ إلى عالم، لما أتى إلى زيد بن ثابتٍ حدثه بما حدث به الصحابة الثلاثة لكن عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن كلامهم رضي الله عنهم لا يتكلمون هكذا من تلقاء أنفسهم، الإنسان يكون من أهل النار من نفسه هكذا، لا، وإنما يكون مما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث الذي بعده: أن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وكان قد قال هذا في مرض موته رضي الله عنه، قال لِابْنِهِ: "إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ" إلى قوله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ»(٣٣٧) قلمٌ الله أعلم بعظمته وحاله، قال له رب العالمين: «اكْتُبْ» جرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة في الحال، مباشرةً كتب في الحال كل ما هو كائن، حتى التفاصيل الدقيقة، أيسر ما تتصور، حتى طرف العين وغمضها، وكم لك من نفس في الدنيا، وكم ستأكل من رزقك، وكم سيكون لك من دقائق وثواني في هذه الحياة، كل هذا كتبه القلم في

(٣٣٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٢)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٩)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب في القدر (٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٣٣٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٢)، وأبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٦٩٩)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب في القدر (٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٣٣٧) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي في كتاب القدر- باب ما جاء في الرضا بالقضاء (٢١٥٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٨).

تلك الساعة، والله عز وجل على كل شيء قدير، لهذا لاحظوا في آية القدر، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ شيء عجيب، بالنسبة للإنسان عجيبة للغاية، لكنها على الله يسيرة -سُبْحَانَه وَتَعَالَى-.

ثم قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(٣٣٨) وهذه براءة الآن من النبي صلى الله عليه وسلم، ابن عمر يقول: "أبلغهم أني بريء منهم وأنهم برءاء مني" هذا منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من لم يقر بهذا فإنه يموت والنبي صلى الله عليه وسلم منه بريء.

الحديث الذي بعده حديث محاجة آدم موسى -عليهما الصلاة والسلام- على هيئة الله تعالى أعلم بها:

«احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى:» ما سمعت، «خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟» قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَحَجَّ آدَمُ، مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ، مُوسَى»(٣٣٩).

خاض الناس خوضًا شديدًا في هذه المسألة كما قال ابن القيم وضلّ فيها، وبيان توجيه كلام محاجة آدم ومحاجة موسى، لماذا غلب آدم موسى بالحجة؟ وما الذي انتقده موسى على آدم؟ لاحظ أمرين مهمين جدًا: وهما أنهما نبيان كريمان، فإذا أردت أن تتحدث فلا تُظهر موسى في مظهر الجاهل، معاذ الله، بأن يسأل ما لا ينبغي، وتظهر آدم في مظهر العالم الذي رد على الجاهل -معاذ الله أن يكون بهذه الطريقة- لكن توجيهها دقيق جدًا جدًا، ننقله لك من كتاب القيم -رحمه الله تعالى- "شفاء العليل"، يقول -رحمه الله تعالى-: "إذا عرفت هذا فموسى أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم" يعني: آدم "على ذنب قد تاب منه" آدم معلوم أنه قد تاب من الذنب: فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه، هذا ما يتعلق بموسى.

"وآدم أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته" آدم ما يحتج على المعصية، إذًا على أي أساس لام موسى آدم؟

(٣٣٨) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي في كتاب القدر- باب ما جاء في الرضا بالقضاء (٢١٥٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٨).

(٣٣٩) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب وفاة موسى وذكره بعد (٣٤٠٩)، ومسلم في كتاب القدر- باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٢).

يقول: "إنما لام موسى آدم على المصيبة" وهي خروج آدم من الجنة، "التي نالت الذرية" بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيهًا على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال: «خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ»(٣٤٠) "فاحتج آدم بالقدر على المصيبة" ولم يحتج بالقدر على المعصية، إنما احتج بالقدر على المصيبة، "وقال أن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره تعالى قبل خلقي والقدر يحتج به" في أي شيء؟ "في المصائب دون المعائب" في المصيبة يصح الاحتجاج بالقدر فيها.

فإنسان أصبح وإذا متجره قد احترق، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا قدره الله، صحيح، احتجاجه الآن بالقدر في محله؛ لأنه احتج بالقدر على المصيبة، أما أن يزني الإنسان ويقطع الطريق ويشرب الخمر ثم يقول: هذا قد قدره الله علي، فهذا الاحتجاج باطل؛ لأنه يريد أن يسقط أحكام الشرع بدعوى أنه مستمسك بالقدر؛ إذًا القدر يحتج به على المصائب، لأن الله تعالى قد قدرها، أما المعائب والذنوب فهي قدرك منك أنت تتحملها في الدنيا والآخرة وأن تتوب منها، ولا تذكر القدر هنا على سبيل الاحتجاج، تقول: دعوني أفعل ما أشاء من ظلم وتعدي لأن الله تعالى قد كتب ذلك علي، هذا احتجاج بالقدر في غير محله.

إذًا مراد آدم: "أتلومني على مصيبة قُدرت علي وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة" يقول ابن القيم: "هذا جواب شيخنا -رحمه الله تعالى-" يعني: ابن تيمية -رحم الله تعالى الجميع-.

هذا مجمل ما يقال في هذا الحديث.

الحديث الذي بعده: أن الله تعالى مسح ظهر آدم بيمينه فاستخرج منه ذريةً وهم أهل الجنة -جعلنا الله وإياكم وذرارينا منهم- فقال: «خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ» لاحظ العبارة: «وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ» عمل أهل الجنة: الصلاة، الزكاة، الصوم، تقوى الله، هذا العمل هو عمل أهل الجنة، يقبض الله تعالى العبد عليه فيكون بعد رحمة الله من أهل الجنة.

(٣٤٠) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء- باب وفاة موسى وذكره بعد (٣٤٠٩)، ومسلم في كتاب القدر- باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٢).

«ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»(٣٤١) نسأل الله العافية والسلامة، "فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ»(٣٤٢) هذا يدل العباد على أهمية ملازمة العمل، قال تعالى: ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٣٤٣)، مادمت قد عرفت الحق فالزمه واتكل على أكرم الأكرمين -سُبْحَانَه وَتَعَالَى-، وأحسن به الظن، ولا تُعجب بعملك، وارجوا في الله تعالى الجميل الحسن، وبإذن الله تعالى تُقبض على هذا العمل الطيب الصالح.

ولا تصدنك عنه زخارف الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور، ولا تغويك نفسك الأمارة بالسوء وتنبه لها، ولما قد تجره إليك من ضلال، واعمل عمل الحذر المتكل على ربه، حتى يأتيك الموت وربما أنت على فراشك نائمًا، فيقبضك الله عز وجل على هذه الحالة، أو تموت فجأة ما علمت، إذا مت على هذا الحال أو مرض أو غيره مت على هذا الحال فإنك بعد رحمة الله تعالى تُيسر للسعادة التي كنت تعمل بعملها.

وكذلك قال في أهل النار: «وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»(٣٤٤) نسأل الله العافية والسلامة.

---

(٣٤١) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٧٠٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» (١١١٩٠)، والترمذي في «جامعه»: كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة الأعراف (٣٠٧٥)، ومالك في «موطئه» (١٦٦١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٠٦٦ ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٩٣،٣٥٤)، وفيه: انقطاعٌ بين مسلم بن يسار الجهني، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣٤٢) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٧٠٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» (١١١٩٠)، والترمذي في «جامعه»: كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة الأعراف (٣٠٧٥)، ومالك في «موطئه» (١٦٦١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٠٦٦ ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٩٣،٣٥٤)، وفيه: انقطاعٌ بين مسلم بن يسار الجهني، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣٤٣) البقرة: ١٣٢.

(٣٤٤) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٧٠٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» (١١١٩٠)، والترمذي في «جامعه»: كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة الأعراف (٣٠٧٥)، ومالك في «موطئه» (١٦٦١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٠٦٦ ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٩٣،٣٥٤)، وفيه: انقطاعٌ بين مسلم بن يسار الجهني، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الحديث الذي بعده في شأن الغلام الذي قتله الخضر، يقول صلى الله عليه وسلم: «الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»(٣٤٥) هذا موضع مهم، ما معنى قوله: «طُبِعَ كَافِرًا» واللفظ الآخر: «وَكَانَ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا»(٣٤٦)

يقول ابن القيم في كتابه "شفاء العليل" «طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا»(٣٤٧) "أي: قُدر وقُبض في الكتاب أنه يكفر لا أن كفره كان موجودا قبل أن يولد ولا في حال ولادته فإنه مولود على الفطرة السليمة وعلى أنه بعد ذلك يتغير ويكفر" أي: سيكون لاحقًا.

ولهذا قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "من ظن أن الطبع على قلبه وهو الطبع المذكور على قلب الكفار فهو غالط فإن ذلك لا يقال فيه طُبع يوم طُبع إذ كان الطبع على قلبه إنما يوجد بعد كفره" الطبع على قلوب أهل الكفر يكون بعد أن يكفروا، أما قبل أن يكفروا ما يُقال طُبع على قلوبهم، لأن الله أخبر على أن الطبع على قلوبهم والخت على قلوبهم يكون بعد كفرهم، فأما هذا الغلام فأعلم الله وأوحى للخضر أن أبويه سيرهقهما هذا الغلام إن هو كبر، فإن هو تقدمت به السن، ولهذا لما أبصره مع الغلمان قلع رأسه وقتل عن أمر رب العالمين سبحانه وتعالى.

الحديث الذي بعده وهو حديث ابن مسعود:

«إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً»(٣٤٨) إلى آخره، يعني: ذكر أن يكون على ثلاثة أحوال:

نطفة مدة أربعين يومًا.

ثم يكون علقة مدة أربعين يومًا.

ثم يكون مضغة، وهي قطعة اللحم مِثْلَ ذَلِكَ.

---

(٣٤٥) أخرجه مسلم في كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٦١).

(٣٤٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٥/ ٥٢)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْقَدَرِ (٤٧٠٦)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الكَهْفِ (٣١٥٠).

(٣٤٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٥/ ٥٢)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْقَدَرِ (٤٧٠٦)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الكَهْفِ (٣١٥٠).

(٣٤٨) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق- باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٢٦٤٣).

نعطيك الآن بإذن الله عز وجل الكلام على التقادير التي كُتبت، يعني كم كُتب من القضاء:

هناك خمسة تقادير: تقدير يومي، وتقدير سنوي، وتقدير للجنين وهو في بطن أمه بعد أربعين أو خمس وأربعين ليلة، وتقدير للجنين نفسه أيضًا بعد أن تُنفخ الروح فيه بعد مائة وعشرين يومًا، وتقدير سابقٌ لخلق العباد، لكنه بعد أن خلق الله السموات والأرض.

والتقدير الأول الذي هو الأساس هو التقدير قبل خلق السموات والأرض ونعطيك إياه الآن إن شاء الله تعالى بالتفصيل من كلام ابن القيم –رحمه الله تعالى– في كتابه هذا، فنقول بعد تيسير الله، بسم الله:

التقادير على النحو الآتي:

التقدير الأول: تقدير المقادير قبل خلق السموات والأرض، كما في حديث مسلم: «إن كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»(٣٤٩) هذا تقدير سابق لخلقنا بل ولخلق السموات والأرض.

التقدير الثاني: بعد أن خلق الله السموات والأرض وقبل أن يخلقنا؛ ولهذا قال: تقدير بعد التقدير السابق وقبل خلق العباد، وهو الذي مر عنا في الحديث: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ مَقْعَدَهَا مِنَ الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ»(٣٥٠) ونحو ذلك من الأحاديث، والتي فيها إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله علم أهل الجنة من أهل النار، فإذا سألوه فيما العمل؟ قال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»(٣٥١) يقولون: مادامت الأشياء كُتبت قبل أن نخلق ففيم العمل؟ هذا هو التقدير الثاني.

التقدير الثالث: تقدير يتعلق بالجنين وهو في بطن أمه، فيه أكثر من حديث: حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه: «وَكَّلَ اللهُ تَعَالَى بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ. فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»(٣٥٢) هذا رواه مسلم.

---

(٣٤٩) أخرجه مسلم في كتاب القدر – باب حجاج موسى وآدم عليهما السلام (٢٦٥٣).

(٣٥٠) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن – باب فسنيسره للعسرى (٤٩٤٩).

(٣٥١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن – باب فسنيسره للعسرى (٤٩٤٩).

(٣٥٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر – باب في القدر (٦٥٩٥)، ومسلم في كتاب القدر – باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٢٦٤٦).

وفيه الحديث الذي معنا الآن قرأناه: حديث عبد الله بن مسعود: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»(٣٥٣) إلى آخر الحديث هذا الذي معنا، ما فرق حديث ابن مسعود عن حديث حذيفة؟

حديث حذيفة ابن أسيد تقديرٌ أول ما يمضي أربعون ليلة أو خمس وأربعون ليلة يأتي الملك ليكتب هذا التقدير.

حديث ابن مسعود تقدير ثاني للجنين بعد مضي مائة وعشرين يومًا ونفخ الروح فيه.

التقدير الرابع: هو التقدير السنوي وهو الذي يكون ليلة القدر، وليس كما يظن الجهال ليلة النصف من شعبان، لا ليلة النصف من شعبان ليس لها علاقة نهائيًا، إنما التقدير يكون في ليلة القدر، سُميت ليلة القدر، قيل سُميت ليلة القدر من الشرف والعظمة ولا إشكال فيه، إلا إذا قيل هو المعنى المقصود بليلة القدر هو المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾(٣٥٤) أي: أن الله يفصل ويبرم ويبين كل أمرٍ حكيم، فيكتب من أم الكتاب التي فيها التقدير السابق الأول القديم، يُكتب في ليلة القدر ما يكون في السنة، يعني ليلة القدر القادمة في رمضان هذه يُكتب فيها ما يكون في السنة القادمة، ما نحن فيه الآن كُتب في ليلة القدر في العام الماضي، من موتٍ وحياةٍ ورزقٍ ومطرٍ وغيره.

التقدير الخامس: هو التقدير اليومي الوارد في قوله عز وجل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(٣٥٥) -سُبْحَانَه وَتَعَالَى-، قال غير واحد من السلف في معنى قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق ويمنع وينصر ويعز ويذل ويفك عانيًا، و يشفي مريضًا ويجيب داعيًا، هذا ملاحظ أنه كل يوم، تجد أن إنسان مرض اليوم، شُفي من الغد، رُزق اليوم، ضُيق عليه رزقه غدًا، هذا بشكل دائم، بشكل يومي، هذا التقدير اليومي، ما أصل هذه التقادير؟

(٣٥٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق- باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٢٦٤٣).

(٣٥٤) الدخان: ٣-٤.

(٣٥٥) الرحمن: ٢٩.

أصل التقادير التقدير الأول السابق: «إن كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»(٣٥٦) إذًا ما هذه التقادير؟

هذه التقادير بمثابة النسخ من بعضها، فالتقدير اليومي بمثابة النسخ من التقدير السنوي، والتقدير السنوي بمثابة النسخ، يعني: كأنه يُنسخ من التقدير الثاني الذي هو قبل أن يُخلق العباد وبعدما خُلقت السموات والأرض، التقدير الثاني هذا هو بمثابة التفصيل من التقدير الأول، فالأصل في الأمور قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٣٥٧)، أم الكتاب هي التي كُتب فيها كل شيء، وهو اللوح المحفوظ.

ثم ذكر ابن مسعودٍ أن من الناس -نسأل الله العافية- يكون قد كُتب في أهل النار فيسبق عليهم كتابه السابق وإن عمل بعمل أهل الجنة فيكون من أهل النار، جاء في حديث: «وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ»(٣٥٨) هذا قيد مهم جدًا فيما يظهر للناس أعماله صالحة، لكن عند الله ما هي، قد يكون منافقًا، قد يكون عنده خبيئة، وهذه خطرة جدًا -أسأل الله أن يعيذنا وإياكم منها- خبيئة غرور، قد يكون عند إنسان نوع من الغرور والإعجاب بنفسه، الناس من حوله ينظر ماذا يفعل، أنا أصلي، وأنا كذا وأنا كذا، ليدلي بعمله على ربه، هذه تهلك العبد بعض الأحيان وتكون سببًا في شقائه، لأن هدايتك منا، من الله عز وجل، عليك، فصار هدايتك الآن صارت سببًا لأن تمتن بدينك: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣٥٩).

فتوجد كمائن في النفوس -شفانا الله وإياكم شرها- كما قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "واحذر كمائن نفسك اللاتي متى خرجت عليك كُسرت كسر مهانِ" يكون عند الإنسان نوع من العجب أو نوع من الترفع بعلم أو بأي شيء يكون فيه، يكون عنده نوع من الصلف والغرور، الله عز وجل يجب أن يُخضع له غاية خضوع سبحانه وبحمده، فهذه الأمور تهلك العبد، مثل الإعجاب، أو أن يكون -نسأل الله العافية-

(٣٥٦) أخرجه مسلم في كتاب القدر- باب حجاج موسى وآدم عليهما السلام (٢٦٥٣).

(٣٥٧) الرعد: ٣٩.

(٣٥٨) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق- باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٢٦٤٣).

(٣٥٩) الحجرات: ١٧.

خبيثًا منافقًا يظهر للناس الخير أو يكون مثل عبد الله بن أبي بن أبي سلول، ما الذي يدري الناس؟ ولهذا نحن نحكم بالظاهر، السرائر يتلواها الله عز وجل.

فلهذا بعض الناس يسبق عليه الكتاب، لكن كما قلنا ولله الحمد والمنة، كما قال عبد الحق الغالب في عادة الله عز وجل الكريمة أن من سلك المسلك السليم ومضى على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالغالب أنه يُقبض على حالٍ حسنة ويلقى الله تعالى فيكون من أهل الجنة، الأحوال التي لا يحيط بما فيها إلا الله عز وجل يكون في الناس خبيئات خبيثة أو أمور يعلمها الله تكون سببًا في هلاك هذا العبد، نسأل الله العفو والعافية.

آخر حديث ذكره عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ»(٣٦٠).

الحديث فيه ضعف، لكن معناه سليم، وتقدم أن أهل القدر الذين يخوضون فيه يرون بما ذكرنا من قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جِنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ»(٣٦١).

(المتن)

بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٣٦٢)

(٣٦٠) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة– باب في القدر (٤٧١٠)، وباب ذراري المشركين (٤٧٢٠)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٩ ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٤)، وفيه: حكيم بن شريك الهذلي، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (١٤٧٥): «مجهول».

(٣٦١) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة– باب في القدر (٤٦٩٢)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٤٠٦)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤٣٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٣)، وفيه: أولًا: عمر بن عبد الله مولى غفرة، قال المزي في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٤٢١): «وقال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين: ضعيف .وكذلك قال النسائي، وقال عيسى بن يونس: قلت لعمر مولى غفرة: سمعت من ابن عباس؟ فقال: أدركت زمانه .وقال أبو حاتم بن حبان: يقلب الأخبار، لا يحتج به»، ثانيًا: فيه: رجلٌ لم يُسم.

(٣٦٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز– باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٤)، ومسلم في كتاب القدر– باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٩).

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، ح وحَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَرْوَانَ الرَّقِّيُّ، وَكَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمَذْحِجِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ الْمَعْنَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَرَارِيُّ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «مِنْ آبَائِهِمْ» قُلْتُ: بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٣٦٣)

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُصَلِّي عَلَيْهِ، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، طُوبَى لِهَذَا لَمْ يَعْمَلْ شَرًّا وَلَمْ يَدْرِ بِهِ، فَقَالَ: «أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»(٣٦٤).

حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تَنَاتَجُ الْإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّ مِنْ جَدْعَاءَ؟»(٣٦٥) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٣٦٦).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قُرِئَ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ مِسْكِينٍ وَأَنَا أَسْمَعُ، أَخْبَرَكَ يُوسُفُ بْنُ عَمْرٍو، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا، قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ يَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ مَالِكٌ رحمه الله: احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِآخِرِهِ، قَالُوا: أَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ، قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٣٦٧).

---

(٣٦٣) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ (٤٧١٢).

(٣٦٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٦٢).

(٣٦٥) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ (٤٧١٤)، ومالك في «الموطأ» كِتَابُ الْجَنَائِزِ - بَابُ جَامِعِ الْجَنَائِزِ (٥٢).

(٣٦٦) أخرجه البخاري في كتاب القدر- باب الله أعلم بما كانوا يعملون (٦٥٩٩)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٩).

(٣٦٧) أخرجه البخاري في كتاب القدر- باب الله أعلم بما كانوا يعملون (٦٥٩٩)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٩).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ، قَالَ: سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، يُفَسِّرُ حَدِيثَ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» قَالَ: هَذَا عِنْدَنَا حَيْثُ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ حَيْثُ قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾(٣٦٨)(٣٦٩).

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ»(٣٧٠)

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فِي النَّارِ» فَلَمَّا قَفَّى قَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»(٣٧١).

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»(٣٧٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ، وَلَا تُفَاتِحُوهُمُ الْحَدِيثَ»(٣٧٣).

(الشرح)

هذا الباب يتعلق بذراري المشركين الذين يموتون قبل أن يبلغوا، ما حكمهم؟

اختلف أهل العلم -رحمهم الله- في حكم هؤلاء الذرية من ذرية المشركين على أقوال:

---

(٣٦٨) الأعراف: ١٧٢.

(٣٦٩) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٠٠١).

(٣٧٠) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥/ ٢٦٨)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ (٤٧١٧).

(٣٧١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان- باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين (٢٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣٧٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق- باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٨١)، ومسلم في كتاب السلام- باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة أن يقول هذه فلانة (٢١٧٥)، من حديث أم المؤمنين صفية رضي الله عنها.

(٣٧٣) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في القدر (٤٧١٠)، وباب ذراري المشركين (٤٧٢٠)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٩ ابن بلبان)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٤)، وفيه: حكيم بن شريك الهذلي، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (١٤٧٥): «مجهول».

فمنهم من قال: إنهم من أهل الجنة؛ لأنهم وُلدوا على الفطرة، وليس ثمة فرق بينهم وبين ذراري المسلمين؛ لأن ذراري المسلمين لا يجري عليهم التكليف وكذلك ذراري المشركين، فالصبي الذي عمره سنة مات عند هذا اليهودي أو مات عند هذا المسلم: كلاهما لم يجرِ عليه تكليف، فهو من أهل الجنة، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم فيه: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَيُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»(٣٧٤) إذًا فهما من أهل الجنة.

واستدلوا بحديث ثمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الرؤية التي رآها وذكر ورأى إبراهيم وعنده صبيان المسلمين في الجنة، قال بعض الصحابة: وأبناء المشركين؟ قال: «وأَبْنَاء المُشْرِكِينَ»(٣٧٥) يعني الأبناء الذين لم يبلغوا الحنث، لأن الأمر فيهم سواء، هؤلاء الذين دون التكليف من أبناء المسلمين ومن أبناء المشركين أصلاً لم يجرِ عليهم القلم، بحيث يُكتب لهم عمل، وهذا اختيار شيخنا ابن باز.

القول الثاني: أن صبيان المشركين من أهل النار، الكلام على ذراري المشركين، قيل: إنهم من آبائهم، يتبعون آباءهم، وهم يتبعون آباءهم في الدنيا قطعًا، هم في الدنيا يتعبون آباءهم فيحكموا بأنهم على طريقة آبائهم، يعني: لو أتانا يهودي أو نصراني، ابن له عمره سنة، قال: مات ابني صلوا عليه، نصلي عليه؟ ما يجوز؛ لأن حكمه حكم أبيه، قالوا: فحكمه حكم أبيه في الدنيا وكذلك في الآخرة، فيكونون مع آبائهم في النار.

اختار آخرون من أهل العلم أن يُفتى فيهم بفتوى النبي صلى الله عليه وسلم هنا بأن يقول: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٣٧٦) ما معنى هذه العبارة؟ يعني: الله أعلم بهؤلاء الذين ماتوا صغارًا، لو أنهم تقدم بهم السن، ما الذي سيعملونه؟ هل سيكونون كآبائهم فيكفرون؟ أو يكونون كبعض الكفار الذين يدخلون في

---

(٣٧٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى: «كل مولود يولد على الفطرة» وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨).

(٣٧٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٤)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٦/ ١١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٢٨٥/ ٨٣٣)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ١٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٣٠)، وفيه: انقطاعٌ بين الحسن البصري، والأسود بن سريع رضي الله عن، قال المزي في «تهذيب الكمال» (٢/ ٢٣٢،٢٣٥): «وقال ابن المديني: لم يسمع من الأسود بن سريع؛ لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي.... وقال عباس الدوري: لم يسمع الحسن من الأسود بن سريع».

(٣٧٦) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٤)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٩).

الإسلام ويسلمون، فيحال أمرهم إلى العليم الخبير -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- الذي يعلم أنه لو مد في أعمارهم لكانوا إلى فعل آبائهم كفارًا فيكونوا كفارًا أو أن يُهدوا إلى طريق الإسلام فيكونوا مسلمين، فالله أعلم بما كانوا عاملين.

حديث عائشة -رَضِيَ الله عَنْهَا- لما مات صبي من صبيان الأنصار، في بعض الروايات قالت: "يا رسول الله، طوبى له، عصفورٌ من عصافير الجنة"(٣٧٧) فأنكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأنها شهدت لمعين، والشهادة للمعين المحدث بالجنة لابد فيها من نص، لابد أن يُنص على المعين المحدد بأنه من أهل الجنة، أما أن يتوفى هذا الصبي اليوم وعمره سنة، نقول: هذا ذهب إلى الجنة، ما ينفع، أو أن تموت امرأة صالحة كبيرة في السن ذات صيام وقيام ثم إذا مات قالوا: هذه ما شاء الله في الجنة؟ هذا خطأ لا يحل، لا يجوز أن يُجزم لأحد بالجنة بعينه إلا منصوصًا، لكن نقول: من مات مطيعًا لله دخل الجنة، كما أن نقول: أن من مات كافرًا دخل النار، بشكل عام.

لكن لو أن زلزالًا الآن ضرب دولة من الدول الكبرى فمات بها عدد من الناس، نقول: اليوم مات، اليوم سيدخل النار كذا وكذا من الكفار؟ لا، هذا غير صحيح، أتدري بهؤلاء أفيهم يكون قد أسلم سرًا، أتدري بهؤلاء هل قامت عليه الحجة أو لا؟ ثم أنت هل لك علاقة بالنار؟ النار عند الله تعالى علمها، لكن ما حكمهم في الدنيا؟ الظاهر أنهم كفار، هذا الحكم الظاهر، أما في الآخرة فمصيرهم نحيله إلى الله، فنقول: الله أعلم، هذا أمر إلى الله، لكن من علمنا أنه مات كافرًا هذا من أهل النار لا إشكال، الذي يموت على كفره في النار، لكن أن تسمع خبرًا من الأخبار أن زلزالاً أو غرقًا مات فيه كذا وكذا من أهل الكفر في الدولة الفلانية فتقول: اليوم دخل النار سبعون، ثمانون، خطأ، هذا غير صحيح، الله أعلم بعباده هؤلاء، لكن إجمالاً نقول: من مات كافرًا فهو من أهل النار، كما أنَّا نقول: من مات مسلمًا فهو من أهل الجنة، من مات على الإسلام فهو من أهل الجنة إن شاء الله، نرجو له، قال أهل العلم: نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين، أي: من العصاة، لو مات اليوم عاصيًا من أهل الخمور والفجور والفساد، هل يجرؤ مسلم أن

(٣٧٧) أخرجه مسلم في كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٦٢).

يقول أنه من أهل النار؟ لا يجرؤ، خموره، شروره فساده، تحت مشيئة الله، ما ندري، هـذا غيـب، لأن الله إن شاء أدخله الجنة مباشرةً، وإن شاء عذبه في النار ثم أدخله الجنة، ما لي والدخول في مصيره؟

الحاصل: أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر عليها التعيين، تعين هذا المحذر.

الحديث الذي بعده قوله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَـلَى الْفِطْـرَةِ»(٣٧٨) كـل مولـود مـن أولاد المسلمين والكفار والمجوس يولد على فطرة سوية، ما الذي يحدث؟ يحدث التغيـير لاحقًـا: «فَـأَبَوَاهُ» أمه وأبوه، أو من حوله إذا لم يكن له والدان «يُهَوِّدَانِهِ» يعنـي: يجعلانـه يهوديًـا، «وَيُنَصِّـرَانِهِ» أي: يجعلانـه نصرانيًا، وفي اللفظ الآخر: «ويمجسانه»(٣٧٩) أي: مجوسيًا، و«يُشَرِّكانه»(٣٨٠) أي: يجعلانه مشركًا.

«كَمَا تَنَاتَجُ الْإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّ مِنْ جَدْعَاءَ؟» ما معنى هذا الحديث؟ إذا ولدت الناقة تجـد أنها ولدت هذا القاعود صغيرًا آذانه سامة، ليس فيها جدع، ثم بعد ذلك يجدعها النـاس، «هَـلْ تُحِـسُّ مِـنْ جَدْعَاءَ؟»(٣٨١) يعني التصرف هذا أنه يولد على الفطرة، كما أن البهائم تنـتج بهيمـة جمعـاء مجتمعـة، حتـى لاحقًا يجدعها من حولها لاحقًا.

"قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللهُّ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٣٨٢)" يعنـي: لو أنه تقدم به العمر الله يعلم، هل سيكون مثل صفوان ابن أمية وهو صغير، ربك يعلم أن صـفوان الـذي رُبي عند عدو الله أمية أو عكرمة بن أبي جهل الذي ربي عند عدو الله أبو جهل الله يعلم أن صفوان إذا تقدم به السن يسلم، وأبية وأبو جهل الله يعلم أنه إذا تقدم بهم السن سيكونون كفارًا، كذلك مـن يمـوت وهـو

---

(٣٧٨) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى «كل مولـود يولـد عـلى الفطـرة» وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨).

(٣٧٩) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى «كل مولـود يولـد عـلى الفطـرة» وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨).

(٣٨٠) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧/ ٢٤٦)، والترمذي في كتاب أبواب القدر - باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة (٢١٣٨).

(٣٨١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى «كل مولـود يولـد عـلى الفطـرة» وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨).

(٣٨٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر- باب الله أعلم بما كانوا يعملون (٦٥٩٩)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى كـل مولـود يولـد عـلى الفطـرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٩).

صغير، ربك يعلم هل سيكون على طريقة عكرمة ويسلم مع أنه عند كافر، أو سيكون على طريقة أبي جهل سيستمر في غيه وكفره؛ لهذا يحال أمرهم إلى الله.

ولهذا قال كثير من أهل العلم: إن المجنون والذي لم تبلغه الدعوة نهائيًا، والصبي من هؤلاء من صبيان الكفار يُمتحنون في القيامة، فمن أطاع في القيامة بأن يرسل الله لهم ملكًا، يأمرهم الملك هذا بأن يدخلوا النار، من أطاع الله في ذلك المقام يدخل النار، ويقول: لأن ربي أمرني أن أدخل النار، هذا ينجو، فيكون من أهل الجنة، والذي يأبى يقول الله: عصيتني في هذه الدار، دار الهول والرعب والخوف في القيامة، ففي الدنيا سيكون حاله بلا شك إلى العصيان، فيجعله الله من أهل النار، هذا معنى امتحانهم في العرصات.

حمل حمَّاد -رحمه الله تعالى- حديث: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»(٣٨٣) على أن هذا عند أخذ الله العهد على بني آدم وهم في أصلاب آبائهم، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾(٣٨٤).

حديث «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ»(٣٨٥) الْوَائِدَةُ واضح لأنها عملت هذه الجريمة الصغيرة وجعلها تهلك بأن وأدتها وهي حية، وَالْمَوْءُودَةُ لماذا دخلت النار؟

يقول بعض الشراح: إن هذا في واقعة عين محددة، واقعة معينة، تلك الموءودة علم الله أنها تكون من أهل النار.

أما الصغير الذي يموت وهو في حال صغره من أبناء الكفر فقد تقدم الحديث الموضح: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٣٨٦) وهذه المسألة من المسائل التي نهى أهل العلم عن كثرة النزاع والشقاق فيها، بل جاء في بعض الروايات المرفوعة: هلكت الناس في خوضهم في الولدان والقدر إذا خاضوا فيها بغير الطريقة الشرعية.

---

(٣٨٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى «كل مولود يولد على الفطرة» وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨).

(٣٨٤) الأعراف: ١٧٢.

(٣٨٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥/ ٢٦٨)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ (٤٧١٧).

(٣٨٦) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٤)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٩).

الحديث الذي بعده أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مصير أبيه، فقال: أَيْنَ أَبِي؟ وقد مات في الجاهلية، فقَالَ: «أَبُوكَ فِي النَّارِ» فَلَمَّا قَفَّى، أعطى قفاه يعني، فقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»(٣٨٧).

يعني: حتى أبو النبي صلى الله عليه وسلم يكون في النار لأنه مات في فترة ولم يعمل بالدين الذي كان موجودًا وهو دين أبيهم إبراهيم، وكان هناك حلفاء على دين إبراهيم، لكن العرب من شأنها أن تقول: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾(٣٨٨)، وجدنا آباءنا يعبدون هذه الأصنام كما قال قوم إبراهيم لإبراهيم، ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾(٣٨٩)، إن هنالك حجة، يقول: والذي سيكون عليه أبي سأكون أنا عليه، ليس حجة ولا ينجو به صاحبه، وثبت في مسلم الحديث الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن ربه أن يزور قبر أمه لما كان جائيًا إلى مكة، ماتت في الطريق، فأذن له، فاستأذنه أن يستغفر لها، فلم يأذن له، فزارها -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فبكى وأبكى من حوله، لأنه لا يستطيع أن يستغفر لها وهي أمه، لأن من ماتوا على الكفر في الجاهلية بقولهم: لن نترك ما عليه آباءنا ليس هذا حجة.

أما من لزم دينًا من الحق كان عليه، من تبعوا دين موسى أو دين عيسى أو كانوا على إرث إبراهيم، وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول كما في البخاري: والله يا معشر قريش، ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيري، لأنهم تغيروا عن دين إبراهيم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، دين إبراهيم معروف، ثم يقول لهم: الشاة خلقها الله، وأنزل لها المطر، وأنبت لها العشب ثم تذبحونها على غير اسمه؟! يقول: تذبحون الشاة والله عز وجل هو الذي خلقها، تذبحونها لغير الله، وأنزل المطر فنبت الكلأ فرتعت هذه الشاة من رزق الله عز وجل ثم تذبحونها لغير الله! يقول: أنتم لستم على دين إبراهيم، فكان دين إبراهيم معلومًا، لكن يقولوا وجدنا آباءنا، فاتركنا عليه، عبد المطلب.

أبو طالب لما أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورأى الآيات وعلم صدق النبي صلى الله عليه وسلم يقينًا جزمًا وكان في مرض الموت وجاءه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وقال له: «أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

(٣٨٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان- باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين (٢٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣٨٨) الزخرف: ٢٢.

(٣٨٩) الشعراء: ٧٤.

أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»[٣٩٠]، قال: هو على ملة عبد المطلب، يعني: لا نترك ما عليه آباءنا، مع علم أبي طالب علمًا تامًا وفي شعره هذا ينضح أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق، لكن يقول: ما أترك ما كان علي أبي، هذا ليس حجة عند الله، فلهذا كانوا يهلكون لهذا السبب.

حديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»[٣٩١] حديث معروف وأن الله عز وجل مكّن هذا الشيطان من أن يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾[٣٩٢]، فيوجب هذا العبد أن يتعوذ بالله من الشيطان ويتحصن ويحرص على الأذكار، ويحرص على ما فيه طرد للشيطان من ذكر الله، فإن الله سماه الوسواس الخناس، يوسوس، فإذا ذُكر الله عز وجل خنث، كلما أكثرت من ذكر الله عز وجل ومن كتابه واستعصمت بالله عز وجل كنت في عافيةٍ منه.

الحديث الأخير هذا تقدم.

وغدًا بإذن الله نسأل الله أن يقدر لنا إنهاء هذا الكتاب، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(٣٩٠) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (١٣٦٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع (٢٤).

(٣٩١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق- باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٨١)، ومسلم في كتاب السلام- باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة أن يقول هذه فلانة (٢١٧٥)، من حديث أم المؤمنين صفية رضي الله عنها.

(٣٩٢) الأعراف: ٢٧.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

(المتن)

باب في الجهمية

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ»(٣٩٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، قَالَ: «فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»(٣٩٤).

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟» قَالُوا: السَّحَابَ، قَالَ: «وَالْمُزْنَ» قَالُوا: وَالْمُزْنَ، قَالَ: «وَالْعَنَانَ» قَالُوا: وَالْعَنَانَ " قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «لَمْ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا» قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ» حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ «ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ»(٣٩٥).

عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَا: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ سِمَاكٍ، بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَاهُ.

(٣٩٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان الوسوسة في الإيمان (١٣٤).

(٣٩٤) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٢)، والنسائي في «سنن الكبرى» (١٠٤٩٧).

(٣٩٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٣)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة الحاقة (٣٣٢٠)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب فيما أنكرت الجهمية (١٩٣)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود»

عبد الرحمن بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ سِمَاكٍ بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتْ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟ » وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ هَكَذَا» وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ «وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ».

قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: «إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ»(٣٩٦) وَسَاقَ الْحَدِيثَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»(٣٩٧).

عن أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾(٣٩٨) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(٣٩٩) قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ»(٤٠٠)، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي: إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَعْنِي أَنَّ للهِ سَمْعًا وَبَصَرًا قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ".

باب في الرؤية

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُوسًا، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا

(٣٩٦) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٢٨/ ١٥٤٧)، وفيه: أولًا: محمد بن إسحاق مدلس ولم يصرح بالسماع، ثانيًا: جبير بن محمد بن جبير، ولم يوثقه غير ابن حبان.

(٣٩٧) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٥٤).

(٣٩٨) النساء: ٥٨.

(٣٩٩) النساء: ٥٨.

(٤٠٠) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣٣٤).

عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»(٤٠١) ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ف ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾(٤٠٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ نَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟ » قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ » قَالُوا: لَا، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»(٤٠٣).

عَنْ أَبِي رَزِينٍ، - قَالَ مُوسَى: الْعُقَيْلِيِّ - قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَكُلُّنَا يَرَى رَبَّهُ؟ قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: مُخْلِيًا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: يَا أَبَا رَزِينٍ، أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ؟ " قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: «لَيْلَةَ الْبَدْرِ مُخْلِيًا بِهِ» ثُمَّ اتَّفَقَا: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَاللهُ أَعْظَمُ» قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: قَالَ: «فَإِنَّمَا هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ فَاللهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ»(٤٠٤).

بَابٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ

عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَاضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ » قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ: « بِيَدِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ »(٤٠٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ »(٤٠٦).

بَابٌ فِي الْقُرْآنِ

---

(٤٠١) أخرجه الدارقطني في «رؤية الله» (١٦٥) من حديث عمارة بن رويبة رضي الله عنه.

(٤٠٢) طه: ١٣٠.

(٤٠٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٨).

(٤٠٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦/ ١٠٥)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي الرُّؤْيَةِ (٤٧٣١)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم- باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٠).

(٤٠٥) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٨).

(٤٠٦) أخرجه البخاري في كتاب التهجد- باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨).

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»(٤٠٧).

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللهَّ بْنُ عَبْدِ اللهَّ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً، مِنَ الْحَدِيثِ - قَالَتْ: «وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى»(٤٠٨).

عَنْ عَامِرٍ يَعْنِي الشَّعْبِيَّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ شَهْرٍ، قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ فَقَرَأَ ابْنٌ لَهُ آيَةً مِنَ الْإِنْجِيلِ فَضَحِكْتُ فَقَالَ أَتَضْحَكُ مِنْ كَلَامِ اللهَّ»(٤٠٩).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهَّ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» ثُمَّ يَقُولُ: «كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ»(٤١٠) قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ».

عن عَبْدِ اللهَّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُّ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ»(٤١١)، قَالَ: " فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ ".

(الشرح)

ذكر رحمه الله في بابين أمر الجهمية، و الجهمي عند السلف هو من أنكر الصفات كلها أو بعضها يصدق على من أنكر بعض الصفات أنه جهمي يسميهم أهل العلم فروع الجهمية، والذين أنكروا الصفات

---

(٤٠٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣/ ٣٧٠)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي الْقُرْآنِ (٤٧٣٤)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ- (٢٩٢٥)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم- باب فيما أنكرت الجهمية (٢٠١).

(٤٠٨) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات- باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (٢٦٦١)، ومسلم في كتاب التوبة- باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٢٧٧٠).

(٤٠٩) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤/ ٢٩٦)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي الْقُرْآنِ (٤٧٣٦).

(٤١٠) أخرجه البخاري في كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ- باب قول الله تعالى {واتخذ الله إبراهيم خليلا} (٣٣٧١).

(٤١١) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي الْقُرْآنِ (٤٧٣٨).

كلها أول من أنكر الصفات عدو الله الجعد بن درهم وذبح يوم العيد، ثم خلفه تلميذه الشقي الجهم بن صفوان ونشر هذه المقالة وكان صاحب لسان ولم يكن ذا علم ولا مجالسة لأهل العلم، لكن عنده قدرة على كثرة الكلام فلأجل ذلك انتشرت من طريقه، وانتشر نفي الصفات في عدد من الفرق حتى لا تجد فرقة إلا وعندها إنكار للصفات جزئيًا أو كليًا سوى أهل السنة.

يقول ابن القيم -رحمه الله- عن الجهم بن صفوان:

فلذا تقاسمت الطوائف قوله *** وتوارثوه إرثر ذي سهمان

لم ينجو من أقواله سوى *** أهل الحديث وعسكر القرآن

حتى المعتزلة وهم خصومه في القدر وفي الإيمان، تأثروا بقوله أخذاهم الله جميعًا في الصفات، فمن أنكر الصفات كلها أو بعضها فيصدق عنه عند السلف أنه جهمي.

في بعض النسخ أن أبا داود -رحمه الله- قال: باب في الجهمية والمعتزلة، لأن طريقهما في هذا هو إنكار الصفات، ذكر الحديث الأول أن الناس يصلون في قلة الأدب والجرأة أن يتساءلوا هذا السؤال الخبيث الذي أصله من الشيطان، حتى يقولوا: خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ ، جرأة عجيبة وسؤال حتفه في كفه.

إذا قلت أن الله خلق، فمن التناقض أن تقول من خلقه، لأن الذي يخلق لا يخلق، قال عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾(٤١٢) ، هذا سؤال حتفه في كفه، كيف تقول أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض ومن خلق الله، الله أول ليس قبله شيء، وهو عز وجل أعظم من أن يخلق.

ولهذا أفضل الله عبادة المعبودات من دونه في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾(٤١٣).

فأبطل أن تكون مستحقة للعبادة من جهة أنها تخلق، لهذا قال ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾، هذا سؤال أصل طرحه من الشيطان الرجيم، ولهذا في بعض الروايات أن الشيطان يأتي بن آدم

(٤١٢) النحل: ١٧.

(٤١٣) النحل: ٢٠.

فيقول نفس السؤال هذا، هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟ فالله عز وجل هو الخالق وما سواه مخلوق وهو -سبحانه وتعالى- الأول فليس قبله شيء -سبحانه وتعالى- عن ذلك علو كبيرا.

هذه كلمة من الكفر، ما علاجها؟ علاجها فيما قال صلى الله عليه وسلم يقول: «آمَنْتُ بِاللهِّ »[414]، وفي لفظ آخر يقول« آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله»، يعني أن على العبد إذا جاء شياطين الإنس والجن ووسوسوا بمثل هذه الوسوسة وقالوا الكفر أن يقابلها بالإيمان «آمَنْتُ بِاللهِّ »[415] وملائكته وكتبه ورسله، فتكون بمثابة الطهارة التي تزيل النجاسة.

في اللفظ الآخر إذا قالوا ذلك «فَقُولُوا: اللهُّ أَحَدٌ اللهُّ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»[416]، فالله لم يلد ولم يولد ولم يكن -سبحانه وتعالى- شيء قبله بل هو الأول فليس قبله شيء، وليس له كفؤ -سبحانه وتعالى- حتى يقال من خلقه، ولهذا الله -سبحانه وتعالى- لا يقاس بخلقه ولا يقول هذا إلا مشبه مشرك، يقيس الله بعباده، فيرى العبادة تخلق فيقول إذا من خلق الله، فالله خالق لا يخلق -سبحانه وتعالى.

قال: «ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ »[417]، يعني حتى يعالج هذا الشرك بالإيمان ويتعوذ بالله لأن هذا أصله كما قلنا في الحديث أنه في أصله من الشيطان كما في اللفظ الآخر، هناك أيضًا علاج أخر قال: ولينتهي، يعني ينتهي من هذا الخاطر ولا يسترسل معه وليقطعه ولينشغل بما فيه خير ومن أعظم ذلك أن يذكر الله ويقبل على أمر دينه أو دنياه ولا يكترث لهذه الخطرات.

الحديث بعد حديث ابن عباس رضي الله عنه أنهم كانوا في موضع فسأل النبي صلى الله عليه وسلم لما مرت بهم سحابة ماذا كانوا يسمونها، ثم أخبر ببعد ما بين كل سماء وسماء، جاء في بعض الروايات أن بينهما اثنتان أو ثلاثة وسبعون، حديث ابن مسعود أن بين كل سماء وسماء اثنتان أو ثلاثة وسبعون سنة، في حديث ابن مسعود خمس مائة عام وهذه حسب المسير تارة يكون السائر على قدميه يمشي مسافة أطول وتارة يكون الراكب أو الطير الذي يخفق يكون مساره أسرع فهذا بحسب نوع ما قطع به المسير.

---

(٤١٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان الوسوسة في الإيمان (١٣٤).

(٤١٥) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب بيان الوسوسة في الإيمان (١٣٤).

(٤١٦) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٢)، والنسائي في «سنن الكبرى» (١٠٤٩٧).

ثم أخبر صلى الله عليه وسلم ببعد ما بين كل سماء وسماء، ثم قال في أخره «واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ»(٤١٨)، يعني فوق العرش بعد أن ذكر ما بين كل سماء وسماء وذكر ما يتعلق بالعرش، الحديث صريح جدًا في إثبات العلوم وفي هذا رد صريح على الجهمية النفاة الذين ينفون علو الله، الحديث هذا ضعفه عند الألباني -رحمه الله-، ابن القيم -رحمه الله- دافع عنه وذكر دلائل صحته ورد على من ضعفه، ذكر أنه حديث معروف وما قدح فيه من جهة سنده رد عليه -رحمه الله.

في حديث جبير أن رجل جاهل جاء وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الأنفس جهدت ونهكت الأموال وهلكت الأنعام، يعني من احتياج المطر، فاستسقي الله لنا فإنا نستشفع بك على الله، إلى الآن والكلام سليم، ثم قال: ونستشفع بالله عليك، هذا الذي أغضب النبي صلى الله عليه وسلم أن يستشفع بالنبي يعني أن يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله، لكن أن يستشفع بالله على النبي، الله -جل وعلا- أعظم من أن يستشفع به على احد من خلقه، بل يستشفع على الله -جل وعلا.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟»(٤١٩)، الكلمة عظيمة جدًا، أتدري ما الذي خرج من لسانك أنت، ثم سبح فصار يقول: « سبحان الله، سبحن الله، سبحان الله»، استمر هكذا ينزه الله عن هذه الكلمة من شدة معناها حتى صار ذلك معروف في وجوه أصحابه، تأثروا جدًا رضي الله عنهم.

ثم قال له: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ»(٤٢٠)، الله -جل وعلا- إذا أراد الأمر يقول له: كن، فيكون، لا يحتاج الناس، يقول لعبد من عباده إني أشفع إليك أنت، يكون كذا وكذا، الأمر لله مباشرة يجريه وينفذه سبحانه وتعالى.

---

(٤١٨) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في الجهمية (٧٤٢٣)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة الحاقة (٣٣٢٠)، وابن ماجه في كتاب المقدمة- باب فيما أنكرت الجهمية (١٩٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٩٣)، وقال: «ضعيف».

(٤١٩) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٢٨/ ١٥٤٧)، وفيه: أولًا: محمد بن إسحاق مدلس ولم يصرح بالسماع، ثانيًا: جبير بن محمد بن جبير، ولم يوثقه غير ابن حبان.

(٤٢٠) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٢٨/ ١٥٤٧)، وفيه: أولًا: محمد بن إسحاق مدلس ولم يصرح بالسماع، ثانيًا: جبير بن محمد بن جبير، ولم يوثقه غير ابن حبان.

«وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟»(٤٢١)، يعني هذا السؤال يدل على جهلك بالله، «أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ هَكَذَا» وقال بأصبعه مثل القبة عليه ، يعني العرش فوق السماوات «وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ» أي بالرب سبحانه وتعالى «أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ».

يأط أي يصوت به كصوت أطيط الرحل، والرحل يوضع على البعير، فدل الحديث، ولهذا في اللفظ الأخر «اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ»(٤٢٢)، دل الحديث على الرد على نفاة العلوم من الجهمية والمعتزلة، ذكر حديث عن خلقة ملك من الملائكة من حملة العرش أذن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه«مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»(٤٢٣)، والله على كل شيء قدير، هذا يدل على هول وعظم خلقته.

ما بين عاتقه، العاتق ما بين المنكبين على أصل العنق هذه المسافة القصيرة، ما بين العاتق وشحمة الأذن مسيرة سبع مائة سنة، إذا ما خلقته هو؟ إذا كانت المسافة بين العاتق وشحمة الأذن سبعمائة عام فكم تكون خلقة هذا الملك، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(٤٢٤) ، هذا احد حملة العرش.

الحديث الذي بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المفسر لكتاب الله -جل وعلا- والمبين له، قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(٤٢٥) ، يقول أبو هريرة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه.

---

(٤٢١) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٢٨/ ١٥٤٧)، وفيه: أولًا: محمد بن إسحاق مدلس ولم يصرح بالسماع، ثانيًا: جبير بن محمد بن جبير، ولم يوثقه غير ابن حبان.

(٤٢٢) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٢٨/ ١٥٤٧)، وفيه: أولًا: محمد بن إسحاق مدلس ولم يصرح بالسماع، ثانيًا: جبير بن محمد بن جبير، ولم يوثقه غير ابن حبان.

(٤٢٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في الجهمية (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٥٤).

(٤٢٤) غافر: ٧.

(٤٢٥) النساء: ٥٨.

يقول أبو داود معلقًا وتعليقات أبي داود بالكتاب قليلة خاصة التعليقات على المتون، قال: هذا رد على الجهمية، وهذا موضع مهم، كيف يكون ردًا على الجهمية، ووجه كونه رد على الجهمية أن فيه تحقيقي الصفة يعني النبي يؤكد بهذا أن الصفة على حقيقتها يستحيل أن يأتي احد ليحرف الحديث أو يحرف الآية لأن النبي صلى الله عليه وسلم مبين يعني أن الصفة سمع حقيقي وصفة بصر حقيقية فلا يستطيع أحد أن يفعل كما تقول المعتزلة.

البصر المقصود به العلم كيف ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم يبين أنه بصر حقيقي، معلوم أن سمع الله وبصر الله ليس كسمع وبصر المخلوق لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٤٢٦)، وليس معناه أن سمع الله مثل سمع المخلوق، أو أن بصر الله مثل بصر المخلوق فهذا منفي أصلًا بنص قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٤٢٧).

نقول سمعه وبصره -جل وعلا- نقول فيهما مثل ما نقول في علمه، كما أن علمه ليس كعلم المخلوق -سبحانه وتعالى- فكذلك سمعه وبصره، الله -جل وعلا- لما ذكر علم المخلوق أثبت للمخلوق علم فقال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٤٢٨)، ولما ذكر علمه -جل وعلا- قال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٤٢٩).

فلله علم يليق به بحسب عظمته وجلاله وكبريائه، وللمخلوق علم يليق بضعف هذا المخلوق المسكين، ولهذا قال: : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٤٣٠)، قال: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٤٣١).

---

(٤٢٦) الشورى: ١١.

(٤٢٧) الشورى: ١١.

(٤٢٨) الإسراء: ٨٥.

(٤٢٩) الأنعام: ٥٩.

(٤٣٠) الإسراء: ٨٥.

(٤٣١) النحل: ٧٨.

ومع ذلك العلم الذي عند البشر كله قليل، فهل إذا أثبتنا لله علمًا نكون مشبهين بأن للمخلوق علم، نقول: للمخلوق علم يليق به وهو القليل، ولله علم يليق به وهو الذي ورد في هذه الآية وغيرها من الآيات، إذا نثبت لله العلم الذي يليق به والسمع الذي يليق به، والبصر الذي يليق به، ونثبت بذلك للمخلوق ما يليق للمخلوق من ضعفه وفناءه، وهذا رد على الجهمية كما يقول -رحمه الله-.

الباب الذي بعده في الرؤية، أيضًا الرؤية مما أنكرتها الجهمية والمعتزلة، أحاديث الرؤية رواها نحو من ثلاثين من الصحابة، فهي متواترة في جيل الصحابة ودلا عليها نصوص القرآن كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾(٤٣٢)

﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٤٣٣) ، ذكر الوجوه وأنها ناظرة على ربها فإذا نظرت على ربها أكرمها الله بالنضرة وذلك من أثار النظر إلى وجه الله -جل وعلا-.

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٤٣٤) ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم كما في مسلم الآية، فقال «الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الله عَزَّ وَجَلَّ»(٤٣٥).

وسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه قال: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ»(٤٣٦)، فلا شك أن النظر على وجه الكريم -سبحانه وتعالى- مما هو، عند أهل لسنة بالإجماع لا يخالف في هذا إلا الجهمية.

سألوا النبي صلى الله عليه وسلم مرة عن رؤية الله، وفي لفظ أخر أو موضع أخر بادر هو صلى الله عليه وسلم وكلمهم عن النظر فكانوا جلوس معه ليلة البدر والبدر ليلة أربعة عشرة يكون على أسمي ما يكون، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»(٤٣٧)، من الانضمام أي لا تحتاجون على

---

(٤٣٢) القيامة: ٢٢.

(٤٣٣) القيامة: ٢٣.

(٤٣٤) يونس: ٢٦.

(٤٣٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤٩)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٨٠)، وفيه: من لم يُسم.

(٤٣٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٦٤)، والنسائي في كتاب السهو (١٣٠٥)، (١٣٠٦).

(٤٣٧) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة- باب فضل صلاة العصر (٥٥٤)، ومسلم في كتاب المساجد- باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٦٣٣).

أن ينضم بعضكم لبعض حتى يراه، سيقول أحدكم هو ذاك، وأخر يقول ليس بذاك كما جرت العادة عند رؤية الهلال.

الناس عندما يريدون رؤية الهلال لا يحتاجون لأن يتضاموا لأن الهلال في الأعلى ويرونه جميعًا، ورواه بعضهم «لَا تُضَامُّونَ» بتخفيف الميم وضم التاء أي لا يلحقكم ضيم ولا مشقة، كل هذا دال على أن الهلال يرى رؤية حقيقية، وقوله: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ» التشبيه هنا للرؤية لا للمرئي -سبحانه وتعالى- بالمرئي وهو القمر ولكن التشبيه هنا للرؤية أي أنما كما أنكم ترون القمر لا تحتاجون لأن تتضاموا فكذلك ترونه تعالى، ويدل على أن الله صلى الله عليه وسلم يرى من جهة العلو، يأتيهم الله تعالى في الجنة نسأل الله تعالى من فضله، فإذا أتاهم ورأوه -جل وعلا- اشتغلوا عن كل نعيم هم فيه، لن أعلى وأعظم نعيم أهل الجنة هو رؤية الله -جل وعلا- نسأل الله الكريم من فضله.

في الحديث الذي بعده أن ناس قالوا: أنرى ربنا يوم القيامة؟ فقال نحو من القول السابق، وأخبر أنهم لا يضارون في رؤيته كما لا يضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيها سحابة ولا الشمس أيضًا كما ورد في اللفظ الآخر.

في اللفظ السابق قال: «فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»[٤٣٨]، ما علاقة الموضوع هذا برؤية الله؟ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، العلاقة أن صلاة الفجر والعصر سبب من أسباب رؤية الله -سبحانه وتعالى- يحافظ على صلاة الفجر والعصر، فهنا قال: : «فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا».

الحديث الذي بعده أن أبا رزين رضي الله عنه قال: يا رسول الله، أكلنا يرى ربه؟ مخليًا به يوم القيامة أي خاليًا به، بحيث لا يزاحمه شيء في الرؤية؟ فقال صلى الله عليه وسلم، قال وما آية ذلك أيضًا يعني يريد علامة على ذلك؟ قَالَ: يَا أَبَا رَزِينٍ، أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ؟ " قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: «لَيْلَةَ الْبَدْرِ مُخْلِيًا بِهِ» ثُمَّ اتَّفَقَا:

(٤٣٨) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة- باب فضل صلاة العصر (٥٥٤)، ومسلم في كتاب المساجد- باب فضل صلاتي الصبح والعصر- والمحافظة عليهما (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَاللهُ أَعْظَمُ» قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: قَالَ: «فَإِنَّمَا هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ فَاللهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ»(٤٣٩)، كل هذه الأدلة دالة على إثبات الرؤية.

والرؤية كما قلنا وردت عن ثلاثين من الصحابة رضي الله عنهم، فإما تواتر وعلم علم معلوم من دين الله بالضرورة ودلت عليها الآيات الكثيرة.

الباب الذي بعده نص فيه على أنه باب في الرد على الجهمية، الجهمية تنكر الصفات فلهذا جاء بالأحاديث والأدلة التي فيها الرد على الجهمية وهي طريقة من طرق الرد على أهل الباطل أن يقال: سأرد عليك بالنص مباشرة، كأن ترد على الرافضي.

الروافض إذا سبوا الصحابة وقالوا فيهم القول الشيء أقول أسمع، أنت تكفرهم يا عدو الله، والله - جل وعلا- أثنى على قلوبهم وشهد على ما فيها من الإيمان وسماهم بالصادقين والمفلحين والمهاجرين والأنصار وقال -جل وعلا- فيهم: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٤٤٠)، وقال -جل وعلا- فيهم: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٤٤١)، يعني من الخير والإيمان.

فجعل من دون ذلك فتحًا قريبا، وقال -سبحانه وتعالى- في الذين أمنوا قبل الفتح وبعده: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٤٤٢)، فاسمع يا عدو الله أنت تكفرهم، ورب العالمين يشهد لهم بالإيمان، فتكفيرك لهم كفر منك بهذه الآيات، ولهذا تكفير الصحابة كفر لأن تكفير الصحابة تكذيب لصريح القرآن.

والعجب من الرافضة أن يسبوا الصحابة ويتمسكوا بالآيات التي وردت في القرابة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤٤٣)، مع أن آيات القرابة، آيات

(٤٣٩) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦/ ١٠٥)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي الرُّؤْيَةِ (٤٧٣١)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم- باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٠).

(٤٤٠) الأنفال: ٤.

(٤٤١) الفتح: ١٨.

(٤٤٢) الحديد: ١٠.

(٤٤٣) الأحزاب: ٣٣.

الصحابة أكثر بكثير من آيات القرابة، وأعظم نص على أن الصحابة ناجون وفي الجنة، وأنهم مفلحون وصادقون، وهذا ليس بآيات القرابة، ولهذا فضل قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، الفضل الأكبر لصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعلي صلى الله عليه وسلم ليس أصل فضيلته أنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لن طالب أخا على، أبو طالب له ابن اسمه طالب مات بالجاهلية، مات على الشرك، علي رضي الله عنه نفعه الله بالإيمان، وإلا فطالب وعلي إخوان، فأصل الفضيلة في صحبتهم من النبي صلى الله عليه وسلم.

نعم لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة مستقلة بلا أدنى شك، لكن الفضل الأكبر في من كان منهم على الصحبة، أما إذا تحققت القرابة دون الإيمان فغن هذا عدو لله -جل وعلا- بنص القرآن وإن كان قريبا.

وسورة المسد أصرح شيء على ذلك، ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(٤٤٤)، أبو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم أقرب من علي رضي الله عنه، ومع ذلك شهد الله له بالنار، فالمعول على الإيمان الأصل على الإيمان وهو الذي لا شك شهد الله به شهادة على الصحابة رضي الله عنه، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، هذه في المهاجرين، ﴿وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا﴾، هذه في الانصار، ﴿أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٤٤٥).

فمن قال هم الكفار، نقول: نشهد الله انك أنت الكافر، لأنك كذبت النص الصريح في أنهم هم المؤمنون، الله يقول هم المؤمنون ولم يكتفي بذلك حتى قال: ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، من هم المؤمنون حقا، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٤٤٦)، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٤٤٧)، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾،

(٤٤٤) المسد: ١.

(٤٤٥) الأنفال: ٧٢.

(٤٤٦) الأنفال: ٢.

فيقول الله فيهم: المؤمنون حقا، وتقول أنت: الكافرون حقا، أنت كافر بنص كلام الله -جل وعلا-، فمن أعظم ما يرد به على أهل الباطل أن يرد بالنص، ومن هنا قال: باب في الرد على الجهمية، ولم يكثر النقاش والمجادلة، فإن قلتم قلنا مباشرة اسمعوا النصوص التي فيها تدمير مذهبكم.

يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهم بيده اليمنى، في هذا إثبات الطي لهذه السماوات، وفيه أن الله -جل وعلا- يأخذهن بيده، وان له يد يمنى -سبحانه وتعالى-، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأراضين بيده الأخرى -سبحانه وتعالى- ثم يأخذهن، قال بن علاء بيده الأخرى فيقول: أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون.

في لفظ أخر ينزل ربنا كل ليلة للسماء الدنيا هذا كلام رسول اله صلى الله عليه وسلم، أن الله -سبحانه وتعالى- ينزل للسماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فنثبت النزول، فيقول، نثبت القول والكلام، كل هذا تنفيه الجهمية، ينفون الكلام والنزول والاستواء، وينفون أن الله -سبحانه وتعالى- له يد، وينفون أن الله -سبحانه وتعالى- يطوي السماوات، مذهب خبيث ظلمات بعضها فوق بعض.

يردون الآيات الصريحة من القرآن والسنة فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟ نسأل الله الكريم من فضله، أبو داود اكتفى بالحديثين هذين، لأن بقية الأحاديث هكذا، جميع أحاديث الصفات كلها رد على الجهمية، ثم ذكر باب أيضًا في القرآن والخلاف فيها مع الجهمية والمعتزلة والأشعرية وأغرابهم من أهل الكلام.

هذه الأحاديث التي أوردها كلها في النص على أن القرآن كلام الله، الأول قوله صلى الله عليه وسلم حين يعرض على الناس نفسه في الموقف يعني في الحج، «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ»، يعني قبل أن يهاجر، «فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»(٤٤٨) فنص على أن القرآن كلام الله -سبحانه وتعالى- وعلى أنه

(٤٤٧) الأنفال: ٣.

(٤٤٨) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣/ ٣٧٠)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ- بَابٌ فِي الْقُرْآنِ (٤٧٣٤)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ- (٢٩٢٥)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم- باب فيما أنكرت الجهمية (٢٠١).

هو الذي يبلغه إبلاغًا، وأما الكلام، القرآن هو كلام الله بلفظه ومعناه، هو -سبحانه وتعالى- الذي قال: ﴿الم﴾(٤٤٩) ، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(٤٥٠).

ما مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾(٤٥١) ، مهمته أن يبلغ وليس القرآن من الله ولا من جبريل، بل القرآن كلام من الله -عز وجل- وجبريل الروح الأمين الذي بلغه، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾(٤٥٢) ، ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾(٤٥٣).

فالقرآن كلام الله، ولهذا سمع موسى كلام الله، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾(٤٥٤) ، لما سمع السؤال هذا أجاب عليه، قال: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾(٤٥٥) ، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾(٤٥٦) ، سمع الخطاب ورد الجواب، ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾(٤٥٧) ، هنا كلام الله -سبحانه وتعالى- على حقيقته بحرف وصوت يليق بالله ويسمع ولا تسمعه الخلائق.

في الحديث، «إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُنَادِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ»(٤٥٨)، هذا في القيامة، فالقرآن كلام الله بلفظه ومعناه وهو من حروف، هو صوت الله -جل وعلا- وسمعه جبريل وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم، ولأجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»(٤٥٩)، فدل على أن القرآن من حروف، وفي هذا فضيلة مهمة ينبغي يتنبه لها طالب العلم، كل حرف من القرآن بعشرة حروف، هذه والله التجارة الرابحة، أتدري كم حروف القرآن؟.

---

(٤٤٩) البقرة: ١.

(٤٥٠) البقرة: ٢.

(٤٥١) النحل: ٣٥.

(٤٥٢) الشعراء: ١٩٣.

(٤٥٣) الشعراء: ١٩٤.

(٤٥٤) طه: ١٧.

(٤٥٥) طه: ١٨.

(٤٥٦) طه: ١٩.

(٤٥٧) طه: ٢٠.

(٤٥٨) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ يَسْتَعِيذُ بِكَلِمَاتِ اللهِّ لَا بِكَلَامِ غَيْرِهِ (ص: ٩٨).

(٤٥٩) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن- باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر (٢٩١٠)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤١٦).

ذكر ابن كثير في المقدمة في تفسيره أن مجاهد قال: إن حروف القرآن ثلاث مائة ألف وواحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون، يعني انك إذا قرأت نسأل الله من فضله، إذا قرأت ختمة فأكثر من ثلاثة ملايين حسنة تأتي لك، فلا تغلب يا طالب العلم على القرآن، أحذر أن تكون من الكسالى الذين لا يأتون القرآن إلا متقطعة قراءتهم أحرص، أعظم الذكر وما تتقرب به لله هو القرآن العظيم.

ثم ذكر بعده الحديث وهو حديث الإفك الطويل، الشاهد منه قول عائشة رضي الله عنه: ولشأنك أنا أحقر من أن يتكلم الله في بأمر، لأن الجهمية تنفي أن يكون القرآن كلام الله، وهكذا قول النجاشي في آية من الإنجيل لما قرأت وضحك عامر، قال: أتضحك من كلام الله، يعني هذا معروف عند الجميع هذا كلام الله، التوراة، الإنجيل، القرآن كلها كلام الله.

في الحديث الذي بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول للحسن والحسين: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»(٤٦٠)، و يقول كان أبوكم يعني إبراهيم عليه السلام، يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق.

قال أبو داود وقال أيضًا غيره من أهل العلم قبله وبعده، هذا دليل على أن القرآن ليس بمخلوق كما تقول الجهمية، ما وجه الدلالة، لو كان القرآن مخلوق لكان النبي صلى الله عليه وسلم متعوذ بمخلوق حاشاه صلى الله عليه وسلم، «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ»، والقرآن كلام الله، ولو تعوذ أحد بمخلوق لأشرك، فكونه يتعوذ بكلمات الله هذا يدل على أن كلمات الله غير مخلوقة.

وهكذا الحديث بعده أن الله -جل وعلا- من العظمة والجبروت إذا تكلم بالوحي صعق أهل السماء، لأن صوته عظيم جدًا -سبحانه وتعالى- كأنه سلسلة جرت على صفوان، أو على صفا وهو الحجر، إذا جر عليه السلسلة يكون لها صوت عظيم جدًا، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فيقولون ماذا قال ربك، فيقول الحق، فيقولون الحق الحق.

(المتن)

(٤٦٠) أخرجه البخاري في كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ- باب قول الله تعالى {واتخذ الله إبراهيم خليلا} (٣٣٧١).

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»(٤٦١).

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ»(٤٦٢).

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْبَعْثِ وَالصُّورِ

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْلَمُ، عَنْ بِشْرِ بْنِ شَغَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»(٤٦٣).

حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»(٤٦٤).

بَابٌ فِي خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ " قَالَ: " فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا

---

(٤٦١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب صفة الجنة والنار (٦٥٦٦)، وأبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الشفاعة (٤٧٤٠)، وابن ماجه في «سننه»: كتاب الزهد- باب ذكر الشفاعة (٤٣١٥).

(٤٦٢) أخرجه مسلم في كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا - بَابٌ فِي صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا وَتَسْبِيحِهِمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٢٨٣٥).

(٤٦٣) أخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع- باب ما جاء في شأن الصور (٢٤٣٠)، وفي كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة الزمر (٣٢٤٤)، والنسائي في «سننه الكبرى» (١١٣١٢)، (١١٣٨١)، (١١٤٥٦)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٢، ١٩٢)، والدارمي في كتاب الرقاق (٢٧٩٨).

(٤٦٤) أخرجه مسلم في كتاب: الفتن وأشراط الساعة – باب ما بين النفختين (٧٦٠٤) .

أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»(٤٦٥).

بَابٌ فِي الْحَوْضِ

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُسَدَّدٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»(٤٦٦).

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ» قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «سَبْعُ مِائَةٍ أَوْ ثَمَانِ مِائَةٍ»(٤٦٧).

حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: أَغْفَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِغْفَاءَةً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَإِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾(٤٦٨)، حَتَّى خَتَمَهَا، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ»(٤٦٩).

حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِنَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ كَمَا قَالَ: عُرِضَ لَهُ نَهْرٌ حَافَتَاهُ الْيَاقُوتُ الْمُجَيَّبُ، أَوْ

(٤٦٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٣٢، ٣٥٤، ٣٧٣)، وأبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في خلق الجنة والنار (٤٧٤٤)، والترمذي في «جامعه»: كتاب صفة الجنة- باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (٢٥٦٠)، والنسائي في «المجتبى»: كتاب الأيمان والنذور- باب الحلف بعزة الله (٣٧٦٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤٦٦) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب في الحوض (٦٥٧٧)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ (٢٢٩٩).

(٤٦٧) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الحوض (٤٧٤٦)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٢).

(٤٦٨) الكوثر: ١.

(٤٦٩) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة – باب حجة من قال البسملة في أول كل سورة سوى براءة (٩٢١).

قَالَ: الْمُجَوَّفُ، فَضَرَبَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا، فَقَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَلَكِ الَّذِي مَعَهُ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ(٤٧٠).

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَبُو طَالُوتَ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا بَرْزَةَ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَحَدَّثَنِي فُلَانٌ - سَمَّاهُ مُسْلِمٌ وَكَانَ فِي السِّمَاطِ - فَلَمَّا رَآهُ عُبَيْدُ اللهِ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ هَذَا الدَّحْدَاحُ، فَفَهِمَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَبْقَى فِي قَوْمٍ يُعَيِّرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللهِ: إِنَّ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ، قَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ الْحَوْضِ، سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ: نَعَمْ «لَا مَرَّةً، وَلَا ثِنْتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثًا، وَلَا أَرْبَعًا، وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا»(٤٧١).

بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ فَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾(٤٧٢)»(٤٧٣).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ الْخَفَّافُ أَبُو نَصْرٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ، فَقَالَ: «مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(٤٧٤).

---

(٤٧٠) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب في الحوض (٦٥٨١).

(٤٧١) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الحوض (٤٧٤٩)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤٢١).

(٤٧٢) إبراهيم: ٢٧.

(٤٧٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٦٩) واللفظ له، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها- باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧١).

(٤٧٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٧).

قَالُوا: وَمِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنِ اللهُ هَدَاهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللهَ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ، غَيْرِهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ، فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي، فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ »(٤٧٥).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، بِمِثْلِ هَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقُولَانِ لَهُ» فَذَكَرَ قَرِيبًا مِنْ حَدِيثِ الْأَوَّلِ، قَالَ فِيهِ «وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولَانِ لَهُ» زَادَ «الْمُنَافِقَ» وَقَالَ: «يَسْمَعُهَا مَنْ وَلِيَهُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»(٤٧٦).

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، ح وحَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَهَذَا لَفْظُ هَنَّادٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ زَاذَانَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «هَاهُنَا» وَقَالَ: « وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ »، قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: « وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولَانِ: وَمَا

(٤٧٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٤) واللفظ له، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧٠).

(٤٧٦) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٤) واللفظ له، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٧٠).

يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ «زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ»، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٤٧٧) الْآيَةُ.

- ثُمَّ اتَّفَقَا - قَالَ: " فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا» قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: " وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ».

- زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا» قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»(٤٧٨).

حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا الْمِنْهَالُ، عَنْ أَبِي عُمَرَ زَاذَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْمِيزَانِ

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَحُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَهُمْ قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ

(٤٧٧) إبراهيم: ٢٧.

(٤٧٨) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ (٤٧٥٣).

﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾(٤٧٩) حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ »(٤٨٠) قَالَ: يَعْقُوبُ، عَنْ يُونُسَ وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِهِ.

بَابٌ فِي الدَّجَّالِ

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُرَاقَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَهُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ»، فَوَصَفَهُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ «لَعَلَّهُ سَيُدْرِكُهُ مَنْ قَدْ رَآنِي وَسَمِعَ كَلَامِي» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ قُلُوبُنَا يَوْمَئِذٍ؟ أَمِثْلُهَا الْيَوْمَ؟ قَالَ: «أَوْ خَيْرٌ»(٤٨١).

حَدَّثَنَا مَخْلَدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، فَذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٤٨٢).

(الشرح)

هذه الأبواب ذكر فيها أكثر من مسألة من مسائل اليوم الآخر من ذلك ما يتعلق بالبعث، والبعث هو إحياء الموتى، وهو نصوص القرآن، ولكنه -رحمه الله- يذكر مثل هذه الأحاديث على سبيل التنبيه لغيرها، فذكر الحديث الأول، الشفاعة قبل ذلك، باب في الشفاعة.

(٤٧٩) الحاقة: ١٩.

(٤٨٠) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في ذكر الميزان (٤٧٥٥)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ١١٠)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٣٤٩)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٦٢٢)، وقال الذهبي في «التلخيص»: «على شرط البخاري ومسلم لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة».

(٤٨١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٢٣)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الدَّجَّالِ (٤٧٥٦)، والترمذي في كتاب أَبْوَابُ الْفِتَنِ - بَابُ مَا جَاءَ فِي الدَّجَّالِ (٢٢٣٤).

(٤٨٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن- باب ذكر الدجال (٧١٢٧).

الشفاعة هي التوسط في اللغة، التوسط في أمر، لن الإنسان يكون فردًا ويطلب معه أخر حتى يكون شفاعة، والشفاعة المذكورة في كتاب الله نوعها شفاعة منفية وشفاعة مثبتة.

أما المنفية: فهي الشفاعة التي كان يتوهمها المشركون لمعبوداتهم، وهي التي تنفى في القرآن، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٤٨٣)، هذه منفية، ما الآية التي بعد هذه الآية؟ آية الكرسي، ذكر الله فيها الشفاعة مثبتة، الشفاعة المثبتة: هي التي تكون بشرطين: -

الأول: أن يأذن الله بالشفاعة، والثاني: أن يرضى عن المشفوع، قال -جل وعلا- في آية الكرسي: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾(٤٨٤) ، فدل على أن ثمة شفاعة بإذن الله.

وقال: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(٤٨٥) ، فلا يمكن أن تقع الشفاعة إلا في من رضي الله، ومن الذين يرضاهم الله؟ ما ثبت في الصحيح أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله من اسعد الناس بشفاعتك، قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»(٤٨٦)، هم أهل التوحيد، هم اسعد الناس بالشفاعة.

فلا تكون الشفاعة إلا لأهل التوحيد وهم الذين يشفع فيهم، ولا بد أن يأذن الله ولا يأذن الله -سبحانه وتعالى- بالشفاعة إلا بعد أن يمضي خمسون ألف سنة، ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٤٨٧) ، معظم الموقف في القيامة ثم يأتون آدم يقولون: أشفع لنا عند ربك، على أن يصلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم، فلا يشفع لأنه أعلم بالله من أن يشفع لأن الشفاعة لله، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤٨٨) ، فيذهب إلى من له الشفاعة -سبحانه وتعالى- فيخر

(٤٨٣) البقرة: ٢٥٤.

(٤٨٤) البقرة: ٢٥٥.

(٤٨٥) الأنبياء: ٢٨.

(٤٨٦) أخرجه البخاري في كتاب العلم- باب الحرص على الحديث (٩٩).

(٤٨٧) المعارج: ٤.

(٤٨٨) الزمر: ٤٤.

فيسجد تحت العرش فيستأذن ربه أن يشفع، فيأتيه الإذن بعد جمعة أي بعد أسبوع، وهو ساجد، أرفع رأسك، وقل يسمع، وأشفع تشفع، فيقول: «أُمَّتِي أُمَّتِي»(٤٨٩).

فالشفاعة المقصودة في كتاب الله هي المثبتة التي تكون بهذين الشرطين، وذكر الله الشرطين في قوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾(٤٩٠).

ذكر الشرطين معًا، وذكر شرط الإذن في موضع، وشرط الرضا في موضع، وهي مما يقره أهل السنة، وهي أنواع، هناك الشفاعة العامة وهي الموقف، وهناك الشفاعة التي فيها الخصام الكبير مع المعتزلة، وهي الشفاعة لأهل الكبائر الذين ماتوا على التوحيد، لكن ماتوا على كبيرة من الكبائر، أهل السنة يقولون هؤلاء من أهل التوحيد فإذا أدخلهم الله النار فإنهم لا يمكثون فيها مكث الكفار يخرجون منها بشفاعة الشافعين بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة، وبعد أن تنتهي الشفاعة يخرجون فيها برحمة ارحم الراحمين -سبحانه وتعالى-.

لهذا قال صلى الله عليه وسلم: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، وفي اللفظ الأخر«يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»(٤٩١) يعني كانوا من جهنم.

قال بعد ذلك «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ»(٤٩٢)، الحديث في وصف ما عليه أهل الجنة، نصوص الشفاعة متواترة رواها أكثر من عشرين صحابي، وهي في القرآن واضحة مش جلية، كما ذكرنا.

الشفاعة فيها رد على أكثر من طائفة، الأولى الخوارج ومن نحوهم من المعتزلة الذين يقولون: إن صاحب الكبيرة يخلد في النار، فيقال: لا يخلد، النصوص دالة على أنه يخرج من النار، الطائفة الثانية التي ترد عليها نصوص الشفاعة هي طائفة المرجئة، لأنهم يزعمون أن التوحيد لا يضر أهله معه معصية، فيقال ضرتهم حتى دخلوا في النار، فالشفاعة فيها الرد على الطائفتين الضالتين.

---

(٤٨٩) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (٧٤١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤٩٠) النجم: ٢٦.

(٤٩١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب صفة الجنة والنار (٦٥٦٦)، وأبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الشفاعة (٤٧٤٠)، وابن ماجه في «سننه»: كتاب الزهد- باب ذكر الشفاعة (٤٣١٥).

(٤٩٢) أخرجه مسلم في كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا - بَابٌ فِي صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا وَتَسْبِيحِهِمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٢٨٣٥).

بعد ذلك ذكر ما يتعلق بالبعث، وهو أمر مجمع عليه عند أهل الإسلام وذكر الصور، الوارد في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[٤٩٣]، يقول صلى الله عليه وسلم«الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»[٤٩٤]، ينفخ فيه إسرافيل نفخة فيصعق من على وجه الأرض ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون.

الحديث الذي بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلَّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضُ»[٤٩٥]، يعني هذه تأكلها الأرض كلها، ماذا يبقى من هذا المسكين الضعيف الفقير، لا يبقى إلا عجب ذنبه الذي يسمى بالعصعص، هذا ابن آدم، تفنى ولا يبقى منك إلا هذا الشيء اليسير حتى يعرف الإنسان قدره، قال: «مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»[٤٩٦]، يركب بإذن الله -عز وجل- فينشأ من جديد.

ثم ذكر ما يتعلق بخلق الجنة والنار ومراده الرد على المعتزلة قاتلهم الله، الذين يقولون: إنهما لم تخلقا، ذكر قال، لما خلق الله الجنة قال لجبريل إلى آخره، فلما رأى جبريل الجنة، قال لا يسمع بها أحد إلا ويأتيها، فلما حفت بالمكاره، المكاره التي تكرهها النفوس، من اقتحم المكاره، وأجبر نفسه عليها دخل إلى الجنة لأن المكاره دون الجنة، النار كفانا الله شرها حفت بالشهوات، الشهوات تحبها النفوس، فمن اقتحم الشهوات دخل إلى النار، هذا الحديث فيه إيجاز.

أما الحوض فكما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، الحوض أصله مجمع الماء وهو حوض عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وأحاديثه أيضًا متواترة رواها عددك كثير من الصحابة، جمع أحاديثهم ابن كثير في آخر التاريخ، يقول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»[٤٩٧]، يعني موضع برد، طوله شهر وعرضه شهر، الأكواب التي فيه عدد نجوم السماء، مائه أحلى من العسل، وأشد بياض من اللبن، من شرب منه نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منه لم يظمأ، لأن الشرب منه ليس كالشرب في

---

(٤٩٣) الكهف: ٩٩.

(٤٩٤) أخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع- باب ما جاء في شأن الصور (٢٤٣٠)، وفي كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة الزمر (٣٢٤٤)، والنسائي في «سننه الكبرى» (١١٣١٢)، (١١٣٨١)، (١١٤٥٦)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٢،١٩٢)، والدارمي في كتاب الرقاق (٢٧٩٨).

(٤٩٥) أخرجه مسلم في كتاب: الفتن وأشراط الساعة – باب ما بين النفختين (٧٦٠٤) .

(٤٩٦) أخرجه مسلم في كتاب: الفتن وأشراط الساعة – باب ما بين النفختين (٧٦٠٤) .

(٤٩٧) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب في الحوض (٦٥٧٧)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ (٢٢٩٩).

الدنيا، الشرب في الدنيا تظمأ بعده، أما هو إذا شرب والناس ترد القيامة عطاشا فإذا رأوا الحوض فالموفقون الثابتون على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون للحوض فيشربون، وأما الذين بدلوا وغيروا، فإن الملائكة تطردهم طرد كما تطرد الإبل.

ذكر الحديث بعده، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلًا فقال: «مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ»(٤٩٨)، لاحظ العبارة يقول: أنتم لا تبلغون الجزء، والذين يردون الحوض نسأل الله من فضله، مئة ألف جزء، العدد الموجود سبعمائة أو ثمانمائة ما بلغوا هذا الجزء، معنى ذلك أن الذين يردونه نسأل الله الكريم من فضله كثر من هذه الأمة، لكن يحال بين أناس وبينه نعوذ بالله ممن بدلوا وغيروا.

ذكر بعد ذلك ما يتعلق بالكوثر لما نزلت هذه السورة قال صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ » قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ»(٤٩٩).

الحوض الذي في القيامة يمد من نهر الكوثر فالماء الذي يأتيه من ماء الكوثر في الجنة، لهذا صار بهذا الوصف من شرب منه لم يظمأ وصار أحلى من العسل، وأشد بياض من اللبن لأخره.

وذكر أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج به، عرض له نهر حافتاه الياقوت المجوف، فضرب الملك الذي معه يده، فاستخرج، ترابه ما هو؟ مسك، نسأل الله الكريم من فضله، فقال محمد صلى الله عليه وسلم للملك الذي معه، ما هذا؟ قال الكوثر الذي أعطاك الله.

. . زياد الظالم الوالي أرسل للصحابي الجليل أبي برزة، فلما أقبل قال: عن محمديكم هذا الدحداح، قال: ما كنت احسب أني أبقى في قوم يعيروني بصحبتي محمد صلى الله عليه وسلم، يعني أنتم الآن تعيروني بأني صحابي، فأحسن الجواب على هذا الظالم، كيف تقول هذا الكلام الخبيث؟ إن محمديكم هذا الدحداح، فسأله فقال: إن صحبة محمد لك زين ليست شين، إنما بعثنا إليك لنسألك عن الحوض، هو غضب رضي

(٤٩٨) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في الحوض (٤٧٤٦)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٦٩،٣٧١،٣٧٢).

(٤٩٩) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة – باب حجة من قال البسملة في أول كل سورة سوى براءة (٩٢١).

الله عنه، يقول هل سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم شيء فقال برزة غاضبًا، لا مرة، يعني نعم سمعته، لا مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس، سمعته عدة مرات فمن كذب به فلا سقاه الله، ثم خرج مغضبا لأن ابن زياد كان يكذب به، فتعريض لهذا الظالم.

المسألة في القبر يعني يسأل العبد عن ثلاث أحاديثها كثيرة جدًا، ولأن العبد يسأل في قبره، فالمثبت نسأل الله الكريم من فضله إذا سأل قال: أشهد أن لا إله إلا الله وان محمد رسول الله، وهذا المراد بقوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾(٥٠٠) ، المقام مقام وحشة ورعب وخوف، هلع شديد جدًا، فليس من السهل، الآن في الدنيا أسهل ما على المنافق إذا قيل له: من ربك؟ يقول ربي الله، لكن في القبر المقام عظيم، ملكان هائلان، والمقام مقام انقطع فيه الكذب والنفاق والدجل، ما هنالك إلا الصدق، من ثبته الله أجاب، ومن لم يثبته لم يجب نسأل الله العافية.

دخل النبي صلى الله عليه وسلم نخل لبني النجار من الأنصار فسمع صوت ففزع فقال: «مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ؟ » خشي أن يكونوا من المسلمين، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، سمع تعذيب هؤلاء الموتى من المشركين، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(٥٠١)، ثم ذكر وضع المؤمن أنه يأتيه ملكان فيسألانه، عن ربه ودينه على آخر الحديث فالمؤمن يثبت يقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت كما في الأحاديث عمومًا التي نتحدث عنها، أما الكافر المرتاب، فإنه يردد هذه الكلمة الدالة على التردد وعدم التأكد فيقول، ها، ها، لا أدري سمعت الناس يقولون قولًا فقلت مثلهم، هذا يدل على أنه كان يقوله في الدنيا، لكن ما كان يقول قول الموقن، فلهذا عياذًا بالله يبدأ في تعذيبه، يضرب ضربة بمطراق من حديد من بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها الخلق، غير الثقلين ويبدأ في تعذيبه نسأل الله السلامة، وما ورائه من الآخرة، أشد، العبد إذا وضع في قبره يسمع قرع نعالهم، يعني تعاد له روحه فيأتيه

(٥٠٠) إبراهيم: ٢٧.

(٥٠١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٧).

الملكان فيسألانه، النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا(٥٠٢)، ثم ذكر أن الملكان يأتيان فيسألان العبد عن ربه وعن دينه وعن نبيه صلى الله عليه وسلم، فالمثبت إذا أجاب وانتبه يا طالب العلم الحديث هذا له شأن كبير، إذا قال هو رسول الله يقول له الملكان، وما يدريك؟ هذا طلب لماذا؟ للدليل، أنه رسول الله، فيقول: قرأ، الحديث هذا له شأن كبير كتاب الله فأمنت به وصدقت، أحرص على قراءة القرآن تنفعك بإذن الله في الكروب.

لا حظ هذا الآن نفعه الله بقراءته للقرآن والإيمان به، إذا أجاب الجواب الحق وقال إنه رسول الله، ما يدريك وفي اللفظ الأخر ما علمك؟ يقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت، أقبل على القرآن لا تجعل القرآن على الفراغ، أليست عندك أشغال مهمة كل يوم لا تتركها، القرآن أجعله ضمن الأشغال بل وأعظم واهم الأشغال، فلا تقل عن فرغت قرأت هذا في الأشغال غير المهمة، أما الأمور المهمة لا يمكن أن تكون على هذا الحد، اجعل القرآن شغل ينفعك بإذن الله، احرص على قراءته وأقبل عليه، واحرص على تفهم معانيه، واحرص على أن يكون عندك تفسير مختصر كتفسير السعدي وابن كثير.

حتى تقرأ وإذا أتتك آية تتدبرها وتعي معناها، حتى تقرأ عن علم وعن دراية، المؤمن نسأل الله من فضله إذا أجاب هذا الجواب يفتح له باب للجنة، يفتح له أولًا باب غلة النار فيقال: أنظر إلى منزلك من النار، أبدلك الله به منزل في الجنة، فيزداد فرح على فرحه، أن الله أنجاه من النار وأدخله الجنة.

عكسه نسأل الله العافية، الهالك الذي لا يجيب أولًا يفتح له باب للجنة، فيقال: انظر إلى منزلك في الجنة أبدلك الله به منزل من النار، فيندم من جهتين جهة فوات الجنة، وجهة دخول النار، يضيق عليه قبره نسأل الله السلامة، حتى تختلف فيه أضلاعه من شدة تضييق القبر، يقيد له أعمى أبكم، أعمى لا يراه وأبكم لا يتكلم، معه مطرقة من حديد يضربه بها ضربا، من شدتها لو ضرب بها جبل لصار تراب، يصيح صيحة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين.

بعد ذلك ذكر الميزان وان عائشة ذكرت خوفها وان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن ثلاثة مواضع، لا يذكر احد أحدا، منها الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وحتى يعلم أيكون كتابه في يمينه فيكون

(٥٠٢) أخرجه أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ (٤٧٥٣).

من أهل اليمين، أو في شماله فيكون من أهل الشمال، وكذا عند الصراط عندما يضرب الصراط على متن جهنم.

الحقيقة الأحاديث الواردة في الميزان كثيرة، وأحاديث صحيحة ثابتة ذكرها الأجوري -رحمه الله-.

وذكر غير واحد من أحاديث، منه أن الميزان كفتان، لو وضعت في الكفة الواحدة السماء والأرض لوسعتها، الكفة الأولى تجعل فيها الحسنات، والكفة الثانية توضع فيها السيئات، عن رجحت الحسنات دخل الجنة برحمة الله تعالى، وإن رجحت السيئات هلك صار من أهل النار إلا أن يعفو الله عنه، وإن دخل النار وهو من الموحدين، فإنه يكون على الجنة بعد أن يصير في النار ما شاء الله ثم يشفع بإذن الله فيخرج من النار.

الميزان ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(٥٠٣) ، م الذي يوزن؟ الذي يوزن العامل نفسه والعمل، وكذلك الصحف التي تكتب فيها الأعمال، كل هذه توزن والأدلة على هذا كثيرة قد يطول بنا المقام لو تتبعناها.

الباب الأخير في الدجال وأحاديثه متواترة أيضًا وهو أعظم فتنة على الإطلاق منذ أن خلق الله آدم على أن تقوم الساعة لا توجد فتنة اشد وأشر من فتنة الدجال، ومن شدة فتنته انظر جميع الأنبياء أممهم الدجال، حتى إن نوح وهو أول الرسل بعد الشرك قد أنذر أمته الدجال، انتهت جميع الأمم قبلنا وليس بعد هذه الأمة إلا القيامة، إذا فهو خارج في هذه الأمة قطعًا، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم التفاصيل، تفاصيل كثيرة من أخباره تجدها في صحيح مسلم، مسلم -رحمه الله- توسع جدًا في إيراد أحاديث الدجال وما يكون من الخوارق التي تكون معه وكثرة من يتبعه، وما يقع للمؤمنين من الضنك والشدة والضيق حتى ينزل عيسى عليه السلام فيقتل الدجال، وأحاديث الدجال كثيرة جدًا، وهو مما لا يشك فيه أهل الحق أبدًا،

(٥٠٣) الأنبياء: ٤٧.

ولهذا من شدة فتنته أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يستعاذ بالله من فتنته في الصلاة «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَفِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(٥٠٤).

لكن جعل الله وله الحمد، لأن عدو الله اسمه الدجال من شدة دجله، يدعي النبوة في البداية ثم يدعي أنه الرب، فجعل الله -عز وجل- فيه علامة بينه وهو أنه أعور والرب -عز وجل- ليس بأعور، فهذا الذي يدعي أنه رب وهو اعور، الذي عور عينك هكذا من هو، لو أنك رب صادق، لما كانت عينك عوراء، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ»(٥٠٥) «سأقول لكم فيه قول لم يقله نبي لقومه»، لأنه خارج في هذه الأمة قطعًا، «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٥٠٦)، ومن فضل الله -عز وجل- مع شدة فتنته أن الله -عز وجل- جعل في جبهته ثلاثة أحرف' ك ف ر، أنه كافر، يقول صلى الله عليه وسلم يقرأها كل مؤمن كاتب وغير كاتب، القضية ليست قراءة وعدم قراءة، القضية قضية إيمان، فيقراها المؤمن حتى وإن لم يكن يعرف يقرأ ويكتب، ويرى أنه اعور، فالمؤمنون يعلمون ويثبتون يقولون: ردوا عليه قوله، ويرفضون إتباعه، وإنما يتبعه أكثر من اتبعه من النساء، كما في الحديث.

(المتن)

بَابٌ فِي قَتْلِ الْخَوَارِجِ

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، وَمَنْدَلٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِي جَهْمٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ وَهْبَانَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»(٥٠٧).

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، عَنْ أَبِي الْجَهْمِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ وَهْبَانَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ وَأَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذَا

(٥٠٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب التعوذ من عذاب القبر (١٣٧٧)، ومسلم في كتاب المساجد- باب ما يستعاذ به في الصلاة (٥٨٨).

(٥٠٥) أخرجه البخاري في كتاب الفتن- باب ذكر الدجال (٧١٢٧).

(٥٠٦) أخرجه البخاري في كتاب الفتن- باب ذكر الدجال (٧١٢٧).

(٥٠٧) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) كتاب الأمثال- باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

الْفَيْءِ؟ » قُلْتُ: إِذَنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَضَعُ سَيْفِي عَلَى عَاتِقِي ثُمَّ أَضْرِبُ بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ، أَوْ أَلْحَقَكَ، قَالَ: «أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ تَصْبِرُ حَتَّى تَلْقَانِي»(٥٠٨).

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَعْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، وَهِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ هِشَامٌ «بِلِسَانِهِ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَقْتُلُهُمْ؟ قَالَ ابْنُ دَاوُدَ: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا»(٥٠٩).

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ الْعَنَزِيِّ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعْنَاهُ قَالَ: «فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ»(٥١٠) قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي مَنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ، وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عَنْ عَرْفَجَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «سَتَكُونُ فِي أُمَّتِي هَنَاتٌ، وَهَنَاتٌ، وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»(٥١١).

بَابٌ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْمَعْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبِيدَةَ، أَنَّ عَلِيًّا ذَكَرَ أَهْلَ النَّهْرَوَانِ فَقَالَ: « فِيهِمْ رَجُلٌ مُودَنُ الْيَدِ، أَوْ مُخْدَجُ الْيَدِ، أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ، لَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا لَنَبَّأْتُكُمْ مَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْهُ؟ قَالَ: قَالَ إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ(٥١٢).

---

(٥٠٨) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٥/ ٤٤٣)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - باب في الخوارج (٤٧٥٩).

(٥٠٩) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة- باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع... (١٨٥٤)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٥١٠) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة- باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع... (١٨٥٤)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٥١١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٨٥٢)، من حديث عرفجة رضي الله عنه.

(٥١٢) أخرجه أخرجه البخاري في الأذان- باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٦٨٠)، ومسلم في كتاب الصلاة- باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس (٤١٩).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا فَقَسَّمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ بَيْنَ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ، وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ وَقَالَتْ: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، فَقَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ» قَالَ: فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ قَالَ: اتَّقِ اللهَّ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِيعُ اللهَّ إِذَا عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي اللهُّ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟ »، قَالَ: فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، قَالَ: فَمَنَعَهُ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ قَتَلْتُهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(٥١٣).

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، وَمُبَشِّرٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَاعِيلَ الْحَلَبِيَّ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو، قَالَ: يَعْنِي الْوَلِيدَ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهَّ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللهَّ مِنْهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «التَّحْلِيقُ»(٥١٤).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَحْوَهُ قَالَ: «سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ، وَالتَّسْبِيدُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ»(٥١٥) قَالَ أَبُو دَاوُدَ: " التَّسْبِيدُ: اسْتِئْصَالُ الشَّعْرِ.

(٥١٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

(٥١٤) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في قتال الخوارج (٤٧٦٥).

(٥١٥) أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب السنة- باب في قتال الخوارج (٤٧٦٦).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي، وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٥١٦).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَتْ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ شَيْئًا، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَتْ لَهُ ذِرَاعٌ عَلَى عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»(٥١٧)، أَفَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؟ وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ " قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: " فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا مَنْزِلًا حَتَّى مَرَّ بِنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ، قَالَ: فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ وَسُلُّوا السُّيُوفَ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، قَالَ: فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَاسْتَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِهِمْ، قَالَ: وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ. فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَلَمْ يَجِدُوا، قَالَ: فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ، حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ

(٥١٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن- باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به (٥٠٥٧)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب التحريض على قتل الخوارج (١٠٦٦).

(٥١٧) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة- باب التحريض على قتل الخوارج (١٠٦٦).

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ، وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: إِي وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَضِيءِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ، عَلَيْهِ السَّلَام اطْلُبُوا الْمُخْدَجَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ تَحْتِ الْقَتْلَى فِي طِينٍ قَالَ أَبُو الْوَضِيءِ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَبَشِيٌّ عَلَيْهِ قُرَيْطِقٌ لَهُ إِحْدَى يَدَيْنِ، مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ عَلَيْهَا شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ شُعَيْرَاتِ الَّتِي تَكُونُ عَلَى ذَنَبِ الْيَرْبُوعِ.

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُخْدَجُ لَمَعَنَا يَوْمَئِذٍ فِي الْمَسْجِدِ، نُجَالِسُهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَكَانَ فَقِيرًا، وَرَأَيْتُهُ مَعَ الْمَسَاكِينِ يَشْهَدُ طَعَامَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام مَعَ النَّاسِ وَقَدْ كَسَوْتُهُ بُرْنُسًا لِي، قَالَ أَبُو مَرْيَمَ: وَكَانَ الْمُخْدَجُ يُسَمَّى نَافِعًا ذَا الثُّدَيَّةِ، وَكَانَ فِي يَدِهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، عَلَى رَأْسِهِ حَلَمَةٌ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ سِبَالَةِ السِّنَّوْرِ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ اسْمُهُ حَرْقُوسٌ.

بَابٌ فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ حَسَنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٥١٨).

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ يَعْنِي أَبَا أَيُّوبَ الْهَاشِمِيَّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٥١٩).

---

(٥١٨) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب- باب من قاتل دون ماله (٢٤٨٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم (١٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٥١٩) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب- باب من قاتل دون ماله (٢٤٨٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من قصد أخذ مال

(الشرح)

هذه الأبواب الثلاثة تتعلق اثنان منها بالخوارج، والأخير باللصوص، أولا نحتاج أن نعرف ما المراد بالخوارج؟ ولما سموا بالخوارج؟.

سموا بالخوارج لنهم يخرجون على ولاة الأمر من المسلمين، ولذا جاء في الحديث«تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ»(٥٢٠)، فالذي يخرج على ولاة الأمور من المسلمين فهو خارجي، ولو لم يكن عنده نفس اعتقاد الخوارج الأوائل كتكفير صاحب الكبيرة، فإذا خرج خروج على ولاة الأمر فغنه خارجي.

أبو داود -رحمه الله- فقيه لاحظ بأي حديث بدأ، بدأ بأحاديث مفارقة الجماعة لأن الخروج على ولاة الأمور هو خروج على الجماعة، ومفارقة لهم، من فارق الجماعة شبرًا، وفي اللفظ الآخر من خرج من السلطان، لأن مفارقة الجماعة كيف تكون؟ بالخروج على السلطان، من فارق الجماعة شبرا، والشبر قليل، فقد خلع ربطة الإسلام من عنقه، الحديث خطير جدًا، الخوارج بعض أهل العلم يقولوا إنهم مرتدون لما في الأحاديث التي سمعت من كونهم يرمقون من الدين مروق السهم من الرمية، يخرجون من الإسلام ثم لا يعودون إليه، قتيلهم شر قتيل تحت أديم السماء وهذا قول سماحة شيخنا الشيخ ابن باز -رحمه الله-، يقوله بعض أهل العلم رحمهم الله.

لكن الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم أنهم ليسوا كفار، ولكنهم غلوا، والنصوص هذه ذكر فيها جملة من الأوصاف لهم، إذا أردت أن تعرف الخوارج طبقها عليهم، أهم وصف للخوارج أن يخرجوا على ولاة الأمور من المسلمين، لهذا تجد الخوارج ماذا يفعلون؟ يسعون إلى تكفير الوالي وإن كان مسلم وإن كان مطبق للشرع، يكون عنده كذا وكذا حتى يسوغوا الخروج لأنهم يعلمون أنه لا يصح الخروج على ولي الأمر المسلم.

ولي الأمر المسلم لا يجوز الخروج عليه، يكون ولي الأمر المسلم، مستأثر بأموال، بأراضي، لا يوصل للناس حقوقهم لا يحل الخروج عليه بتاتًا، لأنه لا يخرج عليه إلا إذا كفر، لهذا الخارجي مباشرة يسعى لأن

غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم (١٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٥٢٠) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامة النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥).

يقول إنه كافر حتى يبرر الخروج، فإذا خرج عليه خرج على ولي الأمر وعلى الجماعة، فيكون خروج على الجماعة من المسلمين.

ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه ستأتي ولاة تستأثر بالأمور ولا تعطي الناس حقها فأبو ذر قال: احمل سيفي على عاتقي وأضرب، قال: «أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ تَصْبِرُ حَتَّى تَلْقَانِي»(٥٢١)، أمرنا بالصبر على ظلمهم وجورهم كما سبق وشرحنا ذلك، أخبر صلى الله عليه وسلم عن ولاة وهم المقصود الأئمة تعرفون منهم وتنكرون، تعرف أشياء حسنة منهم وتنكر منهم أشياء أخرى سيئة.

ما موقفك أنت؟ إياك والمداهنة بان ترضى وتتابع، هذا هو الخطر، ثم يبقى مقامان اثنان، المقام الأول الإنكار باللسان لمن يتمكن ويجد أن ذلك لا مفسدة فيه، ويكون الإنكار باللسان على الوالي، في غير مجاهرة بلا شك، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ»(٥٢٢)، فليكن فيما بينه وبينه، فغن قبل فبها، وإلا كان قد أدى الذي عليه، تكون أديت الذي عليك ويبقى له ظلمه وتبقى الجماعة، وسبق شرحنا هذا وتوسعنا فيه.

في الأمر الأخر من لا يستطيعون أن ينكروا بألسنتهم هم الذين يستطيعون أن ينكروا بقلوبهم، لأن من أنكر سلم، لأن من أنكر بلسانه برئ، ومن كره بقلبه سلم، الذي يؤاخذ من يرضى ويتابع، يأتي ويزين لهم الأمور كما تقدم في حديث ابن عمر رضي الله عنه حين شرحنا في درس أخر.

في حديث ابن عمر: أن قوم خرجوا من عند يزيد فسبوه، فقال تقولون هذا في وجوههم، قالوا لا، بل. . . ، وفي بعض الروايات أنهم قالوا: إنهم يقضون بقضائه من الجور، يعني الظلم فنقول: تقبل الله، هذا الإشكال، هؤلاء هم الذين يهلكون، قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الصنف لا يرد عليه الحوض.

(٥٢١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٥/ ٤٤٣)، وأبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ - باب في الخوارج (٤٧٥٩).

(٥٢٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤/ ٤٩).

أخبر أن ولاة سيأتون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فلم يرد علي الحوض، أما بقية المسلمين فعلى نوعين: قادرون على الإنكار مع عدم وجود مفسدة، أعظم فينكرون باللسان فيما بينهم وبين الحكام، وعموم المسلمين يبرؤون إذا كرهوا بالقلب لكن لا يرضى بالفعل ولا يتابعون على باطلهم.

قال صلى الله عليه وسلم: «سَتَكُونُ فِي أُمَّتِي هَنَاتٌ، وَهَنَاتٌ، وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ جَمِيعٌ»، لاحظ الحديث في شرور وفساد، من جاءكم ليفرق أمركم حتى وإن كانت فيه هذه الشرور والفساد، وأمر المسلمين جميع «فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»[٥٢٣]، لا تقل رجل عابد أو صالح، تضربوه بالسيف، لماذا؟ حتى تبقى الجماعة وإن كان رأسها ظالم، ما دام مسلم.

الباب الذي بعده في قتال الخوارج، هذا الباب ذكره -رحمه الله- بعد باب قتل الخوارج، هنا حكمان في الخوارج، الأول قتلهم، والثاني قتالهم، يعني إذا قبض عليهم فغن حقهم أن يقتلوا، فقال صلى الله عليه وسلم «لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ قَتَلْتُهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[٥٢٤]، قتالهم بأن يحاربوا حرب تنصب لهم الجيوش حتى تقاتلهم، وقاتلهم علي رضي الله عنه.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعلامة في الخوارج زمن علي رضي الله عنه، وهذا الرجل الذي يده جعلها الله عز وجل كأنها ثدي امرأة، علامة من علاماتهم، ومن علامات الخوارج. . وهو حلق الشعر واستئصاله، هذه علامة من علاماتهم، وليس معنى هذا أن الذي يحلق شعره الآن ينهى عن ذلك، لكن هذه علامة كانت في وقتهم، وليس بالضرورة أن تكون علامة مستديمة، قد يكون الخارجي ذا شعر. ، لكن في ذاك الوقت كانت تلك علامة، هل يجوز أن يحلق الشعر لغير خارجي؟ نعم، لكن هذه علامة كما أن ذاك الرجل الذي كان يده مثل ثدي المرأة كانت علامة من علاماتهم، يعني أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطي علامات عنهم.

---

(٥٢٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٨٥٢)، من حديث عرفجة رضي الله عنه.

(٥٢٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

يقول: لولا أن تبتروا، تصابون بالبتر، وتنكلون عن العمل، لحدثتكم ماذا وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، لأن أفضل القتلى قتيل الخوارج، إذا قتل الخوارج قتيل فهذا خير القتلى، خير قتيل من قتلوه، أما قتيلهم يقول صلى الله عليه وسلم: «هُمْ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»(٥٢٥)، أشر القتلى تحت السماء هم الخوارج، ثم ذكر قصة أول من أنكر على النبي صلى الله عليه وسلم من الخوارج، لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسم وأراد أن يتألف قلوب كبار العرب لأنهم حديثو عهد بالإسلام، أتى وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أعدل، فقال صلى الله عليه وسلم: «وَيْلك فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلُ قَدْ خِبْت وَخَسِرْت إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»(٥٢٦)، «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(٥٢٧)، هذا أصل الخوارج، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن من ضئده ومن أصله قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، قراءتهم للقرآن كثيرة، وعبادتهم قال فيها صلى الله عليه وسلم للصحابة: «يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ»(٥٢٨)، يعني أهل عبادة لكن نسأل الله العافية لا ينتفعون بالقرآن.

ومن علاماتهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأزلام، تجد سيفهم اشد ما يتضر به المسلمين حتى الصبيان، كان نجدة يقتل حتى الصبي، وهذا بإجماع المسلمين الصبي لا يقتل بتاتا حتى ابن الكافر، لا يحل قتله وان من صفات الخوارج القتل المستأصل، يظنونها شرف ويكفرون من أرادوا، ثم يقولون نحن نقتل كفار، تجد أكثر من يقتل منهم على مدار التاريخ من المسلمين، وأهل الكفر في سلامة منهم، لهذا تجد بلاياهم دائمًا داخل الأمة الإسلامية.

وكل هذه علامات ودلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم، ولهذا أهل الكفر نائمون مسترحون في بلادهم لا يخافون منهم، القتل الزريع في أهل الإسلام، هذه من صفاتهم، ومن ضمن الصفات الخطرة

---

(٥٢٥) أخرجه الترمذي في باب: ومن سورة آل عمران (٣٠٠٠)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٥٥٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٥٢٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب بعث عليّ بن أبي طالب، وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزَّكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

(٥٢٧) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥٢٨) أخرجه البخاري في كتاب المغازي- باب بعث عليّ بن أبي طالب، وخالد بن الوليد س إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزَّكاة- باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

وهي فيهم يقرءون القرآن يحسبونه لهم وهو عليهم، تسمع كلامه وتقريراته تتعجب، يقرأ آيات يظن أن الآيات تدل على ما قال وهي عكس ما قال، لأنهم ينزلون الآيات على غير المواضع التي نزلت فيها، لهذا قال: هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه.

من ضمن ما ذكر صلى الله عليه وسلم أيضًا فيهم أنهم يقولون من قول خير البرية، أنهم يحسنون القول ويسيئون الفعل، كلامهم حسن ومن أحسن الكلام، حب الإسلام ويريدون رفعة الإسلام، كل هذا كلام حسن لكن أفعالهم قبيحة، يقول صلى الله عليه وسلم فيهم، في شأن الجيش الذي يقتلهم أنهم لو حدثوا بما جعل الله لمن قتل الخوارج من الفضل العظيم لنكلوا عن العمل من شدة ما جعل الرب -سبحانه وتعالى- من الفضل لمن قتل الخوارج.

وحصلت مقتلتهم هذه لأنهم بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي بايعوه أمير المؤمنين، وقالوا بلدنا هو بلد الإسلام، وعلي ومن معه كفار بلدهم بلد كفر، فقاتلهم علي رضي الله عنه، فأعمى الله بصائرهم، فأطاعوه في أن يلقوا الرماح ويسلوا السيوف، فصارت فرصة للمسلمين فضربوهم بالرماح، لأن الرمح يصيب من بعد وأما السيف لا بد أن تقابله، فهلك بعضهم على بعض ولله الحمد.

الباب الأخير في قتال اللصوص، لاحظ أبا داوود ذكر الخوارج ثم ذكر اللصوص، والحقيقة أن فعل الخوارج فعل لصوص، اللصوص إذا أتوا الإنسان فإن الأصل أن يدفعهم بالأحسن، يقول: اتقوا الله أنتم مسلمون، فعلكم محرم، فإن زجروا فإنه لا يقاتلهم، إن أبوا فإنه يدفعهم بالذي بعد الكلام، كأن يضرب مثلا بعصا، وإن كان عنده قدرة بيده فاستطاع ربطهم فكذلك، حتى يكون في الأخير قتلهم، فإذا قتلهم فقتيلهم في النار، وإن قتلوه هو فهو شهيد، «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٥٢٩)، وفي مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سال عن رجل، قال يا رسول الله الرجل يأتي يريد أن يأخذ مالي، قال: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ». قَالَ:

(٥٢٩) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب- باب من قاتل دون ماله (٢٤٨٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم (١٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ يخشى أن يقتل مسلم قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ»[530]، فإن دفعوا بالأحسن فبها ونعمة، وإن لم يدفعوا إلا بالقتل فإنه يقتل.

ولكن قال أهل العلم، لو أنه كان ربما يكون اللصوص عدد كبير، لو أنه قال أنا أصالحكم على بعض المال، أنتم تريدون المال، حتى لا أقتل فيكم ولا تقتلوا، أنا أعطيكم بعض مالي من باب كفي شركم، أو أعطاهم ماله ليكفهم عن عرضه ورضوا فإنه لا بأس، قد يعجز في بعض الأحيان، وصلي الله وسلم على نبينا محمد.

(٥٣٠) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم (١٤٠).